

٨١١/٢
ف ٢ ش ١

رسالة الوصايا في اللادوب (القرن) اتجاهاته ومفاهيمه الفنية عقبة نهاية القرن الرابع الهجري

تم اصدار الملاحظة التي
بينها الأستاذة الفاضلة
والله الموفق
رسالة ماجستير الشرف ١٤٠٤ هـ
في اللادوب والنقد
١٤١٠ هـ

اعداد
الكتاب عبد الله بن صالح بن عبد الله الفلاح

اشراف
للكتاب طه مصطفى ابو كرايش
رئيس شعبة الآداب والبلاغة

تم اصدار الملاحظة
والله الموفق
١٤١٠ هـ

١٤١٠ هـ ~ ١٩٩٠ م



ٖٖ شكر وتقدير ٖٖ

لا بمعنى - بعد أن وفقني الله لإتمام هذا البحث - إلا أن أتوجه إليه جل وعلا بالحمد والشاء على توفيقه ونعمائه .

واعترافا بالفضل لأهله وامتنالا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -
(من صنع اليكم معروفا فكافؤوه ، فان لم تجدوا ما تكافؤونه به فادعوا له حتى تنروا أن قد كافؤتموه) .

فاني أتوجه بالفكر الجليل الى أصحاب الفضيلة القاضين على
الجامعة الاسلامية ، الذين أتاحوا لي مواصلة الدراسة في هذه الجامعة
المعينة .

كما أتقدم بالفكر الجليل لأساتذتي الكرام الذين أقدت من
توجيهاتهم وآرائهم ، وكذلك اشكر زملائي الذين أعاروني بعض مراجع
هذا البحث .

فجزى الله الجميع خير الجزاء .

المقدمة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق
أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه . . وبعد . .
فالشعر ديوان العرب ، وسجل مفاخرهم وآثرهم ، أودعوا فيه مشاعرهم
وأحاسيسهم ، وما يختلج في نفوسهم من حب وبغى ، وشكوى وعتاب وفرح وحزن ،
كما أودعوه خلاصة تجاربهم وآرائهم .

ولقد تناولت أقلام الدارسين والباحثين هذا التراث القمري الراخيا للبحث
والدريس في شتى أغراضه واتجاهاته مما أفنى المكتبة الأدبية وأعطى صورة صادقة
لهذا الفن ، وجعله علما يارزا بين الآداب العالمية الأخرى .

ولقد حاولت البحث عن موضوع يخدم هذا التراث القمري ، ويملا فراغا
في مكتبة الدراسات الأدبية ، فطال بي الأمد دون أن أعثر على موضوع مناسب
فكاد اليأس يستبد بي ، حتى أثار على أستاذي الفاضل ، الأستاذ الدكتور /
طه مصطفى أبو كريشة بدراسة شعر الوصايا في الأدب العربي حيث أنه لم يدرس
دراسة مستقلة وافية ، فلقى ذلك هوى في نفسى لما فيه من جدة ، ولما يمتحنه
لى من معايشة حقيقية لتراثنا القمري في أبرز ما يهدف إليه من توجيه للحياة
وجهة مثالية بناءة .

وقد رأيت أن أختار حقبة من الزمن تكون موضع الدراسة حتى لا يهجور الزمن
الطويل على تتبع شعر الوصايا واستقصائه ، فوقع الاختيار على حقبة تبسداً من
العصر الجاهلى وتنتهى بنهاية القرن الرابع الهجرى على وجه التقريب وذلك لى
أقف على بواكير ما وصل إلينا من هذا الفن فى العصر الجاهلى وأتابع سيرته فى

فى ظل الاسلام لفترة تمثل عصوراً أدبية ثلاثة ، لكل منها ملامحه الخاصة ، ومن ثم كان العنوان " شعر الوصايا فى الأدب العربى اتجاهاته وخصائصه الفنية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى () .

وقد رأيت أن تكون دراستى للموضوع كاشفة عن اتجاهات شعر الوصايا بالنظر إلى الغاية التى يرمى إليها والهدف الذى يتجه إليه ، كما تكون كاشفة عن جوانبه الفنية فى شكله ومضمونه ، ومن هنا اتضحت خطة البحث أمامى فسى بابين يسبقهما تمهيد يمهّد لدراسة الموضوع .

أما التمهيد فعرف أتأول فيه أمرين :
أولهما : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب كاشفاً عن الدلالة فهيمها وعن العلاقة بينهما .

وثانيهما : تتبع رحلة شعر الوصايا فى الأدب العربى من خلال دراستى الدارسين لأدب الوصايا بصفة عامة مبيناً عن مكان دراستى بين هذه الدراسات .

أما الباب الأول : فعرف يكون خاصاً بالدراسة الموضوعية لشعر الوصايا حيث يتناول كل فصل من فصوله اتجاهاتها من اتجاهات هذا الشعر ، على أن ترتب الفصول حسب كثرة الرصيد من النماذج الشعرية التى بين أيدينا لكل اتجاه .

- | | | |
|------------------|---|--------------------------|
| فالفصل الأول عن | : | شعر الوصايا الاجتماعية . |
| والفصل الثانى عن | : | شعر الوصايا الأبوية . |
| والفصل الثالث عن | : | شعر الوصايا الدينية . |
| والفصل الرابع عن | : | شعر الوصايا الحربية . |
| والفصل الخامس عن | : | شعر الوصايا الإخوانية . |
| والفصل السادس عن | : | شعر الوصايا الزوجية . |

أما الباب الثانى فهو خاص بالدراسة الفنية لشعر الوصايا وفيه فصلان
الفصل الأول عن : الخصائص الفنية لشعر الوصايا فى جانب الشكل ويتجه
إلى بيانها فى : الألفاظ ، والتركيب ، والصور البيانية ، والقيم الصوتية ،
والبناء الفنى .

والفصل الثانى عن : الخصائص الفنية لشعر الوصايا فى جانب المضمون
ويتجه إلى بيانها فى التجربة الشعرية ، والعاطفة ، والأفكار .
وسوف تعقب الدراسة خاتمة ألخص فيها ما أتوصل إليه وأبرز ما تشتهى إليه
الدراسة من نتائج .

وبعد .. فقد بذلت كل ما فى وسعى من جهد ، غير أنى لا أدعى الكمال
فالكمال لله وحده ، فما فى هذا البحث من صواب فهو من فضل الله سبحانه ثم
بفضل توجيهات أستاذى الكريم الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريمة ، الذى لم
يبخل على بوقته فلم يقتصر على ساعات الإشراف المحددة ، بل أشجع لى باب
بيته ، وأفصح لى صدره .. وسهما قلت من كلمات الفكر والعرفان فلن توفيه
حقه ، فجزاء الله خير الجزاء ، وأجزل له الثوبة فى الدنيا والآخرة .. وما كان
فيه من تفسير أو خطأ فهو منى ولن أتثبت به أو أدافع عنه ..
والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه .

الباحث
عبد الله بن صالح الفلاح

التمهيد

لقد مضى الوصية بين اللغة والأدب
نبدأ بحمد الله تعالى عن الأدب الوصايا

أولا : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب :

أ - الوصية في اللغة :

وَصَّى : الراو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شيء بشيء .
وَوَصَّيْتُ وَصِيَّتُهُ ويقال وَصَّيْتُ اللِّهْلَةَ باليوم وَصَلْتُهَا (١) .

قال ذو الرمة :

نَعَى اللَّيْلَ بِالْأَيَّامِ حَقَّ صَلَاتًا ■ مَقَاسِمُهُ يَمْتَنِقُ أَنْصَافَهَا السَّفَرُ
وَأَرْضٌ وَاصِيَةٌ شَحِيلَةُ النَّبَاتِ (٢)

ويقال أَوْصَى الرَّجُلَ وَوَصَّاهُ عَهْدَ إِلَهٍ . قال ربيعة :

وَصَائِنِ الْمَجَاجِ فِيهَا وَصَنِي

أراد فيها وصاني فحذف اللام للقافية .

والوصية أيضا ما أوصيت به ، وأوصيت له بشيء ، وأوصيت إليه إذا جعلته

وصيك .

وَأَوْصِيَّتُهُ وَوَصِيَّتُهُ إِيمَاءٌ وَتَوْصِيَةٌ بِمَعْنَى (٣) ، وَالْوَصَاةُ بِمَعْنَى الوصية قال الشاعر

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ عَنِّي يَنْهَدَانِ ■ وَصَاةً مِنْ أَخِي ثَقَّةً وَدُرُودَ (٤)

فما سبق يتضح لنا أن الوصية في اللغة هي ما عهد به إلى شخص ما ، أو

ما أوصى المرء به شخصا آخر .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ١ ص ١٠١ تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، قم إيران

(٢) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٥٢٥ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ دار العلم للملايين ، بيروت .

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٨٥٣ نشر دار المعارف بمصر

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ج ١ ص ١٢٨ تحقيق عبد السلام هارون ، وآخرين مراجعة محمد علي النجار وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤ هـ .

ب - بدلول الوصية في الأدب :

إن الباحث في كتب تاريخ الأدب لا يكاد يحتر على بيان المفهوم الوصية من ناحية أدبية فكل ما يجده إشارات سريعة إلى الوصايا في معرض الحديث عن شعر الحكمة فالأستاذ مصطفى صادق الرافعي يعرف الشعر الأخلاقي بأنه (الشعر الذي يصورون فيه أخلاقهم تصورا طبيعيا لم تخلق فيه صنعة الكلام شيئا) ويذكرون حكمتهم المستفادة من التجارب ، ويدنون ناصحهم التي هي صفة تلك الحكمة (١) .

فهذا التعريف يعطينا تصورا قريبا لشعر الناصح الذي هو جزء من الشعر الأخلاقي لأن الأستاذ الرافعي قد قرن فيها بين النصيحة والحكمة ، وكأنها في واحد ، بل إنه جعل النصيحة جزءا يسيرا من الحكمة حيث عدها صفة تلك الحكمة وخلاصتها .

ويبدو أنه يهتد من الناصح الوصايا .

وترى باحثة أن :

" الوصية هي الشرة الفكرية التي يتكسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه وهي كالحكمة ، ولعلها تكون من الحكم والأمثال (٢) " .

وهذا التعريف ليس خاصا بالوصية ، بل إن الحكمة تدخل فيه ، إذ الحكمة أيضا " الشرة الفكرية التي يتكسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية " .

وتعريفها لا يبعد كثيرا عن تعريف باحث آخر للحكمة إذ يقول :

-
- (١) تاريخ الأدب العربي للرافعي ١٣٤/٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
 (٢) الوصايا في الأدب العربي القديم د / سهام الفريح ، ١٢ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المعلا ، الكويت .

" ما الحكمة إلا تلك الثمرة الفكرية التي يجتنيها المرء من تفاعل نشاطه في بيئته الطبيعية والاجتماعية فيخلص منها إليها في سلوكه العام . . . (١) "

هذا ولم أشر على تعريف للوصية في جانب الشعر ويبدو لي أن شعر الوصايا هو الشعر الذي يحمل بين طياته توجيهات صائبة وتجارب حكمية ، ومعاني تهذيبية وخلقية يقصد الشاعر من وراثتها التوجيه والتأثير والنصح والإرشاد .

وإذا رجعنا إلى شعر الوصايا فإننا نجد فيه ما يمكن أن يحدد لنا ملاح الوصية ، من حيث صلتها بقائلها ، وصلتها بمن توجه إليه ومن حيث بدلولها في ذاتها .

أما من حيث صلتها بقائلها فإن هذه الوصايا لا تصدر - عادة - إلا من شخص أريب عاقل قد خبر الحياة وعرفها وعركته السنون فذاق حلوها ومرها وحلب الدهر أشطرها .

فبعد قيس بن خفاف يبين لولده جبيل في وصيته له أن هذه الوصية لم تصدر إلا عن تجربة عميقة وخبرة ثاقبة في الحياة والأحياء وعقل راجح رزين يقول :
(٢)

أوصيك إياها امرء لك ناصح

طبن برهب الدهر غير مغفل

فكلمة " ناصح " تنبئ عن رغبة أكيدة في التوجيه ، ونفس مخلصه راغبة في الخير للموصى وقوله " . . . طبن برهب الدهر غير مغفل " يدل على عقل راجح رزين ، وينبئ عن خبرة عميقة بالحياة وأصرارها ومعرفة بتقلبات الدهر وصروفه ويعبر عن الغفلة والنسيان وعبرو بن الأهم يوضح لابنه رعى في وصيته

-
- (١) مقدمة كتاب المعمرون والوصايا . عبد النعم عامر ص (ر) .
(٢) الفضليات : ص ٢٨٤ اختيار المغفل الذي تحقيق وشرح أحمد شاكر
وعبد السلام هارون ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بصر .

له أنه ذو خبرة طويلة وبصيرة ثاقبة بأخلاق الرجال ، وما تنطوى عليه سرائرهم يقول (١) :

وإن من الصديق عليك ضللتنا

بدالى إننى رجل بصير

بأدواء الرجال إذا التقينا

وما تخفى من الحسك الصدور

فقوله بصير " بأدواء الرجال " يكشف عن بصيرته الثاقبة فى معرفة أدواء الرجال وأسرار أخلاقهم حتى صار طبيباً يسبر أغوار أخلاقهم وما تنطوى عليه سرائرهم .

ولقيط بن يعمر اليماني يبين لقومه أن نصحه وتوجيهه ناتج عن عقل راجح لا عيب فيه ولا نقص يقول (٢) :

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل

فاستمقظوا إن خير العلم ما نفعا

فالشاعر قد أسدى نصحه لقومه بلا دخل أى بلا نقص أو عيب فى عقله بل إنه رجل عاقل أريب خبير بصروف الدهر وتقلباته .

أما يزيد بن الحكم الثقفي فإنه يذكر لابنه بدر فى وصيته أن الأمثال والوصايا لا تصدر إلا من رجل حكيم مجرب يقول (٣) :

يا بدر والأمثال يضربها لذي اللب الحكيم

دم للخيليل سوده ■ ما خسير ود لا يدوم

فقوله " يضربها لذي اللب الحكيم يبين لنا أن الوصية وضرب الأمثال لا تكون إلا

(١) المصدر السابق ص ٤١٠ .

(٢) ديوانه ص ٥١ تحقيق د/ عبد المعبين خان ، نشر دار الأمانة وموسسة الرسالة بيروت ، لبنان سنة ١٣٩١ هـ .

(٣) الحماصة لابن تمام ج ١ ص ٦٦ تحقيق د/ عبد اللطيف عيلان ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

من رجل عاقل حكيم بصير يشئون الحياة قد ذاق حلوها ومرها فغيرها .

ويقول مسمر بن كدام في وصيته لابنه كدام (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي

فاسمع لقول أب عليك شفيع

فقله " شفيع " يعطينا صفة من صفات الموصي وهي الشفقة والود والخوف على الموصى إليه ويقول أبو فراس الحمداني (٢) :

احذر مقارنة اللثام فإنه ■ ينبيك عنهم في الأمور مجرب

قوم إذا أيسرت كانوا إخوة ■ وإذا تريت تغرقوا وتجنبوا

فالشاعر في قوله " . . . ينبيك عنهم في الأمور مجرب " يبين لنا أن تحذيره

من مقارنة اللثام وحته على البعد عنهم ناتج عن خبرته الطويلة وتجربته العميقة فسي

جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، فلقد قاساها حلوها ومرها وخبر الحياة والأحباء

خبرة طويلة .

فالموصي إذن على اختلاف اتجاهاتها تنبئ عن دقة احساس الموصي وكثرة

تجاربه وتشف عن عقول راجحة رزينة ، وفي ذلك ما يؤكد سلامة مصدرها .

أما من حيث صفات الموصى إليه التي ينبئ أن تتوافر فيه لتؤدي الوصية

الغرض منها فإن من العمرا من أشار إلى أن الغرض من وصاياهم إنما هو النصح

والتوجيه للمتلقى ، فلذلك نجد بعضهم يطلب من المتلقى أن يصحح سمعه إلى ما

سيليق عليه لينال الفائدة المرجوة من هذه الوصية ، كما أن بعضهم يطلب من

المتلقى أن يعمل بمقتضى وصيته .

(١) الحماسة للبحرئى ص ٤٠٠ تعليق كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .

(٢) ديوانه : ص ٣٦ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

فمسمرين كدام يطلب من ابنه في الأبيات التي يقول فيها (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي

فاسمع لقول أب عليك شفيع

أن يصيح سبعة وأن يفتح قلبه ويهين عظه إلى ما سيلقى عليه من وصايا
لكي يعمل بقتضاها في حياته . وهذا واضح من فعل الأمر (فاسمع) وما فيه
من دلالة على الإلزام وضرورة التنفيذ .

ويزيد بن حنبل يطلب من زوجه أن تصنى إلى وصيته التي سيلقيها عليها
يقول (٢) :

دعي اللوم إن الميش ليس يدائم

ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم

فإن عجلت منك الملامة فاسمعي

مقالة معنى بحقك عالم

ولا تعذلينا في الهدية إنصا

تكون الهدايا من فضول المغانم

فالشاعر يطلب من زوجه أن تصنى إلى وصيته وأن تفهم معانيها لكي لا تنكسر
عذله وعتابه لعدم تحقيقه رغبتها في تقديم الهدايا والألطف . وهذا المراد أداة
الفعل (فاسمعي) .

وأبو الفتح البستي يطلب من المتلقى أن يفتح قلبه وأن يصنى سبعة إليه
يقول (٣) :

(١) الحاسة للبحرئ : ص ٤٠٠ .

(٢) ديوان شعر الخوارج ص ١٩ جمع وتحقيق د / إحسان عباس ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ دار الفروق بيروت لبنان .

(٣) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٥ لأبي الفتح البستي تعليق عبد الفتاح أبو غدة
الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - مكتب المطبوعات الإسلامية حلب - سوريا .

وأرع سمك أشالا أنصليها

كما يفصل ياقوت ومرجان

فالشاعر يطلب من المرء أن يصفى إليه وأن يستمع إلى وصيته بتأمل وتدبر
لكن يستفيد منها ويحلل يقتضى ما جاء فيها (وأرع سمك) .

أما الشاعر لقيط بن يعمر الهمداني فإنه يطلب من قومه أن يعملوا بما
أوصاهم به يقول (١) :

لقد بذلت لكم نصحي بلادخل

فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم

لن رأى رأيي عنكم ومن سمعا

فالشاعر يخبر قومه أنه قد أخلص لهم في النصيحة فعلهم أن يتبهبوا
لأمرهم وأن يستيقظوا من سباتهم العميق ، فيأخذوا حذرهم من كسرى وجموعه ،
وأن يعملوا بما أوصاهم به لأن خير العلم ما انتفع به (فاستيقظوا - لن رأى ومن
سمعا) .

أما من حيث صفات الرصيدة في ذاتها من خلال حديث الشعراء عنها فإن
الرصيدة - في الغالب - لا تكون إلا في الحث على أمور الخير واجتناب الشر
والتوجيه إلى الأخلاق الفاضلة والمعاني السامية ، فلذلك نجد بعض الشعراء
يصف وصيته بأنها وصية جليلة جدرة بالاهتمام لكن يحتون على مشاعر التلقى
ويجلب اهتمامه وانتباهه فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي (٢) :

بل سوف أخبر من تفهم عنكم

خبراً يفضى سراجهم للعائل

(١) ديوانه : ص ٥١ .

(٢) شعراء أمويون : ص ٥٨ جميع وتحقيق د / نوري القيس الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
عالم الكتب بيروت ، لبنان .

أن سوف تختبر السرائر فاعلموا
لله قبل مخافة وزلازل
وإن أمروا اسدى إليك أمانة
فاطو الأمانة للضمير الداخل

فالشاعر يصف وصيته هذه بأنها واضحة بضيقة كأن سراجا وضاء يتدلى
منها ويشيع النور من حولها ، فمن أخذ بها وعمل بمقتضاها هداه نورها إلى
الطريق الصحيح .

ويقول مسمر بن كدام موجه الخطاب لابنه (١) :

أقدام إنى قد محضت نصيحتى
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحمة والبراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق

فالشاعر يبين لابنه أن وصيته هذه وصية صادقة خالية من الميؤب وأن باعشها
الحب والإخلاص وذلك فى قوله " إنى قد محضت نصيحتى " لأن محض النصيحة
هو الإخلاص والصدق فيها ، وقصد الشاعر من ذلك تحريك مشاعر ابنه إلى ما
سيفلق عليه من وصية .

وأبو الفتح البستى يصف قصيدته التونية التى ضمنها كثيرا من الرمايا -
بأنها كالأمثال وقد جهد فى تهذيبها وتفصيلها يقول (٢) :

وأرج سمعك أمثالا أفصلها
كما يفصل ياقوت ومرجان

فهذه القصيدة كالأمثال السائرة فى حكمتها وبلاغتها قد جهد الشاعر فى

(١) الحماسة للبختري ص ٤٠٠ .

(٢) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٥ .

تفصيلها وتوضيحها كما يوصل الهاجوت والمرجان عقودا متعاقبة ، حق بسدت
واضحة المعاني محكمة البناء .

ويصف هذه القصيدة - أيضا - بأنها قصيدة عظيمة فيها تبيان وتوضيح
لمن أراد ذلك يقول (١) :

خذها سوائر أمثال مهذبة ■ فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها ■ أن لم يقلها فريح الشعر حسان

فهذه القصيدة أمثال سائرة لما احتوت عليه من وصايا وحكم فيها تبيان
وتوضيح لمن أراد ذلك ، وهذه القصيدة قد انصابت من قريحة شاعر مطبوع
وتضمنت وصايا وحكما بليغة ، ولا يقلل من شأنها أن قائلها شاعر محدث وليس
سيد الشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه .

...

(١) قصيدة عنوان الحكم : ص ٤٣ .

ثانيا : لمحة تاريخية عن أدب الوصايا :

لقد حفلت كتب الأدب العربي بوصايا تربوية قيمة ، ففي كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بعض الوصايا في شتى الأغراض مثل وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عندما أوصى له بالخلافة من بعده ^(١) ، ووصية قيس بن عاصم لابنه ^(٢) ووصية المهلب بن أبي صفرة لابنه ^(٣) وغيرها من الوصايا .

ولكن جميع هذه الوصايا وصايا نثرية ولا نثرت على وصية شعرية في هذا الكتاب .

ويقابلنا في هذا العصر أيضا كتاب أبي حاتم المجستانى المعاصر للجاحظ (ت ٢٥٠ أو ٢٥٤هـ) (المعمرون والوصايا) ، وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين ، القسم الأول (المعمرون) ويورد فيه المؤلف أسماء المعمرين مضافا إلى ذلك ذكر بعض الوصايا ، وإن وجد للمعمر وصية سواء كانت شعرية أم نثرية ^(٤) .

أما القسم الثانى وهو " الوصايا " فالمؤلف يذكر فيه بعض الوصايا الأبوية ، ولكنها فى الغالب وصايا نثرية ، وقد يعقب المؤلف وصيته النثرية ببعض الوصايا الشعرية ^(٥) .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٤٥ تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٢) الصدر السابق ج ٢ ص ٨ .

(٣) الصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٨ .

(٤) المعمرون والوصايا لأبي حاتم المجستانى ص ١٤ و ٣٨ تحقيق عبد النعم عامر ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي سنة ١٩٦١م .

(٥) انظر مثلا وصية الحارث بن كعب ص ١٢٢ وصية أبي قيس بن صرمة ص ١٣٣

وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٨٦هـ) يذكر في ثنايا كتابه عيون الأخبار بعض الوصايا مثل وصية عبد الملك بن صالح لمومد ابنه ^(١) ووصية عتبة بن أبي سفيان لمومد ولده ^(٢) وكذلك وصية عبد الملك بن مروان لمومد ولده ^(٣) وهذه الوصايا جميعها وصايا نثرية .

وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) يحتوي على وصايا عديدة مثل وصية لقمان لابنه ^(٤) ووصية عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضي الله عنهما ^(٥) ووصية علي بن أبي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما ^(٦) وغيرها من الوصايا النثرية .

وكتاب الأمالي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) يحتوي على وصايا نثرية عديدة مثل وصية أوس بن حارثة لابنه مالك ^(٧) ووصية عبد الله بن هداد لابنه وقد وردت في الكتاب بعض الوصايا الشعرية القليلة مثل وصية كعب الغنوي لابنه علي التي يقول فيها ^(٨) :

أعلى إن بكسرت تجاوب هامتي
هاما بأغير نازح الأركان
وعلمت ما أنا صانع ثم انتهت
عمرى وذلك غاية الغفهان . . . الخ

-
- (١) عيون الأخبار لابن قتيبة ح ٢٢١ نشر دار الكتاب العربي بيروت ٥ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣ هـ
 - (٢) المصدر السابق ح ٥ ص ١٦٦ (٣) المصدر نفسه ح ٢ ص ١٦٧ .
 - (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ح ٣ ص ١٥٢ تحقيق أحمد أمين وآخرين ٥ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٦ هـ .
 - (٤) المصدر نفسه ح ٣ ص ١٥٥ (٦) المصدر السابق ح ٣ ص ١٥٥ .
 - (٧) الأمالي لأبي علي القالي ح ١ ص ١٣٤ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .
 - (٨) المصدر نفسه ح ٢ ص ٢٢٥ .
 - (٩) المصدر نفسه ح ٢ ص ٣٤٦ .

فما سبق يتضح لنا أن أعلام الأدب وأئمة لم يخفوا هذا الجانب القوي
- أعني فن الوصايا - فلقد تخللت كتبهم الوصايا العديدة ولكن الملاحظ أن
عامّة تلك الوصايا وصايا نشرية وقل أن نجد فيها مختارات من وصايا شعيرة .

وفي العصر الحديث - أيضا - نرى الاهتمام بالوصايا النثرية أكثر من
الوصايا الشعرية ، فلا نكاد نعثّر على حديث مفصل أو دراسة مستفيضة في كتب
تأريخ الأدب عن هذا الفن ، وإن عثرنا على شيء فإننا لا نجد إلا إشارة أو
إلمحا إلى هذا الشعر ، مثل قول الدكتور هوق في ختام حديثه عن
أغراض الشعر الجاهلي - (وهذه الموضوعات التي قدناها جميعا كانت تتداخل
في القصيدة الطويلة ، وكان يتداخل معها ضرب من الحكم والمعاني التهذيبية ،
فالشاعر ما يزال يدلي في تضاعيف قصيدته بتجاربه ، وقد يفرد لها مقطوعات
إذا اتجه بها إلى تقديم وصية لنيه) (١) .

فحديث الدكتور هوق ضيق عن الوصايا هو في قوله (وقد يفرد لها
مقطوعات إذا اتجه بها إلى تقديم وصية ٠٠٠) ولم يقدم أى مثال لذلك .

ولما تحدث عن الوصايا مرة أخرى في العصر العباسي اقتصر على الوصايا
النثرية التي وجهها بعض الأدباء أمثال عبد الله بن المقفع في فنون السياسة
وأدب صاحبة السلطان والوزارة والكتابة (٢) .

وإذا تركنا كتب تأريخ الأدب إلى الكتب والدراسات المتخصصة وجدنا
أن النصيب الأوفر من هذه الدراسات هو الجانب النثري من الوصية .

-
- (١) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - د / هوق ضيف ص ٢١٨
(٢) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - د / هوق ضيف ص ٤٦٨ ،
الطبعة السابعة ١٩٧٨م دار المعارف بصر .

فالأستاذ عبد البديع صقر له كتاب بعنوان " الوصايا الخالدة " وقد قسم الكتاب إلى أربعة أبواب :

الباب الأول تحت عنوان " من هدى القرآن والنبوة " وفيه بعض الوصايا القرآنية وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ووصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حازم (١) .

أما الباب الثاني فإنه يتضمن وصايا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، مثل وصية أبي بكر لخالده بن الوليد ، ووصية عمر إلى أبي موسى الأشعري فسي القضاء ، ووصية علي لابنه الحسن (٢) .

ويجمل المؤلف الباب الثالث لوصايا حكماء الجاهلية والإسلام ، مثل وصية ذى الأصبح المدوانى لابنه ووصية أمانة بنت الحارث لابنتها (٣) .

أما الباب الرابع فإنه تحت عنوان " متفرقات " وفيه بعض الوصايا والمواعظ مثل موعظة طاوس لعمر بن عبد العزيز ، وموعظة سالم لعمر بن عبد العزيز أيضا (٤) .

وهذه الوصايا التي ضمنها المؤلف كتابه جميعها وصايا نثرية عدا وصية شعربة واحدة هي وصية ذى الأصبح المدوانى لابنه أسيد (٥) .

وللأستاذ صالح السليمان كتاب تحت عنوان " وصايا الآباء لابنائه " وجامع هذه الوصايا في هذا الكتاب يذكر بعض الوصايا الأبوية في أغراض شتى مثل

-
- (١) الوصايا الخالدة ، عبد البديع صقر ص ٥ وما بعدها الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ هـ مكتبة وهبه - القاهرة .
 - (٢) المرجع السابق ص ٣١ وما بعدها .
 - (٣) المرجع نفسه ص ٧٨ وما بعدها . (٤) نفسه ص ٩٩ وما بعدها .
 - (٥) المرجع نفسه ص ٧٩ .

الحث على طلب العلم • ومعاشرة الأصدقاء • والأصحاب • ومعاشرة الناس^(١) . الخ

ولكن جميع هذه الوصايا التي تضمنها هذا الكتاب وصايا نثرية عدا وصية شمسية واحدة هي وصية ابن سعيد المغربي (ت ٦١٧) لابنه والتي مطلعها^(٢) :

أودعتك الرحمن في غربتك

مرتقباً رحاه في أوتيك

ولعل من أوسع الدراسات التي تناولت فن الوصايا دراسة الدكتور سهام الفريح في كتابها " الوصايا في الأدب العربي القديم " وهي تتناول فن الوصايا من العصر الجاهلي حتى وسط القرن الخامس الهجري • وقد قسمت كتابها إلى ثلاث أقسام : القسم الأول الوصايا في العصر الجاهلي • والقسم الثاني الوصايا في العصر الإسلامي والأموي • أما القسم الثالث فإنه للوصايا في العصر العباسي •

والنصيب الأوفر من هذه الدراسة هو للوصايا في جانب النثر • وهي وإن ذكرت عدداً من الوصايا الشعرية إلا أنها لم تتعمق في دراستها ولم تقف عندها إلا وقفات يسيرة^(٣) .

ونرى الدكتور علي شواخ الشميبي في كتابه " ملاح ترنوية في الشعر الجاهلي والإسلامي " يعمد لبعض الوصايا الأخلاقية • ففي حديثه عن الناحية التربوية الطبية في الشعر الجاهلي يتناول وصية عبد قيس بن خفاف لابنه جيهل^(٤) ووصية عتبة بن الطبيب لأبنائه^(٥) ويبين ما فيهما من وصايا أخلاقية رائجة

(١) وصايا الأبياء للأبناء • صالح عبد الله السليمان ص ١٤ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ توزيع الحركة الوطنية الموحدة للتوزيع - الرباط .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .

(٣) انظر الوصايا في الأدب العربي القديم ص ٣٩ - ٤٤ ومن ص ١٠٥ - ١١٠ ومن ص ١٨٢ - ١٩٠ .

(٤) ملاح ترنوية في الشعر الجاهلي والإسلامي د / علي شواخ الشميبي ص ٢٠ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الرضا للكتاب .

(٥) المرجع نفسه ص ٢٢ .

وتوجيهات صائبة .

وفي حديثه عن التربية والشعر الإسلامي نراه يتناول وصية يزيد بن الحكم النخعي لابنه بدر (١) وبعض الأبيات لأبي الأسود الدؤلي ومسكون الدارمي (٢) التي تحمل وصايا أخلاقية ، ويبين ما فيها من معانٍ خلقية وأساليب تربوية ناجحة وأخلاق فاضلة .

وأخيراً نواجهنا رسالة الماجستير المقدمة من الباحث " محمد عبد الجواد فاضل " عن الوصايا والحكم وهي بعنوان " الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي دراسة وتحليل " والتي تقدم بها لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٤٠٣ هـ

والباحث في رسالته هذه يتناول الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي عموماً الشعر والنثر على حد سواء ، وقد قسم بحثه إلى ستة فصول درس الوصايا بقسميها الشعر والنثر في فصل واحد وهو الفصل الثالث وكان النصيب الأكبر فيـه للوصايا النثرية ، أما الوصايا الشعرية ، فإن دراسته لها كانت قصيرة .

فما سبق يتضح لنا أن كافة الدراسات التي تناولت الوصايا ينصرف اهتمامها إلى الوصايا النثرية ، ولم تول تلك الدراسات الوصايا الشعرية حقها من البحث والدراسة فمن هذا المنطلق ستكون هذه الرسالة متجهة إلى دراسة شعر الوصايا ، وبيان اتجاهاته ودراسة خصائصه الفنية من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري حسب الخطة التفصيلية السابقة التي أبانت عنها المقدمة والستى تملأ الفجوات الواسعة الظاهرة في الدراسات الأخرى ، وبذلك تكون لهذه الدراسة فساتنها المميزة إن شاء الله تعالى .

-
- (١) ملاح تربوية في الشعر الجاهلي والإسلامي ص ٥٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٠ وما بعدها .

البيان للقول لنجاحات سر الصلاة

الفصل الأول: سر الصلاة للجماعة .

الفصل الثاني: سر الصلاة الفردية .

الفصل الثالث: سر الصلاة المنسية .

الفصل الرابع: سر الصلاة الموحية .

الفصل الخامس: سر الصلاة الموقوتة .

الفصل السادس: سر الصلاة الزميرية .

الفصل الأول

سر الوصايا الالهيه

١. الحث على طلب الحق والالتفات بالنفس عن الفاسد.
٢. الحث على الذكر والافتقار الى الله.
٣. الحث على مصاحبه الله خبير والتمسك بحسنه والامتناع.
٤. التحلي بالافلاخ والفهمه.
٥. الاستشارة العقلاء.
٦. آداب الخيرات والامتناع والحث على لزوم الصمت.
٧. حفظ السر.
٨. الحث على الصبر.
٩. التمسك بحسنه فطره والتمسك.
١٠. الحث على السفر وآداب.
١١. التمسك بالوحد.
١٢. آداب زياره الخواص.

شعر الوصايا الاجتماعية

شعر الوصايا الاجتماعية هو الاتجاه الأول من شعر الوصايا ، وأقصد بالوصايا الاجتماعية تلك الأُصْمار التي يوجهها الشاعر إلى المجتمع بأسره غير قاصد بها شخصاً معيناً ، يبتغى من ورائها التأثير في المجتمع وتأكيد الجوانب الخلقية الحميدة فيه ، ومحاولة جملة يسير في الطريق الصحيح الموصى في شتى مجالات الحياة ، وسأتحدث عن ذلك بالتفصيل إن شاء الله .

١ - الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن الناس :

تناول الشعراء هذا الموضوع من جوانب شتى ، فكل شاعر يدلى برأيه ويفصح عن وجهة نظره حسب ما يراه وسيلة نافعة لطلب الرزق .

فعمرو بن الورد المبسى ^(١) يوصي المرء بالمخاطرة وركوب الأهوال بحثاً عن الرزق يقول ^(٢) :

خاطر بنفسك كي تُصِيبَ غِيْمَةً
إن القَمُودَ مَعَ المِهَالِ قَبِيحٌ

(١) عمرو بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناعب العيص ، ويلقب بعمرو الصماليك لجمعه إياهم وقبائهم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، ويعد عمرو من الشعراء الجاهليين ، وفارسا من الفرسان ، وصلوكا من الصماليك المعدود بين القدماء الأجواد . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٦٦ ، والأغاني ج ٣ ص ٧٣ ، وخزانة الأدب ج ١٠ ص ١٠ .

(٢) ديوانه ص ٢ تحقيق د / عبد المعين الطلوح زه وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٦٦ م .

المال فيه مهابةٌ وتَجَلَّاةٌ
والفقر فيه مذلةٌ وفُضُوحٌ

فالشاعر يوصي المرء ويقول له لا بد أن تجد وتجتهد في طلبك للرزق وأن
تخاطر بنفسك وتركب الأهوال والمخاوف ، فتشن الغارات لتحصل على الرزق
والغنمة بدلا من قعودك بين أولادك وأنت فقير مفلس لأن ذلك أمر حقير
قبيح ، وأعلم أن للمال منزلة رفيعة عند الناس ففيه المهابة والجلالة ، أما
الفقر فليس فيه الا الذلة والمهانة واحتقار الناس لصاحبه .

والناخبة الذبياني (١) يحث الانسان على طلب الرزق والاغتراب من أجله
إن دعت الحاجة إلى ذلك يقول (٢) :

إذا المرء لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسه
شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثر
وصار على الأفنين كلاً وأوعك
صِلات ذوى القربى له أن تنكرا
فَيز في بلاد الله والناسِ الغنى
تَمِشُ ذا يسارٍ أو تموت فتَعذرا
وما طالب الحاجات من كل وجه
من الناس إلا من أجدَّ وعَمرا

(١) وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني وكنيته أبو أمامة شاعر جاهلي
اشتهر بدمعه للنعمان بن المنذر واعتذارياته له ، وكان شريفا مقدما نفس
قومه فغضب منه الشعراء ، عده ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين
انظر ترجمته في طبقات نحول الشعراء ج ١ ص ٥١ ، والشعر والشعراء ج ١
ص ٢٣ ، والاغانى ج ٢ ص ١١ .

(٢) لباب الآداب لاسامة بن منقذ ص ٢٧ تحقيق أحمد شاكر ، الناشر دار
الكتب السلفية سنة ١٤٠٧ هـ نشرت عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ .

ولا ترفى من عيشٍ بدونٍ ولا تنم
وكيف ينام الليل من بات مغسرا
...

فالشاعر يقول : عليك أيها الإنسان بالاجتهاد في طلب الرزق فإنك إن لم تطلب معاشك بنفسك شكوت الفقر المستديم ، وغذلت أصدقاك لمقدم معاونتهم لك ، وصرت عالة على أقربائك ، فيغضونك ويتخلون عنك ، ولكن اعمل الأسباب لطلب الرزق الذي يغنيك عن الناس ، ولو كان في ذلك مشقة وتعب .
فاضرب في الآفاق للحصول على المال ففي السفر منفعة عظيمة ، فإما أن تمشي شربا عزيزا كريها ، أو تموت في سبيل ذلك فتعذر في أمرك .

وعليك بالثابرة والصبر فالمال لا يحصل الا (لمن أجدّ وعسرا) وعليك بعملو الهمة فلا ترفى بالعيش الدنيء ، وأتعب نفسك واسهر الليالي لكسب تحصل على العيش الرغيد والرزق الوافر الكثير (فكيف ينام الليل من بات معسرا)

والشاعر أحبة بن الجلاح الأوس^(١) كذلك يوصي المرء بأن يطلب غناه ورزقه بنفسه وأن لا ينظر الى ما بأيدي الناس يقول^(٢) :

استغنِ أو مت ولا يفرِّدَكَ ذو نسب
من ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالٍ

(١) أحبة بن الجلاح بن الحرث بن جحجج الأوس ، وكنيته أبو عمرو ، شاعر جاهلي مقل ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت أم عبد المطلب ابن هاشم تحته ، انظر الاغانى ح ١٥ ص ٢٧ خزنة الأدب ح ٣ ص ٣٥٧

(٢) ديوان أحبة بن الجلاح ص ٧٨ تحقيق حسن باجوده منشورات نصادى الطائفة الأدبية ١٣٩٩هـ

يلوون مَالَهُمْ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ

وعن عشيرتهم والعقّ للوالى

فاطلب غناك أيها الانسان بنفسك ولا تنظر الى ما بأيدي الناس وخصوصا أقاربك ، فان هؤلاء الأقارب في كثير من الأحيان لا يفون بحقوق أقاربهم عليهم ولا حقوق عشيرتهم وأفراد قبيلتهم ، فذلك عليك أن تجد وتشعر عن ساعدك لتحصل على رزقك من كسب يدك ، وان لم تقدر على ذلك فان الموت أهون من المنزلة التي ستؤول اليها من الفقر والحاجة ومن منة أقاربك عليك ان أعطوك .

وللشاعر بيت آخر يوهكه ما قاله في البيتين السابقين يقول (١) :

استغن عن كلّ ذى قرى وذى رحيم
إنّ الغنى من استغنى عن الناس

فعليك أيها الانسان أن تستغنى عن أقاربك وذى رحيمك وأن تحصل على عيشك وغناك من نصيبك وجهدك فإن الغنى (من استغنى عن الناس) .

وإذا كان الشعراء الجاهليون قد حثوا على طلب الرزق فإنه بالمقابل حث الشعراء الإسلاميون على ذلك وأوصوا به ولكن من طرقه المشروعة ومن الرزق الحلال .

ومن هنا لم يعد هناك من يوصى في طلب الرزق بالإغارة واللب والنهب كما نجده عند عمرو بن الورد ، بل على الإنسان أن يطلب معاشه من الله سبحانه وتعالى وأن يبذل الأسباب لذلك ، وهذا من تأثير الاسلام في نفوس الشعراء الاسلاميين .

(١) المصدر السابق ص ٦٦ .

فالخليفة الراشد على بن أبي طالب رضى الله عنه يوصى المرء بأن يطلب الرزق الحلال وأن يستغنى عن الأرزال يقول (١) :

وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ بَابِ حِلِّهِ
يَضَاعَفُ عَلَيْكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَصَنِّ مِنْكَ مَاءَ الْوَجْهِ لَا تَهْذُلْنَاهُ
وَلَا تَسْأَلِ الْأَزْدَالَ فَفَلَ الرِّغَائِبِ
...

فعلى رضى الله عنه يوصى المرء أن يطلب الرزق الحلال وأن يجتنب الأمور المحرمة لأن ذلك ما يضاعف الرزق ويكثره ، لأن الله سبحانه وتعالى ييسرك فيه ، وعلى الإنسان أن يصون ماء وجهه فلا يطلب رزدا من اللقائم والأرزال ، لأن هذا ما يحقره ويهينه وبدلا من طلب الأرزال واللقائم عليه أن يجد فى طلب معيشته من وجوه الحلال ، ويقول فى مقطوعة أخرى (٢) :

لَا تَطْلُبَنَّ مَعِيشَةً بِذَلِكَ
وَارْزُقْ بِنَفْسِكَ عَنْ دَيْنِ الْمَطْلَبِ
وَإِذَا انْتَقَرَتْ قَدَاوِ فَقْرِكَ بِالْفَنَى
عَنْ كُلِّ ذِي دَيْنٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
فَلْيَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ رِزْقُكَ كُلَّهُ
لَوْ كَانَ أَبْعَدَ مِنْ مَحَلِّ الْكَوْكَبِ
...

فعلى رضى الله عنه يقول : طلب الرزق يجب أن يكون بحزمة وشموخ وإباء للنفس فعليك أيها المرء أن لا ترضى بالمعيشة الذليلة ولو كان فى ذلك غناك ، وارفع

(١) شعر الخلفاء ص ٣١ تهجير نبال خماسي .

(٢) الصدر السابق نفس الصفحة .

قدر نفسك فلا تسأل الناس ما بأيديهم .

وإذا نزلت عليك أيها الانسان بلوى الفقر في يوم من الأيام فهناك علاج ناجح لهذا الهلاك والمرض ، وهو التداوى بغنى النفس ، وخصوصاً عن سبب الأخلاق والطباع وهم اللثام والأرجاس الذين لم يجلد الأجر بفتح أخلاقهم وسوء طباعهم .

وعليك بالاعتكاف على الله والقناعة لأن رزقك الذى كتب لك سيأتيك بأجمعه ولقد لك أن هذا الرزق بمحمد المال صعب الحصول .

والشاعر النمر بن تولب المكللى (١) رضى الله عنه يوصى المرء بأن لا ينظر الى ما في أيدي الخلائق وأن يرجو الله وحده فى طلبه للرزق يقول (٢) :

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فى ماله
وعلى كرائم صلبٍ مالكَ فاغْضَبِ
وإذا تبكَّ خِصَاصَةً فارِجِ الفِئَةِ
وإلى الذى يعطى الرغائبَ فارغِبِ
...

فالشاعر يقول عليك أيها المرء أن لا تنظر الى ما بأيدي الناس وأن لا تغضب على أحد إذا لم يضحك من ماله شيئاً ولا تلوذك بلسانك فهو حر فى ملكه يتصرف

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش المكللى شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم وحسن إسلامه ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والنمر شاعر جواد واسع العطاء كثير القرى وهاب لماله ويغنيه شعره بشعر حاتم الطائي وكان أبو عمرو بن العلاء يحسبه الكسب لجودة شعره ، عمر طويلاً حتى أهرق وخرف ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١٥ والأغاني ج ٢ ص ٢٢٣ وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٢١ .

(٢) شعراء إسلاميون ص ٣٣٢ د / نوري حمزى القيسى نشر عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ط الثانية سنة ١٤٠٥ هـ بيروت .

فيه كيف يشاء ، وأعط الناس وأطعمهم من نفائس مالك وانتصر عليها ولا تنتظر إلى غيرها .

وإن انتابتك نائبة من نوائب الزمان والفقر فاطلب الغنى من الله سبحانه وتعالى وارغب إليه فإنه هو المقسم لأرزاق المباد جميعا .

والشاعر سهم بن حنظلة ^(١) يوحى المرء بالجد في طلب الرزق ويحثه على تجشم مصاعب السفر والاغتراب في سبيل الحصول على الرزق ، وينعت الشاعر للمرء الخيل التي يجب أن يركبها في سفره يقول ^(٢) :

يا أيها الراكب المزعج مطيته
لا نعمة تبقي عدى ولا نسا ^(٣)
أعص الموائل وأزم الليل عن عرق
بذي سبيب يقاس ليله خيبا ^(٤)
نابي المعدن خاط لحمه زهم
سام يجد جهاد الخيل منجذبا ^(٥)
ملء الحزام إذا ما اشتد مخزمه
ذي كاهل ولسان يملأ اللببا ^(٦)

(١) هو سهم بن حنظلة بن جأوان بن خويلد الفنوي ، فارس مشهور ، وشاعر محسن ، من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ، انظر المؤلف والمختلف للأمدى ص ١٤٦ ، وخزانة الأدب ج ٩ ص ٤٣٥ ومن الغائع من معجم الشعراء ص ٧٢ .

(٢) الأصمعيات ، اختيار أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ص ٥٣ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، نشر دار المعارف بصرى أزهج مطبته أى دفعها .

(٣) السبيب : شعر الناصية ، الخيب : ضرب من العدو .

(٤) المعدن : موضع دفن السرج ، خاط : مكتنز اللحم ، لحم زهم : متفرد ، مشتد : منجذبا : الانجذاب سرعة السير .

(٥) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ، اللبان : الصدر ، اللبب : ما يشد في صدر الدابة لمنع استئثار الرجل أو السرج .

- يَظَلُّ يَخْلُجُ طَرَفَ الْمَيِّنِ مُسْتَرَفًا
 فوق الإكامِ إذا ما انتصَّ وارتقبَا (١)
 كالسمع لم يَنْقُبِ الْبَيْطَارُ سُرَّتَهُ
 وَلَمْ يَدْجِبْهُ وَلَمْ يَهْرِبْ لَهُ عَصَا (٢)
 عَارِي النَّوَاهِقِ لَا يَنْفَكُ مَقْتَمَدًا
 فِي الْمَطْنِيَّاتِ كَأَسْرَابِ الْقَطَا عَصَا (٣)
 تَرَى الصَّانِجِجَ تَرَى بَعْدَ مَا لَغِبَتْ
 بِالْقَدِّ مَرِيًّا وَمَا يَمْرَى وَمَا لَهَا (٤)
 يَدْنِي الْفَتَى لِلْفَتَى فِي الرَّاغِبِينَ إِذَا
 لَيْلُ التَّمَامِ أَهَمَّ الْمَقْتَرِ الْعَرَبَا (٥)
 حَتَّى يُصَادِفَ مَا لَا أَوْ يُقَالُ فَتَى
 لَا قَى التَّى تَفْعَبُ الْفَتَيَانِ فَاثْمَبَا (٦)

...

فالشاعر يقول : اعص أيها المرء الغواني والعاذلات اللاتي يخوفنك
 منه أخطار سفره واطلب الرزق والغنى من كسب يدك .
 وسافر غير وجل ولا خائف واقطع الغايي والقفار طلبا للميش على فرس أصيل
 . يقطع الليل أجمعه مخيا ، تعجز الخيل عن اللحاق به لسرعة عدوه وقوته .
 لاكمال خلقه ، واعتداده لحمه واكمال جميع صفات الحسن فيه . فلم يحتاج

- (١) يخلج : يحرك ، انتص : ارتفع ، ارتقبا : اشرف وعلا فوق رابية أو علم .
 (٢) السمع : ولد الذئب من الضبع .
 (٣) عارى النواهق : الناهقان عظامان شاخصان من ذى الحافر في مجر الدمع
 ويقال لهما النواهق ، وعريهما : تجردهما من اللحم ، مقتعدا : مركوبا .
 المطنيات : التي يتبع بعضها بعضا في الجرى .
 (٤) الصانجيج : الجياد الروائع من الخيل ، تمرى : يستخرج ما عدها من الجرى
 بالسوط ، لغبت : تعبت ، القد : السوط .
 (٥) ليل التمام : أطول ليالي الغناء ، المقتر : الفقير العقل ، العزبا : الذى
 لا زوج له . (٦) تشعب الفتيان : أى تهلكهم وتفرقهم ، ويصعد بها الضية .

إلى البهطار يوما لمعالجته لخلوه من جميع الأمراض ، فإما أن تصادف مالا فسي
سفرك هذا وتستغن عن الناس ، أو تلاق الموت فتعذر ، فأحد هذين الأمرين
أشرف من سؤال موالى السوء .

ويكمل الشاعر وصيته بقوله (١) :

إِنْ انْتِيَابَكَ مَوْلَى السَّوِّ تَسَالَهُ

مِثْلَ الْقُمُودِ وَلَمَّا تَتَخَذْ نَفْسًا (٢)
إِذَا انْفَقَرَتْ نَأَى وَاشْتَدَّ جَانِبُهُ

وَإِنْ رَأَى خِيَا لَنْ وَاقْتَرَبَا
وَدَوَّ الْقَرَابَةِ عَدَّ النَّهْلُ يَطْلُبُهُ

وَهُوَ الْبَعِيدُ إِذَا مَا جِئْتَ مُطْلَبًا
لَا يَحِيلَنَّكَ إِقْتَارٌ عَلَى زَهْدٍ

وَلَا تَزَلْ فِى عَطَا لِّلَّهِ مَرْغَبًا
لَا .. بَلْ سَلِ اللَّهَ مَا ضَيَّوْا عَلَيْكَ بِهِ

وَلَا يَمُنَّ عَلَيْكَ الْمَرْءُ مَا وَهَبَا

...

إن وقوفك على باب لثيم دنى* تطلب منه معونةً ورفداً مثل قمودك صفر
اليدى لا مال معك لأنه لن يمنحك شيئاً مما طلبته ، لسوء أخلاقه وطباعه ، واعلم
أنك إن انفقرت ابتعد عنك هذا اللثيم وقلب لك ظهر المجن ، وإن أحسن بفنائك
اقترب منك وألن جانبه لك طلباً للنوال والهبات منك .

وأياك والبخل فلا يحدو بك الفقر إلى الإمساك وعدم البذل ، فالله الذى

(١) الأضمعيات ص ٥٥ .

(٢) انتيابك : أى قصدك له مرة بعد أخرى ، النشب : المال الأصيل .

وهب لك هذا المال موجود فلا تنفك عن رجائه والطمع فيها عنده . واسأل الله سبحانه وتعالى بما ضنوا به عليك لأنه بيده مفاتيح الرزق . وبدعوتك إياه . وإخلاصك لله واعتقارك إلهه تعلم من سنن الرجال إن أعطوك .

ومن الوصايا في الاعتماد على النفس وعدم النظر إلى ما بأيدي الناس وإن كان قريباً في نظر بعضهم قول أبي الأسود الدؤلي (١) :

فلا تشمرنَّ النفسَ يأساً فإنَّما
يميشُ بجدٍّ حازمٌ وليدٌ
ولا تطمئنْ في مالٍ جارٍ لقريبه
فكُلَّ قريبٍ لا ينالُ بعيدٌ (٢)

...

فعلى المرء أن لا يشمر بنفسه
باليأس لما فاتته من الرزق ولكن عليه أن يبتغي طلب الرزق ويجتهد فيه ويحمل له
أسبابه .

فبالعمل الدؤوب والجهد المتواصل يعيش الإنسان ويكسب رزقه سواء كان
حازماً وصاحب رأى شديد أو كان رجلاً قليل الفهم والذاكرة بلهذا لأن مدار
كسب الرزق على الجد والاجتهاد والسعي الدؤوب المتواصل .

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندل بن الدئل . تابعي من أهل
البصرة . وكان من أصحاب علي رضي الله عنه في معركة صفين . شاعر مجيد
مات بالبصرة بعدما هزم سنة ٦٩ هـ في طاعين الجارف .
انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٢ . والشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٣٣ .

(٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي ص ١٥٢ صنعة السكري بتحقيق محمد حسن آل
ياسين . نشر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط الأولى سنة ١٩٧٤ م

وعلى المرء أن لا ينظر الى ما في أيدي الناس وإن كان جاره الملاصق له لأنّ الفسء وإن كان قريباً إذا لم يستطع أحد نواله فهو بعيد جداً .

وقد أوصى الشعراء بالحدّ من الكسب الحرام لأنّه لا بد أن يبقى في يده من الأيأم وخصوصاً إذا علمنا أن الدنيا غدارة غير مأمونة الجانب فقد ينقلب هذا الفنى الى فقر في طرفة عين يقول في ذلك الحسين بن مطير الأسدي (١) :

وقد تَغَدَّرَ الدنيا فَيُخِصِّي غَنِيَّهَا
فَقِيْرًا وَيُغْنِي بَعْدَ يَوْمٍ فَقِيْرَهَا
فَلَا تَقْرَبِ الْأَمَرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ
حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيْرَهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيْرٍ عَظِيْمٍ
وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ اكْتِرَارٍ غَيْرِهَا (٢)

...

فالدنيا غدارة ليس لها أمان ، فقد تنقلب الموازين في لحظة من اللحظا فيغنى الفقير بعد بؤس وعوز وحاجة ، ويفتقر الغنى بعد وجاهة وثراء ، فإذا كان الأمر كذلك فإن على المرء أن يصحح طريقه في طلبه لرزقه وماله ، ويجتنب الكسب الحرام ، لأنّ حلاوة هذا المال تذهب مع مرور الزمن ولكن الإثم الذي لحقه من جراه كسبه له من طريق غير مشروع يبقى أبداً الدهر ولن يزول حتى

(١) الحسين بن مطير بن مكل مولى لبني أسد بن خزيمه . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح ، مدح بني أمية وبني العباس وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية توفي سنة ١٦٩هـ انظر الأغاني ح ١٦ ص ١٧ وخزانة الأدب ح ٥ ص ٤٧٥

(٢) الأغاني ح ١٦ ص ٢١ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

يقض الله بين العباد .

والقاعة خلّة يجب أن يتصف بها الإنسان فلا يأس على ما فاتته ولا يندم خصوصا في طلبه للمعيشة لأن ندمه لن يكسبه شيئا ولكنه إذا لزم الصبر فإنه سوف يحوّل خيرا مما فقد منه يقول أبو تمام (١) :

لا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بِعَدِّ شَمَائِمِهِ
فَتَرَوْهُ سَبْعًا إِذَا مَا غَضَا
مَا عَوْضَ الصَّبْرِ أَمْوَدُ إِلَّا رَأَى
مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عَوْضَا (٢)

...

فالشاعر يوصي المرء أن لا يأس على ما فاتته من رزق غاب عنه لأنه إن استبد به الإسى استغلقت بوجهه الأبواب وصعبت المسالك وسيجد أن طلب الرزق مرة أخرى بعد تفريطه بما حقيق صعب الخال مخيفا لن يستطيع أن يصل إليه مرة أخرى مثله مثل الأسد في غابته لا أحد يستطيع الاقتراب منه لقوة بطشه وبأسه ولكن على الإنسان أن يتحلّى بالصبر وعليه بالقاعة والجد والاجتهاد والثابرة وسيمحو رزقا خيرا مما فقد منه فكل امرئ أعطى صفة الصبر وتحلّى بها وجد أن الذي فقد منه أقل بكثير مما عوض وأعطى جزاء صبره ومثابته .

...

(١) هو حبيب بن أوس الطائي صليبة وكهنة " أبو تمام " ولد ببنيج ، شاعر عباسي مشهور متفنن في كثير من الأغراض لطيف الفطنة دقيق المعاني غوامض على ما يستصعب منها له مذهب شعري تميز به وهو مذهب الصنعة وقد قامت لذلك خصوصيات حوله وحول البحتري في تفضيل أحدهما على الآخر ، مات سنة ٢٣١هـ انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٢ والأغانى ح ١٦ ص ٣٨٣ .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ح ٢ ص ٣٠٣ تحقيق / محمد عبده عزام ، ط الرابعة نشر دار المعارف ، مصر .

وبعد رحلتنا مع وصايا الشعراء في طلب الرزق والاستغناء بالنفس من عند
العصر الجاهلي ، رأينا كيف أنهم اتفقوا على البحث في طلب الرزق والاستغناء بالنفس
مهما كلف الأمر ولكن هناك اختلافا بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي
حيث نرى شعراء العصر الجاهلي يوصون بطلب الرزق من أي جهة ومن أي باب
حتى ولو بالإغارة والبطش كما هو عند عمرو بن الورد .

ولكن شعراء عصر صدر الإسلام وما تلاه من العصور أوصوا الإنسان بالجد
في طلب الرزق من الأبواب المشروعة ومن أوجه الخلال كما هو عند علي بن
أبي طالب رضي الله عنه وكما حذر من المال الحرام الحمين بن مطير الأسدي .

وأوصوا بالانكسار على الله وعدم الأمل على ما فات واللجوء إلى الله في
حال الفقر والعوز مع إيصائهم بالجد والاجتهاد والثابرة والعمل الدؤوب كما
نرى ذلك عند النمر بن تولب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢ - الحث على الكرم وإنفاق المال :

الكرم وبذل المال من الصفات التي حمدها العرب في جاهليتهم وأغسادوا بها وتغنوا بمدح من اتصف بها وأوصوا بها ودعوا إليها . وقد أكد الإسلام على التخلق بهذه الصفة وحث الناس عليها .

وقد كان للظروف التي عاشها العربي ارتباط وثيق بهذه الصفة الحميدة . وأهم هذه الظروف صعوبة المعيشة وقلة أسبابها في الجزيرة العربية الصحراوية . نصار عندهم إكرام الضيف وبذل المال للمحتاجين من الأوصاف الحميدة والمدح العظيمة وقد اشتهر العرب بهذه الصفة وتميزوا بها عن غيرهم من الأمم وتواصوا بها .

وكان لإنفاق المال والكرم مزايا عظيمة لعل من أهمها ستر عيوب الشخص فلا يمرضها الناس لاشتهاره بالكرم والعروة . أما إن كان على النقيض من هذه الصفة واتصف بالبخل والشح فإن عيوبه ستظهر للكل صغيرة كانت أم كبيرة . لأن أقبح هذه العيوب قد ظهر للناس وهو البخل . يقول طرفة بن العبد (١) :

وَيُظْهِرُ حَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بَخْلُهُ
وَيَسْتَرُّهُمْ عَنْهُمْ جَيْمًا سَخَاؤُهُ

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري شاعر جاهلي أحدث الشعراء سنًا وأقلهم عمرا قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين وقيل قتل وله ست وعشرون سنة . قتله عمرو بن هند بإيعاز إلى عامله على البحرين . في قتله قال عنه أبو عبيدة : طرفة أجودهم وأحده . انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٣٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٩١ ومعاهد التصحيح على شواهد التلخيص ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢) ديوانه ص ١٣٨ تحقيق درية الخطيب . ولطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

تَقَطَّ بِأَسْبَابِ السَّخَاءِ فَإِنِّي
أَرَى كُلَّ عَمِيٍّ وَالسَّخَاءِ غَطَاوُهُ

...

ومن الوصية على إنفاق المال والحث على الكرم والنبل والنهي عن الفسح
والبخل قول عدى (١) بن زيد العبادي :

وَلَا تَلْجِ إِلَّا مِنَ الْإِمِّ وَلَا تَلْجِ
وَيَا بَذْلَ مَنْ شَكُوَى صَدِيقَكَ فَأَعْدِدْ
عَسَى سَائِلًا فَنَسِي حَاجَةً إِنْ مَنَعْتَهُ
مِنَ الْيَوْمِ سَوْفَ أَنْ يَسُوكَ فِي غَدٍ
وَلِلْخَلْقِ إِذْ لَالٌ لِمَنْ كَانَ بِأَخِيلاً
ضَمِنْنَا وَمَنْ يَبْخُلُ يَذَلُّ وَيَزْهَدُ
وَلِلْبَخْلَةِ الْأُولَى لِمَنْ كَانَ بِأَخِيلاً
أَعَفْتُ وَمَنْ يَبْخُلُ يَلُمُّ وَيَلْهَدُ

...

فالشاعر يوصي الإنسان ببذل قسط من ماله لصديقه إذا نزلت به نازلة
أو حلت به مصيبة وأن لا يرد سائلاً جاءه مستجدياً وطالبا نواله لأن الدنيا
متقلبة الأحوال ، فلربما انقلب ما استحسنته اليوم من رده لهذا الرجل المسترفد

(١) عدى بن زيد بن حماد بن أيوب التميمي ، كان كاتبا لكسرى ، شاعر فصيح
من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وليس من يحد في الفحول ، قال عنه
الأصمعي وأبو عبيدة : عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم
يعارضها ولا يجرى مجراها ، قتله النعمان بن المنذر .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ، ح ١ ص ١٣٢ والشعر والشعراء ، ح ١
ص ٢٣١ والأغاني ، ح ٢ ص ٩٧ .

(٢) ديوان عدى بن زيد العبادي ص ١٠٧ - ١٠٨ تحقيق محمد جبار المعبيد
نشر وزارة الثقافة بغداد سنة ١٩٦٥ م .

إلى استياء وندم في يوم آخر ، لأنه قد يحتاج إلى هذا الشخص في يوم من الأيام ويركع ذليلاً أمامه طالباً من عطاياه لنزول نازلة بساحته أو حلول مصيبة الفقر في داره .

ومن اتصف بالسخ والبخل لقي جزاءه من أفراد مجتمعه وقومه وهو الإهانة والذل ، وانحطت منزلته بينهم . بل إن منزلته عند قومه ستكون في الحضيض لأن البخل دائماً مذل ومهان يخوف من الناس مزهود فيه فلا يساوى عندهم شيئاً .

ويتابع الشاعر وصيته فيوصي المرء الذي بخل مرة واحدة أن لا يعود لها مرة أخرى إذا أراد أن يستتقذ عرضه من الناس ولا يدنس سمعته ويجعلها فسي أسفل سافلين لأن من اتصف بالبخل فسوف يسب ويشتم وبذل أيما ادلال .

وفي هذا المعنى نجد زهير بن أبي سلى ^(١) يوصي المرء بالكرم والبذل يقول : (٢)

وَمَنْ يَكْ ذَا فَضْلٍ وَيَخَلِّ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ يَتَنَفَّسَ عَنْهُ وَيُذَمِّمَ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَفِهِ
يَمْلُؤُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الْقَتْمَ يَقْتَمَ

(١) هو زهير بن أبي سلى - واسم أبي سلى ربيعة بن رباح بن قوط بن الحارث المزني ، شاعر جاهلي عده ابن سلام في الطبقة الأولى من طبقاته ، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه أشعر الشعراء لأنه لا يعاقل في كلامه ولا يتبع حوى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ويعد زهير من المتحنفين في الجاهلية ، مات قبل البعثة النبوية .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥١ والشعر والشعراء ج ١ ص ١٤٣ والاغانى ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢) شرح ديوان زهير ص ٣٠ صنعة أبي العباس ثعلب نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية نشر دار القومية سنة ١٩٨٤م القاهرة .

فالناس لابد فاعلون ومتكلمون ، فلذلك يجب على المرأة أن يشتري عرضها من الناس بالهذل والكرم ، ويجعل المال حاجزاً عن المساس بعرضها .

أما إن بخل وضح بما يملكه على قومه وحرص عليه فلا يلومن إلا نفسه لأنهم سوف يستهزئون به ويذمونه ويشتمون ، لأنه هو الذي جنى على نفسه وعرضها لألحنتهم . ويقول سليمان (١) ذو الدنة (٢) :

إذا المرأة لم يشتتر عن الذم عرضها
بيلغة ضيف أو بحاجة قاصد
فما المال إلا مظهر لمعيبه
وداع إليه من عدو وحاسد
وما المرأة محموداً على ذى قرابة
كفاه مهماً دون نفع الأبايد
ومن لا يواتمه على الجود وجدّه
فإن جميل القول إحدى المحامد
...

فالشاعر يوصي الإنسان أن يحص عرض من الذم والانتقاص بإكراهه لضعفه وقضائه لحوائج القاصدين إليه وعلى المرأة أن يساعد الأبايد من الناس ولا يكتفى ويقتصر بنفسه ومعروفه على أقاربه ، حتى يسلم عرضها وجاهه من الانتقاص والسب ، لأن إمساك المال والبخل يدعو إلى اظهار المعيوب والمثالب ، وإذا لم يكن في يد المرأة كفاية لقضاء حوائج من جاء طالباً نواله ولم يواتمه على الجود وجدّه ،

(١) هو سليمان ذو الدنة بن عمرو بن الحارث بن شقذ بن الوليد الهمداني الأرجسي شاعر جاهلي . لم أجد له سوى هذه الترجمة في شعر همدان في الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ .

(٢) شعر همدان في الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ جمع وتحقيق محمد عيسى أبو ياسين ، نشر دار العلوم ، الرياض ط الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

فالكلام الحسن والرد الجميل يمد إحدى المحامد .

وحاتم الطائي (١) الجواد المشهور يوصى المرء ببذل وإبفاق المال ونهس عن إمساكه وبقاؤه بيده يقول (٢) :

أَهْنِ فِي الذِي تَهْوَى التَّلَادَ فَإِنَّهُ
يَصِيرُ إِذَا مَا يَتَّ نَهْبًا مُقْسَمًا
وَلَا تَشْفِقَنَّ فِيهِ فَيَمَقَّدَ وَارِثٌ
بِهِ حَسْبُ تَحَقَّى أَغْبَرَ الْجَوْفِ مُظْلِمًا

...

فالشاعر يوصى الرجل الغنى بقوله : إن عليك أيها الثرى أن تهين هذا المال النفيس الذي بين يديك وإهانتة هي بذله وانفاقه على قومك وطالبي نوالك وفيما تنهوا من ملذات وطعامه وعطيك أن لا تبخل على نفسك وطالبي نوالك لأن هذا المال الذي جمعته وتمعت فيه سيتحول من ملكك ويصير إلى ملك وارثك الذي يأخذه غنية من غيرك ولا تعب ويأكله لقمة سائغة .

وعليك أيضا أن لا تشقى بتسعة المال وتكثره دون أن تعطى منه أحدا بسل أنفقه لأنك سترحل عنه ولن تستفيد منه بعد ما تخترمك يد المنون وتوضع في قبر ضيق مظلم ، ولكن المستفيد منه هو وارث هذا المال الذي : (٣)

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحنفية من طي . شاعر جاهلي جيد الشعر ، وكان جوادا كريما ويعد أحد أجواد العرب المشهورين أخباره في الكرم والمروءة كثيرة قال عنه ابن الأعرابي كان حاتم من شعراء الجاهلية وكان يشبه جوده شعراء صدره ويصدق قوله فعله .

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤٧ وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٧ .

(٢) مختارات شعراء العرب لابن الفجرى ص ٤٨ تحقيق على البجاوي ، نشر دار نهضة مصر ب . ت .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ .

يَقْسَمُ غَمًا وَشَرِي كَرَامَةً
وقد صُرْتُ فِي خَطٍّ مِنَ الْأَرْضِ أَغْطَا
قَلِيلًا بِنَا بِحَدْنِكَ وَارْتِ
إِذَا سَأَلَ مَا كُنْتَ تَجْمَعُ مَغْنَمًا

...

فيقتسم الورثة هذا المال الذي أمضيت في جمعه السنين الطويلة ولم تنفقه
في وجوهه الكثيرة كما تقتسم الغنائم ، فيعدون هذا المال الذي حصل لهم غنمة
حصلوا عليها من غير حرب أو ضرب ، وأكثر الورثة غير قانعين بنصيبهم من مالك
الذي جمعت لهم فلن تسلم من ألسنتهم ، فيبدل جسدك وشكرك وذكرك بالخير
جزءاً ما أبقيت لهم ، يذمونك لأنك لم تبق لهم مالا أكثر مما حصلوا عليه -
وهذا هو جزء المسك البخل .

ويواصل الشعراء وصاياهم وحشهم على البذل والإنفاق فيقول تميم ^(١) بن
مقبل ^(٢) :

فَأَخْلِفْ وَأَتْلِفْ إِنَّمَا السَّالُ عَارَةٌ
فَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ
فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكٍ
على الحَيِّ من لا يبلغ الحَيَّ نَائِلُهُ

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف من بني المجلان ، شاعر مخضرم
أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان يهكي أهل الجاهلية ، بلغ مائة وعشرين سنة .
وكان يهاجى النجاشي فأقذع النجاشي في هجائه فاستمدى عليه عمر فس
قصتها المشهورة .

انظر ترجمته في الإصابة ج ١ ص ٣٧٧ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٣١ .

(٢) ديوان تميم بن مقبل ص ٢٤٣ تحقيق عزة حسن ، دمشق سنة ١٣٨١ هـ

فتعبر يوصى المرء أن ينفق ويبذل من ماله على أصحابه وأقاربه وقبيلته قبل أن يموت ويرحل ويترك ماله ، فإنه إن مات ولم يصل بذله ومعروفه إلى ذويه وأصحابه ، فإنه سيرحل عن الدنيا غير مأخوف عليه لأن خيره وبره لم يصل إلى البرم ولم ينطق ألسنتهم بالدح له والشاء عليه فإن " أهون مفقود وأيسر هالك على الحي من لا يبلغ الحي نائله " .

وقد واصل الشعراء الحث على البذل والكرم واستمروا في القول وفي بيان قيمة هذه الصفة الحميدة ، فبعد الشعراء الجاهليين أتى الشعراء الإسلاميون ليتسوا ما بدله الأسلاف .

فأبو الأسود الدؤلي يوصي الإنسان ويحثه على الإنفاق ويحث الهد وذلك في قوله : (١)

عَدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً
عليك إذا ما جاء للخير طَالِبُ
وإن امرؤًا لا يَرْتَجِ الْخَيْرَ عِنْدَهُ
يَكُنْ هَيْنًا ثَقَلًا عَلَى مَنْ يُعَاجِبُ
فلا تَتَمَنَّ أَنْ حاجتُ جاء طالبا
فإنك لا تدري متى أنت رَاغِبُ
...

فالشاعر يقول : عليك بالإنفاق والبذل فلا ترد سائلا جاءك طالبا النوال والمعمونة ولا تخلق الأعذار الواهية لكي تبعده عنك وتكثر فضل الله عليك الذي أغناك وأعطاك بل انفعه بجودك وأعطه من رزق الله الذي رزقك .

واعلم أن البخل خصلة ذميمة وأن البخل حين الجانب ثقل على أهله

(١) ديوانه ص ١٤٢ .

وأصحابه لا يرتجى عنده خير ولا معروف ، فاحذر من الوقوع في هذه الصفة القبيحة ولا ترد سائلا مهما كانت حاجته ، فالدنيا دول يوم لك ويوم عليك فلربما احتجت لهذا الشخص الذى طردته ومنعته - في يوم من الأيام - فذهبت اليه طالبا العطاء والمعونة .

ووصية أبى الاسود بذكر فضل الله سبحانه وتعالى على الإنسان هي من أثر الاسلام في نفس الشاعر ، فقد ضمنها معنى قوله تعالى (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) (١) وقوله (وَإِنْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (٢) .

ومن ذم البخل والإمساك والحث على البذل والإنفاق قول محمد (٣) بن أبى شحاذ الضبى (٤) :

إِذَا أَنْتَ أَفْطَيْتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ
بِفِعْلِ الْغِنَى الْفَيْتَ مَالَكَ حَائِدٌ
وَقُلْ غَاءَ عَنْكَ مَالًا جَمَعْتَهُ
إِذَا صَارَ مَوْرَثًا وَوَارَاكَ لَاحِدٌ
...

فالشاعر يوصى الغنى أن ينفق ويبذل ولا يركن إلى البخل والإمساك لأن من رزق مالا ولم ينفق به أحدا سخط عليه الناس وذموه وأبغضوه .

-
- (١) سورة إبراهيم آية رقم ٣٤ .
(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٧ .
(٣) محمد بن شحاذ الضبى أو " حميد " شاعر إسلامي . لم أجد له سوى هذه الترجمة في الحماسة لأبى تمام ح ١ ص ٦١٥
(٤) الحماسة لأبى تمام ح ١ ص ٦١٥

ولماذا لا تتفق أيها الغنى وأنت إذا مت ودفنت في قبرك ووضعت
في لحدك لن يصل إليك من مالك شيء ولن تستفيد منه بل سيؤول بعدك إلى
وارثك فهو المستفيد من مالك بعدك .

ويقول المفتح الكندي (١) في البذل والإنفاق على العشيرة والقبيلة (٢) :

وَإِذَا رُزِقْتَ مِنَ النَّوَافِلِ شَرَّةً

فَامْحَ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى فَعَلَهَا

يقول : عليك أيها الغني الثرى الذي رزقك الله هذه الأموال الكثيرة
أن تجود على عشيرتك وتنح أفراد قبيلتك من فضل أموالك ولا تعتمد عليهم وتبخل
عليهم فأولى الناس بجودك وكرمك هم أبناء قومك وعشيرتك .

ومن الوصية على بذل المال والكرم لما في ذلك من منافع عظيمة ومن أجلها ستر
المعيوب واخفاؤها قول الإمام الشافعي رحمه الله (٣) :

وَإِنْ كَثُرَتْ عَيْبُوكَ فِي الْبَرَاءِ

وَسَرَكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءٌ

تَمْتَرُ بِالسَّخَاءِ فَكُلِّ عَيْبٍ

يَغْطِيهِ كَمَا قَبِلَ السَّخَاءُ

...

(١) هو محمد بن ظفر بن عيسى الكندي كان من أجمل الناس وجها وأمد هم قائمة
فكان إذا كُفِّ عن وجهه لقع مدأى أصيب بالعين فكان يتقنع الدهر كله
فسمى المفتح وهو شاعر أموي مقل وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسمو
في عشيرته .

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٤٣ والأغاني ج ١٧ ص ١٠٨ .
شعراء أمويون ص ٢١٠ ورنزوري القيس شعر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

(٣) ديوان الامام الشافعي ١٦ جميع محمد غفيف الرغبي ط الثالثة سنة
١٣٩٢ هـ نشر دار العلم للطباعة والنشر جدة .

إِنَّ من كُتِرَ عِيوبُهُ في مجتمعه وأراد أن يوجد لها سِتراً فإنَّ الإِصْماحَ
الشَّافِعِ يبين ما يستر هذه العيوب ، إنه البذل والكرم والسَّخاءُ الذي يجعل على
أعين الناس غشاوة فلا ينظرون إلى عيوب المرء إذا كان سخيها لأنَّ هذه الصِّفة
تغطى جميع الصفات الأخرى ، لما للكرم من سرٍّ عظيم يعيل القلوب ، ويستهوي
اللسنة ويفتحها للمدح والثناء .

ويقول إبراهيم بن العباس الصولي (١) في ذم البخل والإِصْماح (٢)
إِذَا الْمَرْءُ أَنْشَرَ نَفْسَهُ فَكُنْ بِرَفْدِهِ
فَدَعِ صَبِيحَ اللَّوْمِ تَحْتَ الْقَوَائِمِ

فمن كان غيائمه من بخله وأمسكه وبخل به فهذا يخبر عن سوء معدنه وعن لوم طباعه
وشراسة أخلاقه فعلى الإنسان العاقل أن يجتنبه ويتعد عنه .

ويقول أبو الفتح البستي (٣) في وصيته على الإنفاق والكرم (٤) :
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدَ قُلُوبَهُمْ
فَطَالَمَا اسْتَعِيدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانًا
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لَدَى أَمَلٍ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرَّ مِعْوَانُ

(١) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول وكنيته أبو إسحاق ، شاعر عباسي
مجيد ، كان يقول المصغر يختاره ويسقط رذله ثم يسقط الوسط ، ثم يسقط
ما سبق إليه فلا يدع من القصيدة إلا البعير ، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو
بيتين ، وله نشر بديع أيضاً ، مات بسامراء سنة ٢٤٣ هـ وهو يتولى ديوان
الضياع . انظر الأغانى ج ١ ص ١٠٥ و ٢٤٢ ومعجم الأدباء ج ١ ص ١٦٤ ، ووفيات
الاعيان ج ١ ص ٤٤ .

(٢) ديوانه ص ١٦٥ ضمن مجموعة الطرائف الأدبية تصحيح الأستاذ عبد العزيز
اليميني نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٥٠ .

(٣) هو علي بن محمد بن الحسن البستي وكنيته أبو الفتح ، شاعر مشهور له
شعر كثير في التجنيس وغيره وهو صاحب الطريقة الأنثوية في التجنيس الانهيس
البديع التأسيس مات سنة ٤٠٠ وقيل ٤٠١ في بخارى انظر ترجمته في تهذيب

الدهر ج ١ ص ١٨٥ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣٧٧ معاهد التصحيح ج ١ ص ٢١١ .
(٤) قصيدة عنوان الحكم للبستي ص ٣٦

مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعاً فَلَيْسَ لَهُ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
 مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ فَاطْبِئْ
 إِلَهُهُ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ قَتْلَانُ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَقُدْرَةٌ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 فَالرَّيْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْبِئْ
 وَالْحُرُّ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَانُ يَزْدَانُ
 ...

فالشاعر يوصي المرء بالإحسان للناس وإعطائهم من ماله حتى يستميل قلوبهم
 إليه ويلهجوا بذكروه والثناء عليه لأن الكرم صفة جليلة تكسو المرء جلالاً وعزة وتستر
 بغيمة العيوب عن أعينهم .

ويطلب من الإنسان أن يكون عوناً للمحتاجين ، وخصوصاً من قصدك واتجه
 إليك وهذه من أهم صفات الرجل الشهم الكريم وهي مد يد العون للمحتاج فسي
 أى وقت ، أما إن كان بخيلاً مسكاً للمال فليس له في الحقيقة أصحاب وخلان ،
 لا بتمادهم عنه وكرههم له لأن مانع الخير مغبوض محروم من الخلان والأصدقاء
 وعلى العكس من ذلك الجواد الكريم ، فإن من جاد بالمال على المحتاجين أحبه
 الناس جميعاً ومالو إليه لأن بذل المال والكرم يحس الميون ويخرس الألسنة
 عن مشاهدة وذكر العيوب .

ويطلب الشاعر من المرء أن يحسن ما دام الإحسان في مقدوره وفي متناول
 يده وعليه أن يختتم هذه الفرصة قبل أن تغترب لأن المال لن يدوم في يد الإنسان
 فلعلّه إن أراد أن يحسن مرة أخرى لا يمكنه ماله لقلته ، ويذكر الشاعر أن بذل المال
 والمعروف زينة للمرء الكريم كما أن زينة الروض الأزهار المتفتحة الجميلة ، ونسرى

حسن استخدام الشاعر لهذه الصورة البيانية لكي يبرز قيمة البذل والاحسان
وجمالهما ويرغب فيهما .

وسا سبق يتضح لنا ما كان للبذل والكرم من منزلة عظيمة رفيعة في المجتمع
العربي في شتى العصور ، وقد أوصى الشعراء كما رأينا بالانصاف بهذه الصفات
الجميلة التي لها منافع ومزايا أهمها ستر العيوب وإخفاء المثالب ، كما أنهم
حذروا من الانصاف بالبخل وصوروه بأشجع الصور وبينوا منزلته الوضيعة وانصاف
البخيل بالحقارة واللؤم وذلك في شتى عصور الأدب المختلفة .

...

٣ - الحث على مصاحبة الأخيار والنهي عن معاشره اللثام :

المصاحبة والمعاشره من الأمور المهمة في حياة الإنسان لأن من طبيعته الإنسان اتخاذ الأصدقاء والخلان ، ولما نجد انسانا منطويا على نفسه ليس له صديق أو خليل ، وهذه غريزة وضعاها الله سبحانه وتعالى في الإنسان لا يستطيع التخلي عنها . فإذا كان الأمر على ذلك فمن مصاحب المرء ومعاشره هـ هل يتخبط في أمره ومصاحب كل إنسان سواء كان صالحا أم طالعا أم أن عليه أن ينتقى أصحابه ويختارهم .

إن مهمة المرء في هذه الناحية مهمة شاقة فعليه أن ينتقى أصحابه وخلانه وأن يقارن الأخيار ويجتنب اللثام والأشرار لأن أصحاب المرء صورة منه .

يقول عدى بن زيد العبادي موصيا المرء على اختيار الصديق ومبينا أن المرء صورة لصديقه وقرينه (١) :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا ممر فجانبيه سرعة
وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

...

أي إذا أردت أن تستخير عن شخص وتعرف أصله هو أم طالع فلا تسأل عنه واسأل عن صاحبه وقرينه ، فإن كان انسانا شريفا قد عرف بهذه الصفة

(١) ديوانه ص ١٠٥ .

فعلبك أن تجتنبه وتبتعد عنه وتلوذ بالفرار منه وإن كان خيراً مستقيماً فالزومه وأصحبه لأن في ذلك خيراً لك .

وهو كذا الشاعر وصيته هذه مرة أخرى وهي صاحبة الأخيار ومقارنة الإنسان الفاضل فيطلب من المرء أن يلزم الأخيار وذوى الأخلاق الحميدة ويحذره من صاحبة اللثام وذوى المروءات الفاسدة لأنهم سوف يجرّونه إلى الأخلاق السيئة والمعاملة القبيحة .

ويقول طرفه بن العبد (١) :

وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُرّاً فَإِنَّكَ
يَهْزِنُ وَيَهْزِي بِالْفَتَى قَرْنَاهُ
وَجَالِسِ رِجَالَ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ وَالنَّفْسِ
فَتَهْنُ الْفَتَى فِي قَوْمِهِ جَلَسَاوُهُ

...

فعلبك أيها الإنسان أن تقارن الرجل الفهم الفاضل وتبتعد عن اللثيم الخدول لأن صاحبة الرجل الفاضل تهين المرء وترفع من قدره بين بني قومه وفي مجتمعه كما أن قرقناه السوء يهزون بالمرء ويضمون من منزلته في مجتمعه وقومه .

وإذا جالست أحداً في منتدى ، فعلبك مجالسة البررة الأخيار واجتناب مجالسة اللثام .

ويقول ربيعة بن مقروم الضبي (٢) فهين تجب مصافاته ومودته (٣) :

(١) ديوان طرفه ص ١٣٨ .

(٢) هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر الضبي من شعراء عصر المعدودين ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وشارك في معارك الفتح الإسلامي ، شهد القادسية وجلولاء وغيرها من المعارك ، عثر مائة سنة مائة ثمان مائة وستمائة . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٢٦ وخزانة الأدب ج ٨ ص ٤٣٩ شعراء إسلاميون ص ٢٢٦ .

(٣)

أَصْفِ الْمَوَدَّةَ مِنْ صَفَا لَكَ وَدَّةٌ
وَاتَرَكَ مَصَانِفَةَ الْقَرِيبِ الْأَيْمَلِ
كَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَدْ صَفَا لَكَ وَدَّةٌ
وَقَرِيبٍ سَوَّى كَالْبَعِيدِ الْأَعَزَلِ
...

فمن الذى يستحق منك الهدى والمصاحبة ؟ إنه من طهر قلبه من الحقد وأصفى مودته لك وإن كانت وشائج القرابة بينك وبينه بعيدة ، وعليك أن تجتنب قرين سوء وإن كانت صلة قرابته قريبة منك .

ومحمد الشاعر الى ضرب دليل لك يوضح وصيته لمخاطبه وهو أنه كثير من القرناء والأصحاب البعيدين عنك فى القرابة وصلة الرحم محبوبون لك مخلصون ودهم لسلامة قلوبهم من الحقد والغشينة ، وبالمقابل كثير من أقرائك وذوى رحمتك ولكنهم أقرناء سوء يبعيدون عنك مخلصون لك ، فلذلك عليك أن تختار الأشخاص الصافية قلوبهم الخالية من الحقد والحسد ، وإن بعدت عنك قرابتهم وأنسابهم .

ويقول سابق البربرى (١) فى وصيته فى اختيار الصاحب العاقل واجتناب اللئيم (٢) :

إِنْ كُنْتَ تَخِيذًا خَلِيلًا ■ فَتَنَّقْ وَانْتَقِ خَلِيلًا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفًا ■ فِى الْوَدِّ فَايْغِ بِهِ يَدِيْلًا
وَأَقْلِ مَا تَجِدُ اللَّئِيمَ ■ سَمَ عَلَيْكَ إِلَّا مُسْتَطِيلًا
...

فسابق يوصى البرء الهمضى اتخاذ صاحب وخليل له أن يختار الخليل

- (١) أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى ، له أشعار حمئة فى الزهد وهو من موالى بنى أمية سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى ، لم تعرف سنة وفاته بالتحديد .
انظر خزائن الأدب ج ١ ص ٥٣٢ .
- (٢) شعر سابق ص ١١٦ جمع وتحقيق بدر ضيف ، نشر دار المعرفة الجامعية الاسكدرية سنة ١٩٨٧ م .

الصادق في الود والصاحب الفاضل ، ومن لم يتصف بهذه الصفات فعليك تركه واجتنابه لأن من أهم مقومات الصداقة نقاء القلب وصفاء .

والشاعر يحذر من اللثام لأن جميع العيوب الأخلاقية تجتمع فيهم وأقل عيب يتصف به اللثيم هو تطاوله على صديقه واستخفافه به ، وهذا أمر لا يطيقه أحد لأن من حسن الخلق أن يستقبل المرء صديقه بوجه بشوش ، وأن يتواضع له ويلين جانبه ، واللثيم على عكس ذلك تماما .

ويقول صالح بن عبد القدوس (١) في تحذيره من الأحمق لموه خلقه (٢) :

فَارْغَبْ بِفَيْعِكَ لَا تُصَادِقْ أَحَقًّا

إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

فعليك أيها المرء أن تهرب من الأحمق وأن تجتنبه ولا تظهر له السود والصاحبة (فالصديق على الصديق صدق) والصاحب صورة لقربه .

فمن صاحب أحمق فإن أخلاقه ستسوء ، وسيؤثر عليها هذا الأحمق أنسرا سلبها فمن أراد أن يكسب أخلاقه قبل تدنسها فليجتنب الحمق وبما هو الأخيار الفضلاء ويقول في بيت آخر يحذر من اللثيم ومن صاحبه : (٣)

وَاحْذَرْ صَاحِبَةَ اللَّثِيمِ فَإِنَّهُ

يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ

(١) هو صالح بن عبد القدوس البصري مولد لأسد ، وكنيته أبو الفضل ، شاعر عباسي مجيد ، أكثر شعره في الحكم والمواعظ ، قتله المهدي وصلبه سنة ١٦٧ هـ لانهاء بالزندقة ، انظر ترجمته في : طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٨٩ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٣ ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان .

(٣) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره لعبد الله الخطيب ، نشر دار منشورات البصري بغداد سنة ١٩٦٧ م .

فإياك أيها الإنسان من صاحبة اللثيم واحذر من عدواه فاللثيم يمدى
بسوء أخلاقه صاحبه كما يمدى الأجر من الأبل صحبها .

ويقول أبو محمد اليزهدي (١) في هذا المعنى (٢) :

آخِ الْكَرَامَ فَإِنَّ صُحْبَتَكَ الْـ « لِقَامَ عَلَيْكَ وَهَمَصَ

فالشاعر يوصي المرء ويقول له : إن أردت أن تتخذ قربنا فاختر صاحبنا
كرهنا فاضلا ه واجتنب الجيس اللثيم لأن مصاحبتك إياه وصمة عار في جبينك لاتمحي
ولا تنزل حتى تهتد غمه وتتركه .

ويقول أبو العتاهية (٣) في التحذير من اللوم واللقام (٤) :

إحذر عليك اللقام إنهم
لَيْسَ بِبَالَوْنِ مِنْكَ مَا رَكِبُوا
فَيَصِفُ خُلُقَ اللَّقَامِ مَذْ خُلُقِيُوا
ذَلْ ذَلِيلٌ وَنَعْفٌ فَهَنْبٌ
فَرَّ مِنَ اللُّومِ وَاللَّقَامِ وَلَا
تَدَنَّ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ جَرَبٌ

...

- (١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف باليزهدي المقرئ صاحب أبي عمرو بن
العلاء أحد علماء النحو البصريين ه صحيح الرواية صدوق اللهجة له كتب كثيرة
منها كتاب النوادر وكتابه المقصور والمدود ه وكان شاعرا كثير التفنن في الآداب
توفي سنة ٢٠٦ ه انظر ترجمته في معجم الشعراء ص ٤١٩ والأغاني ج ١ ص ٢١٦
وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٦ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٦٩ .
- (٢) شعر اليزهديين ص ٨٠ جمع وتحقيق د / محسن غياثي مطبعة النعمان النجف ١٩٧٣ م
- (٣) هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو إسحاق أما أبوه
العتاهية فلقبه ه نشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار ه وهو أحد الشعراء
المطبوعين وغزله ضعيف مشاكل لطبايع النساء ه وأكثر شعره في الجنة والنار
والموت والحشر والزهد والمواظ ه مات سنة ٢١١ ه انظر ترجمته في المعجم
والشعراء ج ٢ ص ٧٩ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٧ والأغاني ج ١ ص ١٥ ووفيات
الأعيان ج ١ ص ٢١٩ .
- (٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ه تحقيق د / شكري فيصل مطبعة جامعة دمشق
سنة ١٣٨٤ ه .

فالشاعر يبدأ وصيته بالتحذير من اللثام ومن الاقتراب منهم لسوء أخلاقهم وفتح معاملتهم هـ فرم لا يقدرون صاحباً ولا يبالون بما اقترفت أيديهم من أعمال مشينة هـ فالأمر عندهم سواء هـ وذلك راجع لفساد أصلهم وسوء منبتهم وكما جاء في الحديث " إذا لم تستح فاصنع ما شئت ^(١) فلا حياة عندهم وهذه الصفة مهددة لا قيمة لها لديهم .

ويقسم الشاعر أخلاق اللثام الى قسمين لكن يحذر منها المرء فالقسم الأول من أخلاقهم : الذلة والمهانة فلا تجد من يحترمهم بل الجميع يهينونهم ويحتقرونهم لأنهم لا يترفعون عن الدنيا .

والقسم الثاني من أخلاقهم : ارتكابهم لأعمال سيئة تثير حفيظة المجتمع من حولهم من غير خجل ولا حياة وهذا عائد لفساد طبائعهم .

ويطلب الشاعر من المرء أن يفر من هذا الجنس من الناس أعنى بهم اللثام وأن يفر أيضاً من هذا السلوك - اللؤم - فلا يقترب منه ، فإنه مثلهم مثل الجرب فكما أنك تتحاشى الجلوس مع إنسان أجرب قدر خوفاً من العدوى فتجسأ من القمود مع اللثام وابتعد عنهم هـ لأنك إن خالطتهم أعدوك بهذا المرض - اللؤم فاحفظ أخلاقك ومن شرفك بحذورك وهروبك من اللؤم واللثام .

ويقول الشاعر ربعة الرقى ^(٢) محذراً من اللثام أيضاً وموصياً المرء

(١) صحيح البخارى مع الفتح هـ كتاب الانبياء ح ٦ ص ٥٩٤ حديث رقم ٣٤٨٣ تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز هـ نشر المكتبة السلفية هـ ط ١ - ت

(٢) هو ربعة بن ثابت الأنصارى الرقى ويكنى بأبى شيباه ونسبته (الرقى) السى الرقة مدينة مشهورة على نهر الفرات هـ وهو شاعر عباسى مجيد هـ يعد أشهر المحدثين وأحيزهم بهتاء قال عنه عبد الله بن المعتز : كان " شعره كله مليحاً عذياً مطبوعاً جيداً ههنا توفي سنة ٩٨٨ هـ

انظر ترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٧ والاغانى ح ١ ص ٢٥٤ وخزانة الأدب ح ٦ ص ٣٠١

باجتنابهم والحذر منهم والبعد عنهم (١) :

وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفَلَةٍ * وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ فِي كَفِّهِ
فَإِنَّ اللَّئِيمَ * وَإِنْ خَلَّتْهُ * كَرِهًا يَذُودُكَ عَنْ عُرْفِهِ
وَيَرْجِعُ مَحْضُولَ أَخْلَاقِهِ * إِلَى أَصْلِهِ وَإِلَى صَنْفِهِ
...

فالشاعر يوصيك أيها المرء باجتناب اللئيم وأن لا تصاحبه أو تتركز إليه فسي
أمر من الأمور ، وإن كان ثراها ذا مال وفير وجاء واسع ، لأن اللئيم لا يكون كريما
أبدا ، بل يعمل جاهدا على تنفير الناس وطردهم من نواله فلا وجود عليهم
بشيء ، وإن حسبه الناس كريما ، وسبب هذه الخصلة فيه رجوع أخلاق اللئيم وطبائعه
إلى أصله ومنتهى الذي نبت فيه ، فمنتهى منتهى سوء أخلاقه أخلاق ذميمة لا تفك
عنه أبدا .

ويصل بنا الحديث إلى أبي فراس الحمداني (٢) في وصيته للإنسان باجتناب
اللئيم يقول (٣) :

إِحْذَرْ مَقَارِسَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ
يُنْهَكَ عَنْهُمْ فِي الْأُمُورِ مُجَرَّبٌ

(١) شعر ربيعة الزرق ص ١٠٨ تحقيق د / يوسف حسين بكار نشر دار الاندلس
بيروت لبنان ط الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) هو الحارث بن سعد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم سيف الدولة
الحمداني صاحب حلب ، يقول عنه الثعالبي " كان فرد دهره وشمس عصره ،
أديبا وفضلا وكريما ونبلا ومجدا وبلاغة ، وشعره مشهور سافر بين العتق والجودة
وكان يشبه عبد الله بن المعتز في أوصاف شعره " توفي سنة ٣٥٧ هـ قتله ابن
أخته أبو المعالي بن سيف الدولة .

انظر ترجمته في ميثمة الدهر ج ١ ص ٥٧ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) ديوانه ص ٣٩

قَوْمٌ إِذَا أَيْمَسَتْ كَانُوا إِخْوَةً
وَإِذَا تَرَسَتْ تَفَرَّقُوا وَتَجَنَّبُوا
...

فالشاعر يوصي المرء باجتناب اللثام والهروب منهم وأن لا يصاحب أحداً من اتصف بهذه الصفة وتحذير الشاعر هذا لم يأت من فراغ ، إنما تخضر عن تجربة شخصية فقد جرب الأمور وعرف حقيقة اللثام ، فهم يقتربون منك ويلتفون حولك في حالة يسرك وغياك ، ولكن إذا احتجت لهم لفكرك وقلة ذات يدك تفرقوا عنك ونبتذك ، لأن مودتهم لك لم تكن مبنية على أساس متين ، إنما هي مودة زائفة يبحثون من خلالها عن مصالحهم الشخصية ورغباتهم الذاتية .

أما أبو الفتح البستي فإنه يحذر الإنسان من معاشرة الأفرار أيما كان نوعهم فيقول (١) :

مَنْ اسْتَأْمَرَ إِلَى الْأَفْرَارِ نَامَ وَفَسَسَ
قَبِيصِهِ شَتَمَ صِلَ وَشُبَّانُ

فاحذر أيها المرء من صاحبة الأفرار أو الركون اليهم ، لأن صاحب لهم سيناله من شرهم ، فمن صاحبهم أو ركن اليهم فكأنما نام وتحت ثيابه أفعى سامية فحياته مهددة بالخطر في أي لحظة ، لما يجرؤون على صاحب لهم من مصائب .

ومن خلال ما سبق نرى كيف أن الشعراء قد أوصوا باختيار صاحب الماقل الأريب ، ونهوا عن الأحمق اللئيم لما في أخلاقه من سوء وعقل ، وقد تماقصب الشعراء على هذا الموضوع في العصر الجاهلي ، وفي المصنوع الإسلامية التالية التي

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٢ .

ركز فيها العمراء على اختيار صاحب الغافل واجتناب اللثام والاعمرار ، وذلك راجع الى أثر الاسلام في نفوسهم ، فقد حث الاسلام على اختيار صاحب والمجالس ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المجلس الصالح والمجلس المسوء كحامل المسك ونافع الكبر ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، أو أن نتاغ منه أو تجد منه ريحا طيبة ، ونافع الكبر إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة) (١) .

...

37

(١) صحيح البخارى مع الفتح كتاب البيوع ج ٤ ص ٣٢٣ ، وصحيح مسلم كتاب البر والعلة حديث رقم ١٤٦ ، ج ٤ ص ٢٠٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر احياء التراث العربى ط الثانية سنة ١٩٧٢ م .

٤ - التحلى بالأخلاق الفاضلة :

التخلق بالأخلاق الفاضلة والتحلى بها أمر مهم فى حياة الفرد والمجتمع ، فالمجتمع المثالى هو من يتصف أفرادہ بالصفات الحميدة من حياء وحلم ، فلذلك نجد الشعراء يشوا وصاياهم للمرء حائنين على التحلى بالأخلاق الكريمة الحسنة لما لها من أثر على سلوك الفرد فى مجتمعه وبنى قومه ..

فطرفة بن العبد يوصى المرء بالحفاظ على الحياء والعفة بقول (١) :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجَنِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
وَلَا خَوَرَ فِى وَجَنِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ
حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنِّي
يَدُلُّ عَلَى وَجَنِ الْكَبِيرِ حَيَاؤُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْشَلْ مِنَ اللَّوْمِ عَرَضَهُ
وَلَمْ يَنْقُصْ لَمْ يَفْنِ عَنَّهُ بَهَاؤُهُ
...

فالشاعر يبين أن الاخلاق الفاضلة هى التى يجب أن يتحلى بها الانسان وعليه أن يوصون ماء وجهه فلا يهينه ولا يدنسہ باقتراء الأعمال السيئة التى تذهب المروءة والحياء الذى يزرع المرء الأصيل عن اقتراء الاعمال المشينة . والوجه الذى لا حياء فيه ولا عفة لا خير فى صاحبه فهو امرؤ لثيم وضيع .

ويوصى الشاعر المرء بأن يحفظ هذا الحياء وأن يوصون عرضه من السب والشتم والانتقاص من الناس بتحليه بالأخلاق الفاضلة وتجمله بالصفات الحسنة

(١) ديوانه ص ١٣٧ ..

الحبيدة وعليه أن يتجنب الأخلاق السيئة الرديئة التي تخل بالعرف وتغشش
المعرض وتذهب بماء الوجه وتزهل الحياء .

والحياء صفة من صفات الكرام فأول ما يدل على الرجل الكريم هو حياؤه
وحسن سيمته الذي يظهر واضحا جليا على محياه .

ويتابع وصيته هذه موضحا للمرء أن عليه أن يظهر شرفه وعرفه ويحافظ
عليه من الدنس واللوم وينظفه نظافة تامة من هذه الصفات القبيحة التي تحسوى
على جميع الصفات السيئة . ليس هذا فحسب بل عليه أن ينقيه من جميع
الفواهب والأخلاق التي قد تسمى به إلى التخلق بصفات اللثام ، وإن كان بهس
الطلعة جميل الحياء ، وإن لم يفعل ذلك فلا خير فيه ولم تغن عنه صفاته الخلقية
الجميلة لأنها عدت جوهر هذه الصفات وهو خلق الحياء .

وإذا غاب المرء على انسان خلقا فعلية اجتنابه لأن اقترافه لهذا الخلق
يعد عيبا في أخلاقه وسيرته يقول عدى بن زيد المهادي (١) :

إِذَا مَا تَكَرَّهْتَ الْخَلِيقَةَ لَمْ تَرَى
فَلَا تَغْشَهَا وَأَخْلِدْ سِوَاهَا بِمُخْلِدٍ
...

فالشاعر يوصي الرجل الماقل بالتخلل بالصفات الحبيدة والتخلل عن الصفات
السيئة ، وإن لم تعجبه سجية في رجل فعليه أن يبتعد عنها وألا يتبعه فيها، وعليه
أن يتخلل بصفة جليلة تخلد ذكره وتحيي اسمه ، لأنه إن وقع في هذه الصفات
البنغيضة نقص قدره وصارت وصمة عار في جبينه .

(١) جيهرة أشعار العرب ج ٢ ص ٥٠٢ لأبي زيد القريش تحقيق د / محمد علي
الهائسي منشورات جامعة الالبام سنة ١٤٠١هـ .

والمخيل السعدى (١) يوصى المرء أن يتحلّى بالأخلاق الحميدة وذلك بإيمانه بالبعد عن الخنا والغى يقول (٢) :

إِذَا أَنْتَ عَادَيْتَ الرَّجَالَ فَلَا تَهَيِّمْ
وَعَرْضَكَ مِنْ غَسِّ الْأُمُورِ سَلِيمٍ
وَلَا يَحْدِثُ الْغَاوِي عَلَى الْغَسِّ لَائِمًا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَخْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ
...

فعليك أيها المرء أن تصون عرضك من الجهل والخنا وتبتعد عن الغواية والجهل ، وإن كان لك خصوم وأعداء تتاصبهم العداء لأى سبب من أسباب الدنيا فالمسئولة عليك أعظم فى الحفاظ على الأخلاق الكريمة وحماية عرضك وجاهدك من الانزلاق فى الغواية والضلال لأن مساوى الأخلاق ورداتها منفذ يتنفذ منه أعداؤك للنيل منك ومحاولة تفريقك والحط من قدرك .

ويركز الشاعر فى وصيته على التحذير من الغى والغواية ويعللنا بأن الرجل الضال لن يترك بدون توبيخ بل سيأتيه إنسان فى أحد الأيام يلومه على غوايته وضلالته ليس شفقة عليه ولا رحمة له ونصحا بل استهزاء به وتبكيتا عليه ، فإذا عرفت ذلك أيها المرء فابتعد عن الغواية والضلال ، وانصف بالصفات الحميدة التى تكسبك حمدا فى الدنيا وبعد موتك .

ومن الحث على التحلى بالأخلاق الحميدة أيضا وهم بالاتصاف بالحلم والإعراض عن السفهاء ، يقول الشاعر سابق البربرى (٣) :

- (١) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريش التميمي ، شاعر فحل ، من المذمومين أدرك الإسلام وأسلم ، ويكنى بأبى يزيد ، وهو من المقلين عده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من طبقاته "عمر طويلا" قيل مات نفس خلافة عثمان رضى الله عنه وهو شيخ كبير . انظر ترجمته فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج ١ ص ١٤٣ والشعر والشعراء ج ١ ص ٤٢٢ والاغانى ج ١ ص ١٨٩ والمؤلف والمختلف للأندى ص ١٢٢ . (٢) شعر تميم فى الجاهلية ص ١٢٤ جمع وتحقيق د/عبد الحميد محمود المعينى نشر نادى القصيم الأولى سنة ١٤٠٢ هـ . (٣) شعر سابق البربرى ص ٨٥ .

لَا تَظْهَرَنَّ لَدَى جَهْلٍ مُعَاتَبَةٌ
 قَرِيبًا هُمِجَتْ بِالْقَى أَغْنِيَاءُ
 فَالْمَاءُ يَخْفِدُ حَرَّ النَّارِ يُطْفِئُهَا
 وَلَيْسَ لِلْجَهْلِ غَيْرُ الْحِلْمِ إِطْفَاءُ
 ...

فالشاعر يوصي المرء أن يترفع عن السفهاء ويغض عنهم ، ولا يحاول مجادلة
 أحد منهم .

وان سبك أحد منهم أو شتمك فلا تحاول معاتبته لانه أحق لا خير فيه
 فلن يسمع إلى عتابك له باللين بل ربما اغاظه ذلك واقترب أمورا لا تحمد عقباها
 نتيجة للسفاه وجهله ، ولكن عليك أن تتصف بالصفة العظيمة وتتحل بها وهى
 " الحلم " فان هذه الصفة تطفىء الجهل ونار الغضب وتهين الجاهل وتجعله
 يزدري نفسه نتيجة لعدم اهتمامك به وإعراضك عنه ، والحلم يشبه الماء فى عمله فكما
 أن الماء يطفىء النار ويذهب بحرهما فكذلك الحلم يطفىء الجهل ويذهب نار
 الغضب والحق ، فعلى المرء أن يتصمك به .

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم حيث استلهم معنى الآية الكريمة قوله
 تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (١) .

ومحمد بن أبى شحاذ الضبى يوصى بالحلم ويأمر به وذلك عندما يبين
 ما يسيبه عدم الالتزام به من مصائب يقول (٢) :

إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ الْجَهْلُ لَمْ تَزَلْ
 عَلَيْكَ بَرَقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

(١) الاعراف آية رقم ١٦٦ .

(٢) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦١٥ .

يقول عليك أيها المرء أن تتصف بالحلم فيما يعترضك من مشاكل ومتاعب وأن تغلب حلمك على جهلك فلا تتصرع في جزاء ومعاناة من أساء إليك . بل احلم عنه وتخلق بهذه الصفة وأعرض عنه . لأنك إن لم تفعل ذلك كثرت عليك المشاكل والصائب فلا تستطيع ردها ومجازاة من عاملك بها لأنك لن تستطيع أن تلقم كل من عرك حجرا فليس لك ملأه إلا الحلم الذي به تسلم من الصغاه والحقي .

ومن الحث على الحلم والاعتصاف به ما كاله المقنع الكدى عندما يبين للانسان الصفات التي تخوله لسيادة ورياسة قبيلته وبنى قومه يقول (١) :

وَأَحْلَمْ إِذَا جَهَلْتَ عَلَيْكَ غَوَاتِهَا
حَقَّ تَرَدُّدٌ يَفْضِلُ جِلْمِكَ جَهْلَهَا
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ قَتَاهُمْ
حَقَّ تَرَى دَمِثَ الْخَلَاقِي سَهْلَهَا
...

فالمقنع الكدى يتحدث عن الأمور التي يجب أن يتصف بها الفتى خصوصا في معاملته لأفراد قبيلته . فبعد أن حث المرء على البذل والإنفاق - كما مر معنا - يطلب الشاعر هنا من المرء المحافظة على علاقته بقبيلته لتكون حصنا له تدافع عنه إن نزلت به مصيبة ويوصيه أيضا أن يتصف بصفة جميلة وهي الحلم فعليه أن يكون رزينا حلما إذا أخطأ عليه غواة وصغاه بني قومه ولا يستعجل في مجازاتهم وزجرهم . فإن للحلم عن هؤلاء نتيجة إيجابية حسنة . وهي إصلاح المجتمع وذهاب الجهل وتحول أخلاق الجاهل إلى الميرة الحسنة بفضل حلم المرء عنهم . لأنهم سيبحثون عن السبب الذي جعله يعرض عنهم ولا يرد عليهم . فهتبهون السبب

أخلاقهم ويرون ما فيها من معائب. فيستروها عن

واعلم أيها المرء أنك إذا أردت أن تكون الفتى المقدم في قومك فعليك أن تتحلّى بالأخلاق الكريمة وتلكن جانبك لهم وتصير دمت الخلق طلق المحيا مشرق الوجه ، وعليك أن تجتنب سوء الخلق والكبر والجهل وتعرض عن السفه والغواية فهذه الصفات ستكون الرائد في قومك والمقدم عليهم .

ويقول المرار بن سميد الفقمسي (١) موصيا بالحلم عندما بين أهم الصفات التي يجب على المرء أن يتصف بها لكي يسود في قبيلته (٢) :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةً
فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالتَّسَرُّعِ وَالْفَتَمِ
وَالْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَقْبَلَةَ
مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَعْمَسَ مِنْ ظَلَمِ (٣)
...

فيوجه الشاعر المرء الذي عنده همة للمعالي والسمو مد أن يتجلّى بالحلم وكظم الغيظ والحقو عن الناس فإن هذا العمل هو الذي يرفع الإنسان إلى السذرة ويسوده وليس التسرع في الجزاء والرد على الجهال بالمثل هو الذي يرفع من شأنه .

(١) هو المرار بن سميد بن حبيب بن خالد الفقمسي ، كان قصيرا مفروطا في القصر ضئيل الجسم ، من مخضرمي الدولتين ، وقيل إنه لم يدرك العباسية ، وكان يهاجى السأور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي .

انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ، ج ٢ ص ٢٠٣ معجم الشعراء للمرزبانسي ص ٤٠٨ والاغنى لأبي الفرج ، ج ١٠ ص ٣١٧ .

(٢) الحماسة لأبي تمام ، ج ١ ص ٥٥٩ .

(٣) مغبة : عاقبة - شمس : يقال شمس لي فلان ، إذا أبدى لك عداوته كأنه قد هم أن يفعل .

وعلى المرء أن يعلم أن العقبى الحسنة للحلم وليست للجهل فعملك أن تغلب حلمك على جهلك وتكتم غمضك إلا إذا كان " السهل قد بلغ الزنى " من الظلم فلا تستطيع الاحتمال أكثر من ذلك فعملك إذاً أن تأخذ بشارك وتدفع الظلم عن نفسك .

وهذا طرح بن إسماعيل الثقفى (١) يحذر المرء من الوقوع فى الأخلاق المشينة التى ينهى عنها فى بيت يشابه معناه بيت عدى بن زيد الذى سبق ذكره يقول (٢) :

إِذَا كُنْتَ عَيَّاباً عَلَى النَّاسِ فَاحْتَرِسْ
لِنَفْسِكَ بِمَا أَنْتَ لِلنَّاسِ قَاتِلٌ

فعلى المرء الذى يحيب على الناس الأخلاق السيئة ويصرح بسوء أفعالهم ومسالكتهم ويبين لهم ما يجب أن يكونوا عليه من حسن أخلاق ، أن يحترس أشد الاحتراس من الوقوع فى هذه الأخلاق والمسالك السيئة التى نهى عنها وعابها على أصحابها حتى يعلم عرضه من الغنى والقرص ، لأن من نصب نفسه لهذا المنصب ولم يحصنها عن الأخلاق القبيحة صار مجال سخية للناس لأنه لم يصلح شأنه فكيف يحيب على غيره ، فلينظر الى أمر نفسه أولاً قبل أن يحيب غيره .

ومن الوصية بالتخلق بالأخلاق الحميدة النهى عن النفاق والبهذ عنه يقول (٣) الصولى :

(١) هو طرح بن إسماعيل بن عبيد الثقفى ، كان شاعراً ظريفاً - ويكنى بأبى الصلت - نشأ فى دولة بنى أمية واستقرغ شعره فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بنى العباس وقدم على أبى جعفر المنصور ، فهو من مخضرمى الدولتين مات فى سنة خلافة المهدي انظر ترجمته فى الشعر والضمراء ج ٢ ص ٦٨٢ ، والأغانى ج ٤ ص ٣٠٢ . (٢) شعر طرح بن إسماعيل الثقفى ص ١٠٨ تحقيق د / بدر أحمد ضيف . دار المعارف الجامعة الاسكندرية ١٩٨٧ م .

(٣) ديوان الصولى ضمن مجموعة الطرائف الأدبية القسم الثانى ص ١٦١

خَلَّ النَّفَاقَ لِأَهْلِيهِ ■ وَعَلَيْكَ فَالتَّجَرُّبُ الطَّرِيقَا
وَإِذْ هَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَسْرَى ■ إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

...

فالشاعر يوصي الإنسان ويقول له إن عليك أن تتعدى عن النفاق والمرا
الذى يخدع الإنسان فيحسب العدو وصديقاً بتطلق هذا العدو له واقترباً منه
منه وهو في الحقيقة يتحتم الفرصة ليغدر به وأن تثبت على خلة واحدة إما أن
تكون صديقاً لهذا الشخص وتظهر له الحب وتبطن المودة أو تبغضه وتبغض
البغضاء له ليعرف حقيقتك ولا يخدع بك .

وأبو فراس الحمداني يعود بنا إلى الحث على الحلم والصبر عن كل مذنب
يقول (١) :

يَقُولُونَ لَا تَخْشَرْ بِحِلِّكَ هَيْبَةً
وَأَحْسَنْ شَيْءُ زَيْنِ الْهَيْبَةِ الْحِلْمُ
فَلَا تَتْرَكَنَّ الْحِلْمَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ
فَمَا الْعَفْوُ مَذْنُوباً وَإِنْ عَظُمَ الْجُرْمُ

...

عليك أيها المرء العاقل أن لا تسمع إلى ما ينادى به بعض الناس من أن
الحلم والاتصاف به ينقص من هيبة الإنسان ويقلل من شأنه .
فإن ذلك مجرد كلام هراء غير صحيح ، والحقيقة
أن الحلم هو المزين للهيبة وتاجها الذي يزين جبينها ، ويجعل المرء مهيب
الجانب عظيم القدر في أعين الناس .

ولا يمكن حليم مقصورا على أحد بل امنحه لكل إنسان أو لاك سوا أو

(١) التذكرة السعدية في الأسماء العربية ص ٢٦٨ ، لمحمد بن عبد الرحمن
المبيدي تحقيق د / عبد الله الجهوري نشر دار الكتاب العربي ليبيا -
تونس سنة ١٩٨١ م .

اقترب بحقك ذنبا ومهما عظم ذنبه وجرمه فلا يمنعك ذلك من الصفح والمغفرة
لأن الصفح محمود الجانب دائما .

ولأبى الفتح البستي وصية رائعة بحث فيها على التحلى بمجموعة من
الصفات الحميدة وأهمها اللين والرفق وطلاقة الوجه يقول (١) :

كَنْ رَفِيقَ الْبَشْرِ إِنْ الْحَرُّ هَيْئُهُ
صَحِيفَةً وَعَلَيْهَا الْبَشْرُ عُشْوَانُ
وَرَاهِقِ الرَّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
وَلَا يَخْرُجَ حَظُّ جَرِّهِ خَسْرًا
فَالْخُرْقُ هَذُمٌ وَرَفْقُ الْفَرْقِ بُشْيَانُ
فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا فَالْقَلْبُ أَبَدًا
وَالْوَجْهُ بِالْبَشْرِ وَالْإِشْرَاقُ غُفَّانُ
...

والشاعر هنا يوصي المرء بأن يكون طلق المحيا بشوشا يستقبل من يلاقيه
بالبشر والترحاب والابتهامة لكي يحبه الناس ويألفوه والرجل الحر الكريم يصرف
جل همه للعمل على اكتساب الصفات التي تلين جانبه وتجعله طلق المحيا ليألفه
الناس ويحبوه فعليك أيها المرء باللين والرفق والشفقة في كل الأمور . وذكرها
وكبيرها فلم يندم إنسان على شفقه ورأفته ولم يسمع بإنسان ذم لاتصافه بهذه
الصفة بل إنها صفة يجب على المرء أن يتحلى بهذين أخلاقه بها .

والشاعر يلفت نظر الإنسان أن لا يفتخر بما يراه من انتصار للأحقق ففى
لحظة من اللحظات ، فإن الحق والبطش لا ينفع دائما فنفعه أتى عن طريق

(١) قصيدة عنوان الحكم للبستي ص ٣٧ .

الصدقة فعليك الإلتزام بالرفق • فالرفق بناء للخير والمحبة في قلوب الناس •
والحمق هدام للخلق والخير وبان للشر •

والتزامك أيها الإنسان بهذه الصفات يجب أن يكون في كل حين ومسح كل
شخص حتى مع أعدائك ومبغضيك • وارفع نفسك من مقابلتهم بالعداوة والحقد
فإنك بهذا العمل تسد عليهم طريق النبل منك وترتفع منزلتك فوق منزلتهم
لأن لقاء العدو بالبشر والترحاب ما يرفع منزلة الرجل ويهين العدو ويغظه •

ونرى تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف • ففي البيت
الثاني عندما حث على الرفق وأوصى به • ضمن معنى الحديث النبوي : " إن
الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " (١) •

وفي البيت الثالث أيضا ضمن حديثا آخر عندما قال " فالخرف هدم ورفق
المرء بنیان " وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم " من يحرم الرفق يحرم الخير كله ^(٢)

وأخذ معنى البيت الرابع من الآية الكريمة قوله تعالى : " وَلَا تَمَسُّوْا
الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ ادْفَعِ بِالنَّيِّبِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ " (٣)

ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا كيف تعاقب الغمراء بالوصية على
التخلق بالأخلاق الحسنة الفاضلة منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع •
فمصدى بن زيد حث على الحياة وصيانة ما الوجه • وطرفة بن العبد نهى المرء

(١) صحيح البخارى مع الفتح كتاب استتابة المرتدين ح ١٢ ص ٢٨ • وصحيح

مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٠ ح ٤ ص ١٧٠٦ •

(٢) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٧٤ ح ٤ ص ٢٠٠٣ •

(٣) فصلت آية رقم ٣٤ •

عن غفتمان الخلقة التي يكرهها للناس ويميهم عليها ، وصابق البربرى حث
على الحلم والإعراض عن الجهال وقد تأثر بوصيته هذه بالقرآن الكريم وقد تبعه
بالحث على الحلم والاتصاف به محمد بن أبى شحاذ الشبى والمقنع الكدى ،
والمرار بن سعيد الفقمى ، وأبو فراس الحمدانى .

وقد نهى أبو العباس الصولى عن النفاق وأمر بتركه ثم وقفنا فى نهاية
المطاف عند أبى الفتح البستى الذى حث وأوصى بمجموعة من الأخلاق الجليلة
مثل الرفق وطلاقة الوجه ، وقد رأينا كيف تأثر أبو الفتح بالقرآن والحديث
النبوى فى وصيته هذه .

• - استشارة العقلاء :

لا بد للإنسان في هذه الدنيا أن تعترضه أمور صعبة وأحوال سيئة فيصير لزاماً عليه أن يتحرر منها ويعمل على التغلب على الشدائد التي حلت به ، فما العمل الذي يحمله حتى يخرج بحل مناسب ؟

هل يستقل برأيه ويعمل على حل أموره بمقدار معرفته وخبرته ؟ أم يستشير من يشق برأيه وعقله ؟

إن الحزم يقتضى منه أن يختار رجلاً قد عركه السنون وجربها ، وصاحب عقل رزين ورأى ثاقب " قد حلب الدهر أعطره " لى يستفيد من خبرته وتجاربته فإنه كما قيل " المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه " .

والشعراء على اختلاف مشاربهم لم يغفلوا هذا الجانب الأخلاقى المهم فى حياة الفرد والمجتمع بل أسهموا بالسنتهم ووجهوا وصاياهم بضرورة الإفادة من العقلاء ومن صقلتهم تجارب الحياة .

يقول طرفة بن العبد فى الوصية لمشاورة العقلاء والاستعانة بهم (١) :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْتَبِلًا ■ فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُؤْصِهِ
وَإِنْ نَاصَحٌ بِكَ يَوْمًا دَنَا ■ فَلَا تَتَأَخَّضْ وَلَا تَقْصِرْ
وَإِنْ بَابُ أَمْرِ عَلَيْكَ التَّوَصَّى ■ فَشَاوِرْ لِبَيِّبًا وَلَا تَعَصِرْ

...

فالشاعر يوصى الرجل بأن يستعين بالعقلاء ، فإن احتاج إلى أن يرسل رسولا فى حاجة عرضت له فعليه أن يختار لهذه المهمة رجلا عاقلا حكيما مجربا يطيعه أمره وعليه أن لا يوصيه بشئ لينضحه حرية التصرف حسب ما يراه مناسباً وصالحا لهذا الأمر لى يرجع من هذه المهمة بالحل المناسب والرأى الصائب .

(١) ديوان طرفة ص ١٦٧

ويقول عليك أيها المرء إن أذاك رجل ينصحك ويوجهك إلى الطريق الصحيح
أن لا تعرض عنه ولا تزور بل أقبل عليه واستفد من نصيحته وتوجيهه لأنك
ستجد الخير في اتباع نصيحته .

ويتابع الشاعر وصيته بالحث على المشاورة ، فمن أصابته مصيبة ، وانسدت
الأبواب في وجهه في أمر من الأمور فعليه أن يتجه إلى إنسان عاقل مجرب
فيشاوره في أمره ويطلب النصيحة منه على أن يطيعه فيما قال ويتبع مشورته ، ولا
يعصيه ، ولا يطرح ما قاله جانباً ، فمن طريق المشورة والمناصحة تسهل الصاعب
وتتيسر الأمور .

وفي بيتين آخرين لطرفة يوصي بهما المرء أن لا ينصح إلا من يستحق النصيحة
يقول (١) :

وَلَا تَرْفِدَنَّ النَّصِيحَ مِنْ لَيْسَ أَهْلِهِ
وَكَأَنَّ حِينَ تَسْتَفِينِي بِرَأْيِكَ غَانِيًا
وَإِنْ أَمْرًا يَوْمًا تَوَلَّى بِرَأْيِهِ
قَدَعَهُ يَصِيبُ الرُّشْدَ أَوْ يَكُ غَاوِيًا
...

فعليك أيها المرء أن تنظر إلى حال المرء المراد نصحه . هل يستحق النصيحة
أم لا ؟ فإن كان يستحق النصيحة فأرجه له ولا تبخل برأيك ومشورتك عليه ، وإن كان
لا يستحق ذلك فلا ترفده بالمشورة والنصيحة لأنه لا يستحقهما ولن يعمل برأيك
ومشورتك .

وعليك أيها الإنسان إن استغفنت برأيك ولم تشاور أحداً ، لم يكن صاحب عقل
ورأي ثاقب وبصيرة نيرة حتى تملك الرشاد وتسير في الطريق الصحيح .

ومن تولى عنك ولم يستشرك أو استشارك فعمى مشورتك ولم يتبعها فلا تأس عليه ولا تحزن له سواء أصاب الرشاد أم سلك طريق الضلال والنفس . وإذا كان طرفه قد حث على المشورة والنصح وهو أحد شعراء الجاهلية فإن الشعراء الإسلاميين قد أوصوا بسلوك هذا النهج وهذا الطريق وقد استمدوا رأيهم هذا من واقع الدين الإسلامى الحنيف ، فقد حث الإسلام على الشورى وأمر بها فقال تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ " (١) وقال تعالى : " وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ " . الآية (٢) .

وهذا أبو الأسود الدؤلى يوصى المرء بالمشورة مبينا من هو الرجل الذى يستحق أن يشاور ويطلق يقول (٣) :

فَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ يَسُوْنَتِكَ نَصَحَةً
وَمَا كُلُّ مَوْتٍ نَصَحَهُ بَلِيْبٌ
ولكن إذا ما استَجَمَعَا عِنْدَ وَاجِدٍ
فَحَقَّقْ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ يَنْصِيْبُ
...

فعليك أيها المرء أن تعرف الرجل الذى تشاور وتحسن اختياره فما كل عاقل لبيب سوف يوجهك ويعطيك رأيه ، لأسباب تعود إلى الشخص ذاته ، وما كل من أعطاك الرأى والمشورة بمقابل يحسن الأخذ برأيه ، ولكن اذا اجتمعت لدى المرء الرغبة فى الخير واعطاء النصح والمشورة لمن شاوره وكان عاقلا لبيباً صاحب خبرة وتجربة ، فهذا هو الحكم الذى تأخذ بشورته وحق عليك أن تطيعه وتمى نصحه وإرشاده .

(١) آل عمران ١٥٩ .

(٢) الشورى آية رقم ٣٨ .

(٣) ديوانه ص ٣٣ .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فهو يوصى المرء ألا يبخل على أخيه بالنصح ويطلب منه أن يخلص له في ذلك ولا يخشع يقول (١) :

لَا تَبْخُلَنَّ بِالنَّصَحِ إِنِّ ضَوْؤُكَ
بِالْمَرْءِ غَيْشُ الْمُسْتَفِيرِ الْمَجْهَدِ
وَاجِبُ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحًا
وَعَلَى أَخِيكَ نَصِيحَةٌ لَا تَرُدُّ
...

فالشاعر يوصى الإنسان ويقول له : "إياك والبخل بالنصيحة على من استشارك وطلب نصحك وإرشادك بل أجبه إلى طلبه عليك أن تخلص له النصيحة وتنحه المشورة الحسنة ولا تغفقه فيها ، فإن منع اسداء النصيحة والغش فيها يزرى بالمرء ويضع من قدر الإنسان .

وإن قدم لك أحد إخوانك مشورة ونصيحة فلا تردّها عليه بل تقبلها قبولاً حسناً وبصدر رحب .

(٢) ويقول الشاعر في بيت آخر من وجوب إخلاص النصيحة والمشورة لطلالها :

إِذَا الْمَرْءُ أَرَعَى وَاسْتَشَارَكَ فَاجْتَهَدْ
لَهُ النَّصْحَ وَأَمْرَهُ بِمَا كُنْتَ آتِيًا
فعليك أيها الإنسان أن تخلص المشورة وتجتهد فيها لمن جاءك مستشيراً ، ولا تردّه وتطرده عن ذلك ، بل أسد له المشورة والنصيحة التي ترضيها لنفسك وتعمل بها لو كان لك الأمر .

(١) شعر عبد الله بن معاوية ص ٤٤ جمع وتحقيق عبد الحميد الرازي ط الأولى

نشر دار الرسالة بيروت سنة ١٣٩٦ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

وهذا بشار بن برد المغيلي يوصي بالمشورة والناصحين فضلهما ومنزلتها يقول (١) :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستمعين
برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غفاسة
مكان الخوافى قوة للقوادم (٢)
...

فالشاعر يوصي المرء بالمشورة والاستماعة بالمعقلاء ، فيقول :
عليك أيها الرجل إذا حزبك أمر وألمت بك ملمة وبلغ الخطر ذروته
أن تلجأ إلى المشورة والناصحة . . . ولكن من الذى تستعين به وتناصحه ؟ عليك
بالرجل الحازم وصاحب الرأى الناصح المخلص لك فى نصحه وعليك أن تتبع ما
يقوله لك ولا تتحصى وأن لا تنفر من النصيحة والمشورة وتأنف منها وتتكبر
فترى نفسك أكبر من أن يشار عليك أو ينصح لك ، فإن المشورة تقوى ساعدك
وتشد عضدك ومثل المشورة فى مكانتها ونهجتها مثل الخوافى فى أسفل
الجناح والذى تساعد القوادم والأجنحة على الطيران .

وإذا كان بشار أوصى المرء بأن يستشير كل عاقل حازم فإن صالح —

(١) بشار بن برد بن يرجوخ المغيلي ولاه جده يرجوخ من طخارستان من سبى
المهلب ، ويكنى بشار بأبى معاذ وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الاموية
والعباسية وقد تغنى فى المدح والهجاء وقد هجا جريرا فأعرض عنه استغفارا
له ويقول لمن نفسه لو أجابنى لكت أشعر الناس وكان الأصمى يقول بشار
خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفعلته على كثير منهم ، قتله
المهدي لاتباعه بالزندقة سنة ١٦٧هـ وقيل ١٦٨هـ انظر الشعر والشعراء ج ٢
ص ٧٦١ والاعانى ج ٣ ص ١٣٥ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) ديوان بشار بن برد ج ٤ ص ١٩٣ جميع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور نشر
الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر سنة ١٩٧٦م .

(٣) الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

عبد القدوس يبين لنا من هو الرجل الذى يستحق المشاورة من وجهة نظره -
يقول (١) :

وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَحْلَامُهُمْ
مِنْ يَسْتَأْذِنُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيَطْرِقُ
حَتَّى يَجِيلَ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبَهُ
وَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطَلِقُ
فَبِذَاكَ يُوثِقُ كُلَّ أَمْرٍ مُّطْلَقٍ
وَبِذَاكَ يُطْلِقُ كُلَّ أَمْرٍ مُّوثِقٍ
...

فالشاعر يوصى المرء بأن يختار الرجل الحليم لى يستشيريه ويستصحه ، وإن
تساوت أحلام الرجال وعقولهم فهناك ما يفرق بينهم وهو الثانى فى إسماء المشورة
والنصيحة فالرجل العاقل الثانى إذا استشير تجده يطرق مليا ويجيل فكره
وعقله فى كل وادٍ ويقلبه فى كل وجهة حتى يتبين المشورة التى يرتفعها ثم ينطلق
بها بعد أن أحاط بالأمر من جميع جوانبه ، لأنه بإطرافه ذاك قد أوشق كل
أمر مطلق إن كان فى هذه المشورة أمر يحتاج الى وثاق وإسك وتجده قد
أطلق جميع ما يحتاج إلى إطلاق إن كان الأمر يحتاج إلى ذلك .

فهذا الرجل هو الذى يجب على المرء أن يستمسك برأيه ويتبع نصحه وإرشاده
لرزانة عقله وتأنيه فى مشورته ونصحه .

أما أبو العطاء السندى (٢) فيعود بنا الى الحث على الاستعانة بالعقلاء .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) هو أنطح بن يسار مولى لبني أسد وذكر ابن قتيبة أن اسمه (مرزوق) شاعر من
مخضرمى الدولتين ، ولكنه يعد من شعراء بنى أمية ومداحهم وهواه منصبها
اليهم ، أما العباسيون فلم يمل قلبه اليهم بل هجاهم ، مات فى آخر خلافة
المنصور .

انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٧٠ والأغانى ج ١٧ ص ٣٢٧ ،
والخزانة ج ١ ص ٥٤٥ .

مثل ما رأينا ذلك عند طرفة بن العبد يقول (١) :

إِذَا أَرْسَلَتْ نَفْسِي أَمْرًا رَسُولًا
فَأَقْبَهُنَّهُ وَأَرْسَلَهُ أَدِييَا
وَإِنْ ضَيَّعْتَ ذَاكَ فَلَا تَلْمَهُ
عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمُ الْغُيُوبَا

...

فعلبك أيها الانسان أن تستعين بالرجل العاقل الأديب إن احتجت إلى إرسال رسول في قضية أو أمر من الأمور وعليك أن تفهمه بجميع جوانب الموضوع وتبين له حقيقة الأمر ولا تخفى عنه شيئاً حتى يرجع لك بالنتيجة التي ترتبها وتسعد بها .

وإن أنت لم تفهمه ذلك ولم تخبره عن جميع ما يحتاجه الأمر فلا تلمه وتمذله ^{ذاتك} ولكن اللوم عليك لأنه بشر لا يعلم الغيب فعلام الغيوب هو الله سبحانه وتعالى وحده .

وأبو محمد الزهيدى يعود بنا إلى بيان صفة الرجل الذي يستشير المرء ويطلب منه التوجيه والمعونة بالرواية يقول (٢) :

وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَلَا تَشَا ■ وَرَّ غَيْرَ مِنْ جَرَيْتَ حَزْمَهُ

فمن عرف عقله وحلمه وخبرته وعزمه وحزمه وجرت ذلك منه فاستمسك برأيه ومشورته واتبعه فهو الرجل الذي يستحق المشاورة والأخذ برأيه لأنه إنسان خبير بالحياة قد جرب الأمور ه أما الرجل المتسرع في مشورته فعليك بالابتعاد عنه والهروب منه ولا تطلب منه مشورة أو نصيحة لأن مشورته غالباً لا تأتي بخير عسى خلاف الرجل الحازم العاقل .

(١) الأغاني ج ١٢ ص ٣٣٦ .

(٢) شعر الزهيديين ص ٨٠ .

وأبو الفتح البستي أيضا يوصي المرء بأن لا يستشير إلا الرجل العاقل
الليقظ يقول (١) :

لا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدَبٍ حَازِمٍ يَقِظُ
قد استوى فيه إسرارٌ وإعلانٌ
فللتدبيرِ فُرسانٌ إذا رَكَضُوا
فيها أبْرؤا كما للحربِ فُرسانٌ

...

فعليك أيها المرء أن لا تشاور إلا رجلا حازما في الأمور يقظا ، صاحب
نجدة ونخوة ، سيرته مثل علانيته لا يعتمد على الغش والنفاق والخداع فمن
اجتمعت فيه هذه الصفات والميزات فهو الجدور بالاستشارة وبالأخذ برأيه
ونصحه ، لأن المشاكل الاجتماعية التي تمتزج في حياة المرء لا يعرف حلها إلا
رجالها وفُرسانها فمن عركتهم السنون وخبروا مسالك الحياة فهم قد يزوا غيرهم
في ذلك مثلهم مثل فرسان الحروب الذين عرفوا مكاييد الحرب وأتقوا الكر والفر
فلا يجارهم أحد في فروسيتهم .

وبعد هذا العرض الذي تناول وصايا الشعراء في المشورة والنصيحة نرى
ما لهذا الأمر من منزلة لدى الشعراء حيث أوصوا الإنسان بالمشورة والأخذ بها
منذ العصر الجاهلي حتى عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور حتى نهاية القرن
الرابع .

كما أنهم بينوا الصفات التي توهل الرجل لابتداء المشورة وحثوا على إسداء
النصح والمشورة لمن طلب ذلك وعدم البخل بها كما أوصوا بالتمسك بالآراء الصائبة
والمشورة الصادقة إذا ما حُزب أمر أو حلت مشكلة .

...

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٤٠ .

٦ - آداب الحديث والاستماع والحث على لزوم الصمت :

أدب الحديث والاستماع من الآداب المهمة في حياة الإنسان اليومية .
فرب حديث قاله المرء في مجلس جنى عليه الشر المقيم .

والشعراء العرب لم يغفلوا هذا الجانب الأخلاقي المهم بل أوصوا المرء
بالوصايا اللازمة من حسن الاستماع ولزوم الصمت في المجلس وعدم إلقاء الكلام على
عواهنه من غير تفكير ولا روية ، كل ذلك بينه وأوصى به شعراء العربية ففى
مختلف عصور الأدب .

يقول طرفة بن العبد موصيا الإنسان بوزن كلامه ومعرفته قبل إلقائه على من
يجالسهم (١) :

وَلَا تَذْكُرِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ ■ حَدِيثًا إِذَا أَنْتَ لَمْ تُحْصِهِ
وَنَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ■ فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِى نَعَصِهِ

فإياك والهدر في الكلام بل عليك أن تعرف ما سوف تقوله وتزن كلامك
بعقلك قبل أن تسمعه جلساءك ، أما إن كنت لا تعرف أطراف الحديث ولا
أقاصيه وغير مستحضر له فلا تلقه وتهذى بكلام ليس فيه نفع لأن ذاك مما
يسووهك ، وإن ألقى حديثا أو نقلت خبرا فأنصبه إلى صاحبه الذى قاله أو الذى
حدثك به لأن نسبتك الخبر لصاحبه ونصك عليه ينفى عنك تهمة الكذب إن اتهمك
بذلك أحد (٢) .

وفى بيت آخر يوصى الشاعر المرء بترك الهدر واللجوء إلى الإيجاز ففى

(١) ديوان طرفة ص ١٦٢ .

(٢) فكرة تليدة لها فيثها في توثيق النصوص .

الحديث يقول (١) :

وَأَوْجِزْ إِذَا مَا قُلْتَ قَوْلًا فَإِنَّهُ * إِذَا قُلَّ قَوْلُ الْمَرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ

فإن حدث أحدنا في مجلس فعملك بإيجاز القول وتجنب الهذر وتطويل الكلام فيما ليس فيه فائدة ، واعلم أن إطالة الكلام وكثرته مما يجعل المرء يقع في أخطاء فاحشة لزلل لسانه ، وعدم تركيزه في الحديث .

أما الإيجاز في الكلام فإنه يقلل من الوقوع في الزلات والأخطاء ، لا سيما صاحب بزمام لسانه ومعرفته ما يقول .

والشاعر عدي بن زيد العبادي يطلب من الإنسان أن لا يتحدث إلا بالحق ولا ينطق إلا بالعدل ، فعليه أن يجتنب الكذب والخداع في كلامه ، واللوم واللامة ، ويجتهد في احقاق الحق بكلامه فمن كان يستحق الحمد والشاء حمد ، ومن كان يستحق الذم ذمه يقول (٢) :

وَبِالْعَدْلِ فَانْطَبَقَ إِنْ نَطَقْتَ وَلَا تَلِيْمٌ
وَذَا الذِّمُّ فَادْمِنُهُ وَذَا الْحَدِّ فَاحْدِدِ

...

أما حسان بن ثابت (٣) رضي الله عنه فيطلب من المرء أن يحسن سماعه ويحفظه عن سماع الخنا وأن يتغافل عن سماعه وينهاه عن الحديث فيما ليس فيه

(١) ديوان طرفة : ١٣٨ .

(٢) ديوانه ص ١٠٨ .

(٣) هو حسان بن ثابت بن النذر الأنصاري رضي الله عنه يكنى بأبي الوليد ، وأبى الحسام شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، شاعر مخضرم متقدم الإسلام ، وكان يقد على ملوك الغساسنة وله فيهم مدائح جيدة مشهورة ، وعمر طويل فعاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام مات في خلافة معاوية رضي الله عنه وقد كف بصره ، رضي الله عنه سنة ٥٤ هـ

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢١١ والأغاني ج ٤ ص ١٣٤ .

فائدة يقول (١) :

أَعْرِضْ عَنِ الْمَوَارِكِ إِنْ أُسْمِعْتَهَا
وَأَقْعُدْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ لَا تَسْمَعُ
وَدَعْ السُّؤَالَ عَنِ الْأُمُورِ وَحَفَرِهَا
قَلْبًا حَافِرٌ حَفْرَةً هُوَ يَصْرَعُ

...

فإن الواجب عليك أيها المرء أن لا تصيح سمعك عند ذكر المعائب والفواحش بل أعرض عنها وتجاهلها وكأنك غافل لا تسمع .

وعليك أيها أن لا تسأل عن الأمور التي ليست تهمك أو تفيدك في شيء وقصدك من السؤال عنها إثارة الشحناء والعداوة فابتعد عن إظهار الأمور السيئة التي يحاول الشخص إخفاءها ، فلربما وقعت فيها سألت عنه وحفرت له وصرعت بذلك الأمر الذي نبشته بعد أن كان خافيا على الناس ، فإن أردت السلامة من ذلك وصيانة عرضك فاجتنب ذكر عيوب الناس ونشر الأمور ، واهتم بأمر نفسك .

وقد جمع الشاعر في وصيته هذه آداب الاستماع في بيته الأول وآداب الحديث في الثاني .

ومن آداب الحديث ألا تقطع بحديثك حديث امرئ سبقك بالكلام يقول
(٢) في ذلك الشاعر دعامة بن المسيب (٣) :

-
- (١) ديوانه ص ٢٧٨ تحقيق سيد حفنى ناصف الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤
(٢) لم أجد له ترجمة فيها بين يدي من المصادر .
(٣) شعر طي ، وأخبارها في الجاهلية والإسلام ٥٩١/٢ جمع وتحقيق د / وفاة
فهى السند يوني ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض سنة ١٤٠٥ هـ

لَا تَقْطَعَنَّ مَقَالَةً فِي مَجْلِسٍ
لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِذْرَاكَهَا
فِي كُلِّ أَمْرِكَ قَبْلَ جَهْرِكَ بِالسَّيِّئِ
فَاتَتْ وَلَمَّا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاكَهَا

...

فالشاعر يوصي المرء بالتأني في الحديث فلا يتكلم ما دام هناك شخص
يتحدث لكي لا يقطع الكلام على المستمعين بحديثه العارض هذا ، وهذا العمل
أعنى قطع الحديث من الأخلاق السيفة المشينة التي تبغضها الإنسان وتتفر منه
جلسا م .

واعلم أنك لا تستطيع أن تتدارك أمرك إن قطعت به كلام أحد لأن ذلك
لن يرجع أبدا فقد سمعه جميع المستمعين في هذا المجلس وعرفوا سوء خلقك .

وإن أردت أن تتحدث بحديث فعلبك أن تزن كلامك وتعرف ما ستقوله
قبل جهرك به ، لأنك إن نطقت بكلمة سوء فلن تستطيع إسماك هذه الكلمة
ورجمها مرة أخرى لأنها قد دخلت أسماع الحاضرين وعرفوها ، فلربما سببت
لك هذه الكلمة العديد من العاصب والمتاعب .

ومن الوصية على وزن الكلام قبل النطق به قول عبد الرحمن بن حسان^(١)
فَإِنْ قُلْتَ فَأَعْلَمْ مَا تَقُولُ فَإِنَّهُ

إِلَى سَامِعٍ مِنْ تَعَادِي وَنَاصِرٍ

(١) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي يكنى أبا سعد وأبا محمد
وأمه أخت مارية القبطية ، شاعر ابن شاعر ، كان مقبلا في المدينة وتوفي فيها
له أخبار متفرقة في كتاب طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٠ وكتاب رغبة الأمل
ج ٣ ص ١٦٧ مؤمن سنة ٩٨ هـ .

انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ج ٥ ص ٣١ والاعلام للزركلي ج ٣
ص ٣٠٣ .

(٢) الحماسة للبحتري ص ٣٦٨ .

وَأَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّ مَقَالَتِهِ
سَارَتْ وَزَلَّتْ فِي سَمَاعٍ آخِرٍ
كما ليس رامٍ بعد إطلاقِ سَهْمِهِ
على رَدِّهِ بعد الوقوعِ بِقَادِرٍ
...

فالمطلوب منك أيها المرء أن تعرف كلامك وتزنه قبل أن تنطق به لأنه
سيصل إلى آذان القوم ، وليسوا كلهم أصحابا محبين لك ، بل فيهم الأعداء
الذين يبحثون عن عيوبك ونقائصك وربما نقلوا كلامك إلى أحد من الناس وفيه
ما يفضبه فخلق له مشكلة وجعل عليك مصيبة .

واعلم أنك لا تستطيع أن ترد كلمة بعد نطقك بها وسماع الحاضرين لها
ومثل الكلام في ذلك مثل السهم الذي إن أطلقه صاحبه فإنه لن يستطيع رده بعد
إطلاقه .

وعيد الله بن معاوية يوصي المرء أيضا بلزوم الصمت ووزن الكلام وقياسه
قبل النطق به حيث يقول (١) :

أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَقُولَنَّ قَوْلًا
لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَحْبِبُكَ مِنْهُ
وَالزَّمِ الصَّمْتَ إِنْ فِي الصَّمْتِ حِكْمًا
وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَرِزْنَاهُ
وَإِذَا الْقَوْمُ أَلْغَطُوا فِي كَلَامٍ
لَسْتَ تُعْنَى بِجَانِبِهِ فَالْهَ عَنَّهُ
...

فالشاعر يوصي المرء ويقول له إياك والكلام الذي لا فائدة فيه ويجب عليك

معرفة الكلام الذى تلقىه ، والتفريق بين الكلام الحسن والكلام القبيح الذى يمينك ويحيب منطقك .

وإياك أن تتطرق بحدیث لا تفهم معناه ، وعلیک بلزوم الصمت فإن الحكمة فى ذلك وإن كان لابد أن تتحدث فعلیک أن تزن حدیثك وتجبله فى خاطرك قبل أن تلقیه على مستمعیك لأن كل كلمة تقولها أنت مسئول عنها وستتضرر نفس الآفاق سواء كانت خیرا أم شرا .

وإن كنت أیها المرء فى مجلس وتحدث القوم فى كلام لا یمینك أمره بشئ فاعرض عنه ولا تصح سماعك إلیه وتظاهر بأنك لا تسمع من مقالته هذه شیئا .

وهذا الشاعر ابن هرمة ^(١) یوصى المرء بحفظ اللسان والحذر من عواقب القول فى أبيات تشبه أبيات عبد الرحمن بن حسان یقول ^(٢) :

أرى الناس فى أمرٍ سَحِيلٍ فلا تَزَلْ
على حذرٍ حَتَّى تَرى الأَمْرَ مَبْرَما
فإنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ رَدَّ الذى مَضَى
إذا القولُ عن زَلَّاتِهِ فَارَقَ الفَما
فكائن تَرى مِنْ وإفْرِ العِزِّ صَانِما
وأخِرَ أَرَدَى نَفْسَهُ إِنْ تَكَلَّمَا
...

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة بن هذيل من الخلاج من قيس عيلان من قريش من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وكان منقطعا إلى الطالبين ومدح أبا جعفر المنصور ، قال عنه الأصمعي : إنه من ساقه الشعراء أى من آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم مات حوالى ١٥٠هـ انظر الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٥٧ والأغاني ج ٤ ص ٣٦٧ وخزانة الأدب ج ١ ص ٤٢٤

(٢) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٧٥ تحقيق أحمد شاكر .

فعليك أيها الإنسان أن لا تقول قولاً إلا بعد أن تتوثق منه ويكون مثل
الحبل القوى المتين ، وإياك والكلام الرديء الواهى الذى مثل الحبل الواهن
البالى الضعيف فإن النجاة والسلامة فى وزن الكلام وضبطه قبل القائه ، لأنك
لن تستطيع أن ترد مقالة قد زلت من فمك ووقرت فى اسماع الناس .

واعلم أن الصمت عما لا ينبغى أن يقال هو سر محافظته الإنسان على عرضه
وشرفه ، والكلام فيما لا يحسن هو أداة السقوط فى الردى وإهانة النفس ،
فعليك بالصمت والتزامه .

وصالح بن عبد القدوس يوصى المرء أن يزن كلامه قبل إلقائه لأن كلام المرء
موزان عقله يقول (١) :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
يُهْدَى عَجُوبَ ذَوَى الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ

فإن تحدثت أيها الإنسان فعليك بوزن الكلام وقياس كل كلمة ستقولها لأن
اللسان هو دليل الجنان فمحبوب المرء خافية عن الأعين ولا يهديها للناس
إلا منطقتهم وكلامهم قرب منطق يبين ما يخفيه صاحبه من أخلاق وصفات .

ويقول فى أبيات أخرى يوصى المرء فيها بالإيجاز فى الكلام ولزوم الصمت (٢)

لَا تَكْثِرَنَّ حَفَّوَ الْكَلَامِ ■ ■ ■ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عَجُوبِهِ
وَالصَّمْتُ أَحْمَنُ بِالْفَقْهِ ■ ■ ■ مِنْ مَنَاطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ .

...

فالشاعر يوصى المرء بترك الهذر فى الكلام ، وأن يبعد إلى الإيجاز فى
الحديث والقصد إلى ما يريد ، من غير إطالة ، وليعلم المرء أن السكوت ولزوم الصمت

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) الحامسة للبحترى ص ٣٦٤ .

أجمل وأحسن بالفق من منطق في غير حينه ووقته .

وهذا الشاعر صالح بن جناح ^(١) يوصي الشخص بإقلال الكلام وحفظ اللسان والحذر من عواقب المنطق يقول ^(٢) :

أَقْلِلْ كَلَامَكَ وَاسْتَمِذْ مِنْ شَرِّهِ
 إِنْ الْبَلَاءُ بِيَمِضِهِ مَقْرُونُ
 واحفظ لسانك واحتفظ من غَمِّهِ
 حتى يكون كأنه مَسْجُونُ
 وَكَلِّ قَوْلَكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ
 إِنْ الْكَلَامَ عَلَيْكََا مَوْزُونُ
 فَرِنَاهُ وَلِيكَ مُحْكَمًا فِي قَلْبِي
 إِنْ الْبَلَاءُ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ
 ...

يقول الشاعر : إِنْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنْ تَقْلِلَ مِنْ كَلَامِكَ وَأَنْ تَحْذِرَ مِنْ زَلَاتِ اللِّسَانِ لِأَنَّ بَلَاءَ الْمَرْءِ مِنْ حَصِيلَةِ لِسَانِهِ وَجَنَابَتِهِ عَلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ إِذَا أَنْ تَحْفَظَ لِسَانَكَ وَتَحْفَظْهُ هُوَ اللَّجْوُ إِلَى السَّكُوتِ وَلِزُومِ الصَّمْتِ حَتَّى يَصِيرَ مَعْتَقِلًا وَكَأَنَّهُ رَجُلٌ مَسْجُونٌ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَوَكَّلَ عَقْلَكَ عَلَى لِسَانِكَ وَتَجْعَلَهُ وَصِيًّا عَلَيْهِ فَلَا يَنْطِقَ لِسَانُكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَمْرُضَهُ عَلَى عَقْلِكَ وَأَخْبِرْ عَقْلَكَ وَلِسَانَكَ أَنَّ الْكَلَامَ مُحْسُوبٌ عَلَيْهِمَا حَتَّى

(١) هو صالح بن جناح اللخمي ، شاعر دمشقي ، أدرك التابعين تنسب إليه مقطوعات لطيفة له كتاب (الأدب والمروءة) لم أجده سوى هذه الترجمة ، وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته كتاب لباب الآداب أن بعض أهل العلم يظن أن صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ولعله أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب والله أعلم .
 انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٩٠ ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٨

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ج ١ ص ٨٦ تحقيق محمد مرسى الخولي نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

يزنا الكلام قبل النطق فلا يخرج إلا الكلام الجيد المفيد وليكن كلاما موجزا محكما
فالبلاغة في الإيجاز .

وهذا الإمام عبد الله بن المبارك^(١) يوصي المرء بحفظ اللسان والحدور من
عواقب الأقوال يقول^(٢) رحمه الله

احْفَظْ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ
حَرِيصٌ عَلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَإِنَّ اللِّسَانَ بِرَدِّ الْفُجُورِ
دَلِيلُ الرَّجَالِ عَلَى عَقْلِهِ
...

فالشاعر يوصي الإنسان قائلا احفظ لسانك لأنك مسئول عن منطقتك وربما
صارت ميتتك بسبب لسانك لانزلاقه في كلام فقدت بسببه حياتك، وأمر آخر يوجب
عليك أيها المرء حفظ لسانك والحدور من الإفراط في الحديث أن لسانك وما
ينطق به من كلام دليل على مقدار عقلك فإن كان كلامك حسنا عرف القوم رزانة
عقلك ومقدار شرفك وقدرك من خلاله وإن كان ما نطقت به كلام سفه عرفوا نقص
عقلك وسوء أدبك .

والإمام الشافعي أيضا يوصي الإنسان بحفظ لسانه لما يجر عليه من مصائب
حيث يقول^(٣) :

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
لَا يُلْدَغُكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ

(١) هو عبد الله بن المبارك المروزي الحنظلي بالولاء التميمي كنيته أبو عبد الرحمن
ولد سنة ١١٨هـ شيخ الاسلام كان محدثا فقيها عالما بعلوم العربية وأيام
الناس وكان شجاعا تاجرا سخيا أفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا
مات «بهيت» منصرف من غزو الروم سنة ١٨١هـ رحمه الله انظر ترجمته نفس
تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ١١٥

(٢) ديوان الامام عبد الله بن المبارك ص ٥٧ جمع وتحقيق د/ مجاهد مصطفى بهجت
نشر دار الوفاء المنصورة ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ

(٣) ديوان الامام الشافعي ص ٨٢ .

كم في المقابر من قَتِيلٍ لِسَانِهِ
كَانَتْ تَهَابُ لِقَامَهُ الْأَقْرَانُ

...

فعليك أيها الرجل حفظ لسانك والحذر من لدغ فإنه كالشعبان يلدغ من حيث لا يشعر به الإنسان ، وانظر إلى المقابر فكم قتل فيها بسبب حديث قاله أو كلمة ألقاها ، وقد كانت تعجز عنه الفرسان في المعارك لقوته وعظم بأسه ولكن لما زل به لسانه أودى به إلى مهاوى الردى .

ويقول أيضا في حفظ اللسان (١) :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحِبَّ سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى
وَدَيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعِزُّكَ صَيِّنٌ
فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِرَلَّةٍ
فَكَلِّكَ سَوَاتُ النَّاسِ أَلْسُنُ

...

فإن شئت أيها المرء أن تعيش عيشة هنيئة بعيدة عن المشاكل والعداوة ، فاحفظ لسانك ولا تتطرق إلا بالحق وابتنع عن الزلل في الحديث فإن ذلك الكلام هو أعظم الحائب ، واحذر من ذكر معائب الناس ، لأنك إن فعلت ذلك تنبهوا إليك ونهشوك وجرحوك بالسنتهم وفتشوا عن عيوبك وأذاعوها بين الناس .

وحفظك للسانك أحوط لدينك وأوفر له ، وأسلم لعرضك من أن يخذله أحد أو ينتقصه إنسان .

وأبو العتاهية أيضا يوصي المرء بحفظ لسانه والحذر منه يقول (٢)

اخزن لِسَانَكَ بِالتَّكْوِينِ عَنِ الْخَسَا
وَاحْذَرْ عَلَيْكَ عَوَاقِبَ الْأَسْوَالِ

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢٨٩ .

فمطلوب منك أيها المرء أن تربط على لسانك ولا تتحدث إلا بالحق وأن
تجتنب الكلام الفاحش في حديثك ، والحذر الحذر مما يجنيه عليك لسانك
من عواقب وخيمة إن نطقت بكلام يمس أحدا .

ويقول الشاعر في بيت آخر يوصي بالانقلاص في الكلام (١) .

وَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ هَذِرًا

وَاقْصِدْ فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ قَصَدَا

فاجتنب الاطالة والهذر في الكلام وعليك بالاجاز في قولك فالمرء يذم
بهذره ولا يذم بإيجازه في كلامه .

ويوصي الشاعر مرة أخرى المرء بالسكوت حيث يقول (٢) :

يَخْشَى أَنَاثُ فِي الْحَدِيثِ لِيُوجِزُوا

وَلَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَوْجَزُ

إِذَا كُتِبَ عَنْ أَنْ تُحْصِيَ الصَّمْتُ عَاجِزًا

فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

...

فعليك أيها المرء إذا قلت قولاً أن توجز فيه ، واجتنب الخوض في الكلام
بحثاً عن الإيجاز فالإيجاز كامن في اللجوء إلى الصمت في أغلب الأحيان ، وإن
كنت عاجزاً عن الصمت وحفظ لسانك فأنت عن الافهام بكلامك أعجز .

وأخيراً نجد أن منصور الفقيه (٣) يوصي المرء بالسكوت إذا خفى الحق

(١) أبو المتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .

(٣) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير وكنيته
أبو إسحاق كان عالماً في الفقه الشافعي ، شاعراً مجيداً متفنناً له حظ من كل
علم مات سنة ٣٠٦ هـ .
انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١١ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان
ج ٥ ص ٢٩٩ .

عليه يقول (١) :

وَإِخْرَجَ إِذَا خَفِيتَ أَمْرُ ۖ رُ الْحَقِّ عَنِ الْإِجَابَةِ
فَأَقْلَ مَا يَجْزِي الْفَقِي ۖ يَكُونُ عِزُّ الْمَهَابَةِ

فالجأ الى الصمت أيها المرء إن سئلت ولم تكن تعرف الإجابة الحققة ،
فليس لك أن تقول قولاً لا تعلم حقيقته ، واعلم أن أقل جزاء للصمت هو كسب
العزة والمهابة .

ومن خلال ما سبق يتضح كيف أوصى الشعراء بأداب الحديث والاستماع
والحث على لزوم الصمت في شتى المصور الأدبية .

فقد أوصوا بتوثيق الكلام ونسبته إلى أصحابه ، كما حثوا على الإيجاز فسي
القول وترك الهذر والإطالة فيه ، وكذلك أوصوا الإنسان أن لا ينطق بحدِيث
إلا بعد وزنه ، وحذروا من عواقب زلات اللسان كما أوصوا المرء بالاعراض عمن
الاستماع إلى الكلام الفاحش أو الذي لا يعنيه .

...

(١) بهجة المجالس ص ٨٨ .

٧ - حفظ السر :

لا بد للإنسان أن يكون له أسرار تخصه ولا تتعداه إلى غيره ، وليس من الخير له أن يفشيها لأحد ، وقد أوصى شعراء العرب بحفظ السر وعدم إفشائه للناس وإن اضطر المرء أن يفشى سره لأحد من أصحابه فلا يفشيه إلا إلى حافظ للسر طاو للأمانة .

فعدى بن زيد العبادى يحث المرء ويوصيه بحفظ سره وعدم إفشائه لأحد يقول (١) :

ولا تَفْشِينَ سِرًّا إِلَى غَيْرِ حِرْزَةٍ
ولا تَتَكَبَّرِ الشُّكُوى إِلَى غَيْرِ عَائِدٍ

فاحفظ سرك أيها المرء فى صدرك ولا يطلع عليه أحد سواك ، وإن أنت أعلمت به أحداً فلا تعلم به إلا الرجل الكاتم الحافظ للسر ، لأنك أن أفشيت به إلى رجل مهذار أشاع سرّك وأعلم به كل من لقي وكل من جالس فاحتسب لنفسك من ذلك فلربما أصابك سوء من جراء إفشاء سرّك .

أما دعامة بن ندى (٢) فإنه يحذر من النمام ويوصى المرء بعدم إخباره بأى سر هونا للأسرار من الإفشاء يقول (٣) :

ولا تَفْشِينَ سِرًّا إِلَى ذِي نِيَمَةٍ
فذاك إذا ذَنَّبَ بِرَأْسِكَ يَعْصَبُ
إذا ما جَمَلْتَ السَّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ
فإنك ممن ضَيَّعَ السَّرَّ أَذْنَبُ

(١) ديوانه ص ١٧ .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٣) شعر طى ، فى الجاهلية والاسلام ج ٢ ص ٥٨٩ .

فاحفظ شرك وصنه عن المنام فإنه سيظهر شرك إلى الملائكة لأن خلقه
الذى تخلق به وهو الشئ بسين الناس بالنسبة يجعله يقول كل ما لديه من
أسرار لغرض الإفساد بين الناس وإن أنت لم تسمع النصيحة وأخبرت المنام
وأعقبك ذلك سوءاً، فالذنب ذنبك لمذاقتك مشورة الناصح لك .

وإن أنت لم تحفظ شرك ولم تصنه عن المهادنة المصحح للسر فإن
العمل عملك وتكون أنت " من ضيع السر أذنب " .

وأبو صخر الهدلى (١) بحث المرء على كتمان ما يؤتمن عليه وحفظه يقول (٢) :

وَإِذَا اسْرَوْتُ أَسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً
فَاطْوِ الْأَمَانَةَ لِلضَّمِيرِ الدَّاخِلِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ أَمَانَةً حَمَلْتَهَا
فَحَمَلْتَهَا لِلنَّاسِ ذَاتَ مَنَاقِلِ

...

فالشاعر يوصى المرء بأن يحافظ على ما يؤتمن عليه ولا يظهره لأحد مهما
كانت صلته به ، بل عليه أن يودع هذه الأمانة قلبه ولا يجعلها على لسانه لكى
لا يخبر بها أحدا .

والأمانة وكتمان أمرها ليست بالأمر الهين وإن خالها الإنسان كذلك
فعلية أن لا يحتقرها ويستعين بها فإنما هى ثقيلة لا تقوى على حملها الجبال

(١) هو عبد الله بن مسلم السهمى الهدلى ، شاعر أبوى ، كان موالياً لبسنى
مروان شمعياً لهم ، حبسه عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وأخرجه بعد
سنة لوساطة هذيل له .

انظر ترجمته فى الأغاني ج ٢٤ ص ١١٠ .

(٢) شعراء أمويون ص ٥٨ .

ولكن إذا ابتلى بها المرء فليحافظ عليها وليكنم أمرها ولا يعلم بحتواها
أحدا .

وعبد الملك بن مروان يوصي الرجل بحفظ السر وكنانه وعدم إفشائه
لأحد مهما كان يقول (١) :

وَلَا تَقْصِي سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ ۖ فَإِنْ لَكَلَّ نَصِيحًا نَصِيحًا
وَأَنْتَ رَأَيْتَ غَوَاةَ الرَّجُلَا ۖ لِي لَا يَتَرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

يقول الشاعر : عليك أيها الانسان كنم سرّك وحفظه . وإن أردت أن تحافظ على
عرضك وتسلم من السنة الغواة والوضعا . فلا تعلم بسرّك أحد سواك فإنني قد
سبرت لك غور هو . وعرفتهم فهم لا يتركون إنسانا إلا وينالونه بأقواهم
ويلوكونه بالسنتهم إذا عرفوا من أسرار المرء شيئا وخبروا أخلاقه .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فينهى الانسان عن إفشاء سره إلى
الأحمق يقول (٢) :

لَا تَقْصِي سِرًّا إِلَى غَيْرِ اللَّبِيبِ وَلَا إِلَى
خَسْرِقِ الْمُشِيعِ لَهُ يَوْمًا إِذَا غَضِبَا

فالشاعر يوصيك أيها المرء أن تحفظ سرّك وتبصونه ولا تفضّه إلى رجل غير
عاقِل لأنّه سيخسعه لك . ولا تفضّه أيضا إلى الرجل الأحمق فيفضيه لك وبذيعه
في يوم من الأيام وسورة الغضب آخذة منه مأخذها فاجتنبه لكن لا يفضح أسرارك
وأخبارك .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ١ ص ٦٥ تحقيق أحمد أمين .
ط الثانية . لجنة التأليف والنشر سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) شعره ص ٣٢ .

المرديح * .

وحول معنى حفظ السر وعدم اخبار أحد به يقول عبد الله (١) بسن
المعتر (٢) :

لا تَلَمْ مَنْ لَمْ يَحْنِ سِرَّكَ إِذْ
لَمْ تَعْنَهُ وَاحْذَرْنَهُ وَانْتَبِهْ
لا يَكُونُ السَّرُّ إِلَّا كَانِيهِ
لا تَحْمِ السَّرَّ مَا قَدْ بَحَثَ بِهِ
...

يقول الشاعر : أولى بك أيها المرء أن تصون سرك وتكتمه ولا تخبر به أحدا
وإن أذاع أحد سرك بعد اعلامك له به فلا تلمه أو تعتب عليه لعدم استطاعته
كتم السر لأنك أصبح منه لعدم استطاعتك كتم سرك . وعليك الحذر من عواقب
اذاعة السر .

وأعلم أيها المرء أن السر لا يمسى سرا إلا إذا لم يعلم به أحد سواك
أما إن علمه أحد كائنا من كان فليس ذاك بسر ولا تسمه سرا لأنه خرج من
الخفاء والسرية الى البروز والظهور .

وأبو الفتح البحتى ينهى عن إبداع السر لدى مضيق فيقول (٣) :

-
- (١) هو أبو المباس عبد الله بن المعتر بن المتوكل بن الممتصم بن هارون الرشيد
كان أدبيا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ
جيد القريحة أخذ المعلوم عن أبي المباس البهرى وأبي المباس ثعلب لهما
تصانيف عديدة منها كتاب (البديع) و (طبقات الشعراء) استخلف يومها
واحدا أو بعض يوم ثم قتل سنة ٢١٦ هـ .
انظر ترجمته في الأغاني ح ١٠ ص ٢٧٤ ، تاريخ بغداد ح ١٠ ص ١٥ ، وفيات
الأعيان ح ٣ ص ٣٤١ .
- (٢) ديوان ابن المعتر ح ٢ ص ٣٨٥ دراسة وتحقيق محمد بديع شرف ، نشر
دار المعارف ، مصر .
- (٣) قصيدة عنوان الحكم للبستى ص ٣٩ .

لا تدبغ السرّ ومثاءً يَبُوحُ بِهِ
فما رَعَسَ غَمًّا في الدَّوِّ سِرْحَانُ

فاحفظ سرّ أيها الرجل ولا تخبر به الوشاة الذي لا يؤمن على الأسرار
فلا همّ له إلا القيل والقال وإشاعة الأسرار والأخبار . وسيشيع سرّ ويخبر به
الوشاة والحاقدين ، فهل رأيت في يوم من الأيام ذئبا أو ثمن على غنم فرعاها
في الصحراء ، فهذا من المستحيلات التي لا تحصل أبداً وذاك مثله ففسى
الاستحالة فالواشي لا يؤمن على سر أبداً .

وبعد هذه النظرة على شمر الرصايا في حفظ السر ، نرى أن الشمراء
قد أجمعوا على الحث على حفظ السر وعدم إبداءه لدى الضميين والوشاة والناميين
كما هو الحال عند جميع الشمراء الذين سبق ذكرهم ، وأوصى بعضهم بعدم
إنشاء السر مطلقا سواء كان الرجل المفسى له ثقة أو غير ثقة كما رأينا عند
عبد الملك بن مروان وابن المعتز .

...

٨ - الحث على الصبر :

إن الصبر على نوائب الدنيا صفة جليلة لها منزلة رفيعة في نفوس الناس ولكن المتحلى بها نادر ، فلا يتحلى بها إلا أصحاب العقول الرزينة وذوي الارادة القوية وذلك لما للصبر من ثقل على النفوس في بداية الأمر ، ولكن مغيبته خير وسعادة وراحة للضير .

والشعراء قد تنبهوا إلى هذه الصفة الجليلة فأوصوا المرء بالتحلى بها والتجمل بتحملها .

فعبيد بن الأبرص^(١) يوصي المرء بالصبر عند كل نازلة ويحثه على تحمله يقول^(٢) :

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلْسَمٍ ■ إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَفْهَقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُ ■ شَفَّ غَمَاؤُهَا بَغِيرَ اخْتِيَالِ
رِمَا تَجْزَعُ النَّفْسُ مِنَ الْأَهَمِّ ■ بَرٍّ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعُقَالِ
...

يقول الشاعر : عليك أيها الرجل أن تدرب نفسك على الصبر والتحمل عند أى مصيبة تحل بساحتك ، ولا تجزع أو تغضب من أجل ذلك فإن الصبر هو الطريق الأمثل لحل هذه المشكلة وهذه المصيبة .

(١) هو عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير الأسيدي ، شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من طبقات الجاهليين ، وقال بقديم عظيم الذكر عظيم الشهرة ، وشعره ذاهب مضطرب ، وفد على النعمان بن المنذر في يوم بؤسه فقتله .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ح ١ ص ١٥٧ ، والشعر والشعراء ح ١ ص ٢٧٣ والاعاني ح ٢٢ ص ٨١ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ص ١١٢ تحقيق د / حسين نصار ط الأولى سنة ١٣٧٧ هـ نشر مصطفى الهادي الحلبي مصر .

وإن تكالبت عليك أمور كثيرة في آن واحد فلا تنبهر منها وتضيق بها ، فلربما انقضت هذه الأمور عن سمائك في لحظة من اللحظات من غير حول ولا تدبير منك .

وقد تخطى " أيها المرء " في تقدير حل مشكلة أو مصيبة نزلت بك فتجزع من أجلها وتقعده حزينا وترى أن فلاكها والخروج من هذه المشكلة أمر صعب ويكون حلها على العكس من ذلك حلا سهلا " كحل عقال البعير " .

وهذا محمد بن يسير الرهاشي ^(١) يوصي المرء أن يتخلق بالصبر ويبين له ماله من قيمة ومنزلة يقول ^(٢) :

لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظُرَ بِحَاجَتِهِ
وَيُذَيِّنَ الْقَرَى لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
...

عليك أيها المرء أن تطرد عنك اليأس فلا يقترب منك ولا يفتر من عزيمتك أو يثبط همتك وإن كنت دائم المطالبة حثيث المعى ، فاستعن بالصبر فإن الصبر مفتاح الفرج ومزيل الهم والغم ، وما أنفلق عليك من أمر ومهما وعسرت

(١) هو محمد بن يسير الرهاشي من أسد ، قيل صليبة وقيل ولا ، شاعر عباسي في عصر أبي نواس وعمر بعده ، وكان شاعرا ظريفا من الشعراء المحدثين متقللا لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة أو عريف منتجعا وكان ماجنا هجاء خبيثا .

انظر الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٨٣ ، والأغانى ج ١٤ ص ١٧ .

(٢) الأغانى لأبي الفرج الأنصهاني ج ١٤ ص ٤٢ .

مسالكه فإن الصبر يسهل طريقه ، ويفتح ما رتب الله منه وانخلق ، وحرى بمن اتصف بالصبر ولازمه أن يظفر بما يريد ، ويقضى حاجته ، كما أن مديم قسوع الأبواب والمواظب عليه حرى به أن يلج في يوم من الأيام ويدخل .

والإمام عبد الله بن المبارك يوصي الإنسان بالصبر ويبين حقيقته يقول (١) :

غَايَةُ الصَّبْرِ لِذِيذٍ طَعَمَهَا ■ وَرَدَى الدَّوْقُ مِنْهُ كَالصَّبْرِ
إِنْ فِي الصَّبْرِ لَفَضْلًا جَيِّنًا ■ فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ

...

يقول الشاعر اعلم أيها الإنسان أن الصبر مر المذاق صعب التحمل وأقل شئ من الصبر وأيسره أمر من الشجر المر " الصبر " لكن عاقبته ونتيجته لذينة الطعم حسنة العاقبة .

والصبر فضله ظاهر بين للجميع لا يخفى على أحد لما يعود على المرء منه من عواقب حسنة ونتائج حميدة . .

فإذا عرفت ذلك أيها المرء فاحمل نفسك على الصبر واجبرها عليه حتى تستسيغه وتتعود عليه .

وأبو العتاهية أيضا يوصي بالصبر ويأمر به لما له من نتائج حسنة يقول (٢)

اصبر على نُوبِ الزَّوْا ■ نِ وَهَيْبِهِ وَتَغْلِبِهِ
لَا تَجْزَعَنَّ فَمَنْ تَعَتَّى ■ بَ دَامَ وَهْلُ تَعَتُّبِهِ

(١) ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ص ٤٦

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥٢ .

فعليك أيها المرء أن تصبر على نوائب الدهر وريبه وتحمل ما يعقب ثقله من مصائب ومشاكل فإن في الصبر راحة للمرء ومخرجاً مما هو فيه ، وإن أنت جزعت وعنت على الدهر لما فعله بك ولم تصبر فإنك ستعذب عليه في كل حين ولن ترضى عنه أبداً ، لأنه لن يستقيم لك في كل حال من الأحوال فالدهر ذو أحوال متقلبة ، فما عليك إلا أن تصطبر له وتظهر له الجلد .

ويحت الشاعر في قطعة أخرى على الصبر على مصائب الدنيا ويلفت نظر الانسان الى أنه ليس وحيداً في هذه الدنيا وكل فرد قد أصابته مصيبة يقول (١)

اصبر لكل مصيبة وتجلّد
واعلم بأن المرء غير مخلص
أو ما ترى أن المصائب جمّة
وترى النية للعباد يرمض
من لم يصب من ترى بمصيبة
هذا سهل كنت فيه بأوخد
...

فالصبر واجب عليك عند كل ملّة ومصيبة فلا تظهر الجزع لمصائبه بل أظهر الحزم والجلد ، ولك فيمن حولك عبرة وعظة فمن الذي لم يصب منهم بأذى أو مصيبة فلو فتشت عنهم فرداً فرداً لم تجد إنساناً إلا وطرفته مصيبة .

فعليك أن تصبر على المصائب وتتجلّد لها لأنك لست الوحيد الذي نزلت بك بل الناس جميعاً .

وهذا عبد الله بن المعتز يوصي المرء بالصبر على حمد الحسود ، ويبين

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٠ .

قيمة الصبر في أبيات سهلة عذبة يقول (١) :

اصبر على حَسَدِ الْمَدُونِ ■ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ■ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ
وَلَرَبَّمَا نَالَ الْفَتَى ■ بِالصَّبْرِ مَا لَمْ يَأْكُلْهُ

...

فاصبر أيها المرء على حسد اعدائك وحسادك فإظهارك الصبر على حقدهم وحقدهم ، وعدم الاهتمام بهم يخليطهم ويبعث الكد والحسرة في قلوبهم فيجتنبوك في آخر الأمر ، فمثلهم مثل النار فهي إن لم يكن هناك وقود لها يضرها ويزيد من اشتعالها بدأت تأكل بعضها وتحرقه حتى تخمد وتنطفئ .

واعلم أيها الانسان أنك ربما نلت بصبرك على حوادث الدهر أكثر مما فاتك وما كنت تأمله وتتوقعه .

وأبو فراس الحمداني يبحث في بيت له على الصبر ومعناه لا يختلف عن معنى بيت ابن المعتز الأخير يقول (٢) :

اصْبِرْ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
بِالصَّبْرِ تَدْرِكُ كُلَّ مَا تَتَطَلَّبُ

فعليك بالصبر على حوادث الدهر وصروف الزمن فإنك بالصبر ستدرك كل ما تشتهييه نفسك وتتناء .

ومن خلال ما سبق نرى أن الشعراء في مختلف المصور الأدبية قد أوصوا

(١) ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ تحقيق محمد بدیع شرف .

(٢) ديوانه ص ٣٩ .

بالصبر ، فعبيد بن الأبرص يوصى المرء بالتحلى بالصبر عند حلول النوازل ،
ويحثه على عدم الجزع من ذلك ، وعدم اليأس من زوال هذه المحبة ، ومحمد
ابن يسير الرهاشي يبين للإنسان أن المتحلى ^{بالصبر} لا يبد وأن ينال مطلبه وما عز عليه
في يوم من الأيام جزاء صبره وجلده ، والامام عبد الله بن المبارك يحث المرء
على إكراه النفس لتحمل الصبر لأن عواقبه جليلة ، أما ابن المعتز فإنه يوصي
بالصبر على حسد الحسود لأن في الصبر على أذاه غاطة له ، وفي نهاية المطاف
نرى أن أبا فراس الحمداني قد حث على الصبر لأن المرء قد ينال بالصبر
أكثر مما كان يأمله ويرجوه))

١ - النهى عن فرط المزاج :

المزاج أمر محبب الى النفوس لما يضيفه من مرح وضحك ، ولكن هذا الضحك يعقبه ندم وحسرة لما تؤول إليه نتيجته ، وهى نشوب العداوة بين الأصحاب لسقوط بعضهم فى كلام يمسى للآخرين .

وقد تنبه الشعراء إلى هذه النتيجة فأوصوا المرء أن يعتمد عن فرط المزاج لكلا يقع فى المحذور .

فعدى بن زيد العبادى يوصى المرء أن لا يجزع من المزاج إذا ما زح أحداه وعليه أن يتجنب فرط المزاج حتى لا يقع فى السفه والغى يقول (١) :

إِذَا أَنْتَ فَاكِهَتَ الرَّجَالَ فَلَا تَلَعْ
وَقُلْ يَمْثُلًا قَالُوا وَلَا تَتَزَيَّدُ (٢)
وَإِيَّاكَ مِنْ فَرْطِ الْمَزَاجِ فَإِنَّهُ
جَدِيرٌ بِتَسْفِيهِ الْحَلِيمِ الْمُدَّدِ
...

فعليك أيها المرء أن لا تجزع أو تضجر إذا ما مزحت أحداه وأن لا تزهد فى المزح ولكن قل مثلما قال جلساؤك ، وإياك من فرط المزاج والاكتار منه فإن كثرته تنتقص من قدر المرء وقيمتة الاجتماعية والأخلاقية .

وإذا كان عدى قد نهى عن فرط المزاج وكثرته فهذا عبد الله بن معاوية يوصى المرء أن يتجنب المزح مطلقا يقول (٣) :

(١) ديوانه ص ١٠٥ .
(٢) فلا تلغ : فلا تجزع وتضجر
(٣) شمسه ص ٣٤ .

خَلَّ عَنكَ الْمَرْجَ مَجْتَنِبًا ■ إِنَّهُ يُدْنِي لَكَ الْعَطَبَا
رَبِّ مَنْ كَانَتْ مَنِهَتْهُ ■ فِي مَرْجٍ هَاجَهُ لِعَبَا

...

فاجتنب أيها الإنسان المَرْجَ ولا تقربه فإنه يقربك من الردى والغواية
فرب امرئ كانت منهته من جناية لسانه لأنه أفرط في مَرْجٍ لم يلق له اهتماما
في ساعته .

وأبو العتاهية أيضا يوصي المرء باجتنايب المَرْجَ لمنزلة الرديئة يقول (١) :
وَدَعَ الْفَكَاهَةَ بِالْمَرْجِ فَإِنَّهُ
يُردى وَيَخْوفُ مِنْ بِهِ يَخْفَكُهُ

فإن أردت أن تتفك وتضحك أيها المرء فاجتنب الفكاهة والضحك بالمرج
لأن ذلك ما يسخف عقلك ويغيب رأيك ويحط من قدرك ، ويجرك إلى مهوى
الردى فاحذره وابتمد عنه وتفك بأمر لا تصل إلى المَرْجَ ولا تقترب منه حتى
تحافظ على قدرك ومنزلتك .

ودعيل بن علي الخزاعي (٢) يوصي المرء بترك المَرْجَ ويحذره من عواقبه
يقول (٣) :

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْجٍ لَامِعٍ طِينٍ
مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الْمَسْفَةِ

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٠٦ .

(٢) هو دعلج بن علي بن رزيق بن سليمان الخزاعي ، وكهنته أبو علي ، شاعر عباسي
متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم من لسانه وهجائه أحد من الخلفاء
ولا الوزراء ولا القواد ، ويعد من شعراء الشيعة الممدودين ، مات قتيلا سنة
٢٤٦ هـ انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٥٣ والأغاني ج ٢ ص
١٢٠ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) ديوان دعلج ص ١٥٤ تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي نشر دار الكتاب
اللبناني ط الثانية سنة ١٩٧٢ م .

فَوَيْتَ قَافِيَةً بِالْمَزَجِ جَارِيَةً
مَشْتُومًا لَمْ يَرِدْ انْمَاؤُهَا نَمَتْ
رَدُّ السَّلَى مَسْتَبِيًا بَعْدَ قَطْعِيهِ
كَرَدٌ قَافِيَةٌ مِنْ بَعْدِ مَا مَضَتْ (١)

...

فدعبل يوصى المرء بأن لا يلقى المزاج على رجل فطن يحفظ كل ما يقال له ويسمعه فينشر هذا المزاج بين الناس ويجريه على لسانه لحفظه إياه ، وربما ألقيت عليه قصيدة ويضمونها س ، وأنت لا تقصد بها إلا المزاج ولكنه حفظها ونشرها بين الناس فتجر عليك شئ ما دائما لا تستطيع دفعه ، واعلم أيها الانسان أن ما اشتهر عند الناس وحفظوه لن تستطيع رده فهذا شئ مستحيل مثله مثل السلى بعد الولادة هل تستطيع رده بعد أن قطعت ؟ إن ذلك أمر مستحيل ولكن احفظ لسانك ولا تلق بالمزاج على مثل هؤلاء .

وأبو هفان (٢) ينصح المرء ويوصيه أن لا يفرط في المزج وأن يحذر من عواقبه يقول (٣) :

مَا زَجَّ صَدِيقَكَ مَا أَحَبَّ مِزَاجًا
وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمِزَاجِ جِمَاحًا
فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الصَّدِيقُ بِمَزْحَةٍ
كَانَتْ لِسَابٍ عِدَاوَةٍ مِفْتَاحًا

-
- (١) السلى : جلدة فيها الولد من الواسع .
(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حرب الميزوسي كان شاعرا عالما راوية من أهل البصرة وسكن بغداد أخذ عن الأصمعي وغيره توفي سنة ٢٥٧ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد ص ٩٠ ص ٣٧٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ص ١٥٦ .
(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ح ٢ ص ٥٧٠

فلا مانع من المزمج القليل مع صدقك أيها الرجل ولكن مع التحفظ والاحتياط وعدم الافراط فيه واحذر من جماع فؤاد صاحبك وغبسة المزج على عقله فلربما مزج عليك بمزجة كانت سبب عداوة دائمة بينك وبينه فينفتح عليك باب لا تستطيع رده وإغلاقه فامزج مزجا خفيفا لا يصل إلى حد الاسفاف والعداوة .

(١) ولا ين دعي التنهيس بيتين معناهما مشابه للمعنى سابقهما يقول (٢) :

لا تَمَزَّجَنَّ فَإِنْ مَزَّجْتَ فَلَا يَكُنْ
مَزْجًا تُضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرِ مِمَّا زَجَّعَ تَمُودُ عَدَاوَةً
إِنْ الْمَزَامَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ
...

فعليك أيها الانسان أن تتجنب المزاج . وإن كنت لابد فاعلا فلا تمزج بشئ يصل بك إلى سوء الخلق وفحش القول . واحذر من المزج الذي ينقلب إلى عداوة بسبب الافراط فيه فإن المزاج " على مقدمة الغضب " .

في الحديث

وبعد هذه الوقفة مع وصايا الشعراء على تجنب المزاج والنهي عن الافراط

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضبي المعروف بابن وكيع التنهيسي أصله من بغداد قال عنه الثعالبي شاعر بارع . وعالم جامع . وقد برع في إبانته على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في أوانه وله كل بدعة تسحر الأوهام وتستعبد الافهام . توفي سنة ٣٩٣ .

انظر ترجمته في يتيمة الدهر للثعالبي ح ١ ص ٤٣٤ ووفيات الأعيان ح ٢ ص ١٠٤ .

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ح ٢ ص ٥٢٠ .

فيه ، نرى أن عدى بن زيد قد أوصى المرء بأن لا يفرط في مزحه وحث على
الاقتصاد فيه ، وكذلك أبو هفان وابن وكيع التنيسي وحذرهم هؤلاء أيضا من
عواقبه الوخيمة .

ونرى كذلك أن عبد الله بن معاوية بن جعفر وأبا العتاهية أوصوا المرء
بأن يجتنب المزح كليا لأنه من السخف ويدنى المرء من الهاوية .

...

١٠ - الحث على السفر وآدابه :

السفر من الأمور التي يحثها كثير من الناس لما فيه من متعة ولذة
والسفر يكسب المرء خبرة في الحياة ويعوده على الصبر وتحمل المشقة .

وقد أوصى الشعراء في شتى العصور على السفر والتغرب عن الأوطان وترك
البلاد خصوصاً إذا اشتهت كرامة الإنسان كما بينوا بعض آداب السفر وأوصوا
بها كما سأبينه ان شاء الله .

نحاتم الطائي يقدم للرجل وصية رائعة في أدب السفر يقول (١) :

إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوبِ فَلَا تَدَعْ
رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
أَنْخَهَا وَأَرْكَبْهُ فَإِنْ حَمَلْتُكَ
فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبِ
...

إذا كنت أيها الإنسان في سفر ومعك رفيق لك وليس معكما إلا راحلة
واحدة وكنت صاحبها فلا تدع رفيق سفرك يمشي خلفك وأنت راكب راحلتك ، فإن
هذا مناف للأخلاق الكريمة ، ولكن عليك أن تردفه معك على الراحلة فبيان
استطاعت حملكما فذاك أمر حسن ، وإن لم تستطيع فتعاقب أنت وإياه الركوب .

والمقنع الكندي يحث المرء على السفر إذا أحس بهوان في وطنه يقول (٢) :

وإن خفت من دارٍ هواناً فَوَلِّهَا
سِوَاكَ وعن دارٍ الأذى فَتَحَاوَلِ

(١) ديوان نحاتم الطائي ص ٢٠٤ . صنعة يحيى بن مدرك الطائي تحقيق د /
عادل سليمان ، مطبعة الدنى ، القاهرة .

(٢) شعراء أبويون ص ٢١٢

فإن أصابك ضيم أيها المرء في بلد من البلاد أو أهانك أحد وأنت
غير قادر على رد هذا الأذى فعليك بالسفر وترك هذا البلد إلى بلاد أخرى
صيانةً لمرضك ومروءتك .

وصالح بن عبد القدوس يوصي المرء بالسفر وترك البلاد في حالة الضنك
وقلة الرزق يقول : (١)

وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبِلَدِي
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الذَّهَبُ
فَارْحَلْ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةُ الْفَسَا
طَوَلًا وَعَرْضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
...

فالشاعر يقول : إن ضاقت عليك أيها الانسان المعيشة في بلد وعز عليك
الرزق وخشيت الفقر وانخلقت عليك أسبابه فارحل عن هذه البلاد واطلب الرزق
في أرض الله الواسعة .

وقريب من هذا المعنى يقول الامام الشافعي (٢) :

ارْحَلْ يَنْفِيكَ عَنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا
وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْتُ فِي مَوَاطِنِهِ
وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ
وَالْكُلُّ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ تَنْظَرُهُ
فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرِيٌّ عَلَى الطَّرْقِ

(١) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره ص ١٢٢

(٢) ديوانه ص ٦٣ .

لما تَغَرَّبَ حاز الفضلَ أجمعَه
فصار يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

...

فإن ضامك أحد أيها الانسان في بلد فسافر عنه وابحث عن بلد آخر ،
ولا تأس على فراق وطنك وأهلك فإنك لن تبلغ المكانة العالية ، والشرف الرفيع
إلا بفارقتك لأهلك وموطنك وانظر الى العنبر والكحل فإنهما في أصلهما لا ينظر
إليهما فالعنبر أصله روث والكحل أصله حجر لكهما لما فارقا موطنهما الأصل
ارتفعت مكانتهما وعز مطلبهما ، فالعنبر يدهن ويتطيب به ويوضع على الأنف
والوجه ويحمل على العنق لمكانته والكحل يوضع في العين بين الحدة والجفن .

وحالك مثل حالهما إن مكثت في أرضك وموطنك فلن تبلغ المجد والعزة
وإن فارقت الأهل وتغربت حزت الفضل أجمعه .

ويوصى في أبيات أخرى على السفر لما فيه من فوائد جليلة يقول (١)

تَغَرَّبْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وسافر ففس الأسفار خمس فوائد
تَفْرِجْ هَمًّا وَاكْتَسِبْ مَعِيشَةً
وعلم وآداب وصحبة ما جيد

...

فالامام الشافعي يطلب من المرء أن يتغرب عن وطنه للبحث عن المعالي
والمجد وأن يسافر ويسبح في البلاد لما في ذلك من فوائد جليلة أهمها تعلية
النفس وطردهن الهوم والثانية كسب المعيش فرها لم يوفق الانسان في طلب الرزق في
بلد ، فعليه أن يذهب الى بلد آخر لعله يجد نصيبه هناك ، وفي السفر أيضا
يكتسب المرء العلم من العلماء الذين يلتقى بهم في تلك الديار ، ويكتسب المرء من

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

السفر الآداب الجمة منها الصبر والتحمل وآخر فوائد السفر حبة الأخبار ورفقتهم
فهذه خمس فوائد جليلة للسفر والتغرب .

وأبو تمام الطائي يرى أن مكوث المرء في موطن واحد ينقص من قيمته فيحسث
على السفر والاغتراب يقول (١) :

وطول مقام المرء في الحنّ مخلّق
لديها جتيه فاغترب تتجدد
فإن رأيت الشمس زدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم يسرمد
...

فمكوثك أيها المرء في بلد واحد لا تتعداه إلى غيره مخلّق لديها جتتك
ولوجهك بين الناس لكثرة ما رأوك فتبدأ منزلتك تقل لديهم ، ولكن لكي تتلافى
ذلك عليك بالسفر والاغتراب ففي السفر يتجدد إشراق وجهك ويفقدك بنو قومك
وبذلك فإذا رجعت لهم رجعت وكأنك إنسان غريب جديد بالنسبة لهم ، وليكن لك في
الشمس قدوة فإنها محبة إلى الناس جميعا لأنها ليست دائمة المكوث عليهم بل إنها
تشرق ثم تغرب وهكذا واليك فتزول عنهم في كل يوم ، فلذلك صارت عزيزة لديهم ،
وكن أنت مثلها لا تُزلّ مجتمعك وبنو قومك بطول مكوثك بل سافر وتغرب عنهم
حتى يتجدد بهاءك .

والبحثري (٢) يوصي المرء بالسفر وترك الوطن إذا افتقر وكماه الدهر من

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، يكنى أبا عباد ، شاعر عباسي
فاضل ، فصيح المذهب نقي الكلام مطبوع ، يعد أبو تمام أستاذه في الشعر
ولد بطنج سنة ٢٠٦ هـ ومات بها سنة ٢٨٦ هـ وقيل ٢٨٥ وقيل ٢٨٤ .
انظر ترجمته في الأغاني ج ٢١ ص ٢٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٤٦ .

الفقر حلة يقول (١) :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَمَاكَ حَلَّةَ مُعْنِدٍ
فَالْبَيْتُ لَهُ حُلَّ النَّوَى وَتَغَرَّبَ

فإن افتقرت أيها الإنسان في بلد فلا تمك فيه تأكل قلبك الحمرة لما
الت اليه بل عليك أن تسافر وتتغرب في بلاد الله واسعة لكي تحصل على قوت
تمعيش به .

وهذا أبو فراس الحمداني يبين لنا أن الإنسان إذا لم يسافر فليس يباليغ
إلى ما يصبو اليه من عزة وشرف يقول (٢) :

والمروء ليس بباليغ في أرضه ■ كالصقر ليس بصائد في وكوره

فعليك أيها المروء أن تترك موطنك بحثاً عن سعة الرزق وبلوغ الذروة في
العزة والشرف ، ومثلك أيها المروء مثل الصقر فإنه لو لم يهاوق وكوره لم يحصل على
رزقه فسافر وتغرب عن وطنك لكي تحصل على ما تريد .

وأبو الفتح البستي يوصي المروء الذي يضام في بلد أن يتركه ويسافر إلى وطن
آخر يقول (٣) :

إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ
وَرَامَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ

فلا تهين نفسك أيها الإنسان وتعبر على الذل والضميم ، فإذا ضامك أهل
بلد ونبا بك هذا الوطن فوله وراةك وسافر إلى بلد آخر فإن الأرض واسعة والبلاد
كثيرة فليست الدنيا وقفا على هذا البلد .

(١) ديوانه ج ١ ص ٧٩ تحقيق حسن كامل الصيرفي ط الثالثة نشر دار المعارف
بصر .

(٢) ديوانه ص ٧٣ .

(٣) فريدة عنوان الحكم ص ٤١ .

ويتركز الشاعر على هذا المعنى فيقول في بيت آخر (١) :

وإِنْ تَبَتَّ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأَتْ بِهَا
فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلَادٍ لِلَّهِ أَوْطَانٌ

فلا تقعد في وطن أهنت فيه وأصابك الذل والضعف وإن كان هذا الموطن قد نشأت به بل ارحل عنه إلى بلد آخر صونا لعرضك ومنزلتك فالبلاد واحدة فكلها بلاد الله وكلها وطن للمرء .

وبعد هذه النظرة على وصايا الشعراء في الحث على السفر والتغرب نجد أن حاتم الطائي قد بين لنا بعض آداب السفر التي يجب أن يتحلّى بها المرء وأوصى الشعراء المرء أيضا بالسفر هربا من الضيم والذل كما هو الحال عند المقنن الكندي والإمام الشافعي وأبو الفتح البستي وأوصوا المرء بالسفر أيضا لفوائده الجميلة والتي ذكروا بعضها مثل ما رأينا عند الإمام الشافعي وأبي تمام والبحثري وأبي فراس الحمداني .

...

(١) المرجع السابق ص ٤٢ .

١١ - إتمام الوعد :

إتمام الوعد من الصفات التي يجب أن يعمل بها المرء لأن إخلاف الوعد مذموم وقبيح ، ولم يترك الشعراء هذا الجانب الأخلاقي بل دعوا إلى إتمام الوعد ونهوا عن إخلافه وبينوا وجوب تنفيذه على المرء إن أجاب بالاجاب فسي أول الأمر وإن خاف من عدم قدرته على إتمامه فليرد سائله من الأساس بالنفي .

فالمثقب العبدى ^(١) يوصى المرء بأن يتم وعده وأن لا يخلفه يقول ^(٢) :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ * أَنْ تُبَيِّمَ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمٌ
حَسَنَ قَوْلٍ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا * وَبَيِّحَ قَوْلٌ لَا * بَعْدَ نَعَمٍ
إِنْ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاجْتَنِبْ * فَبَلَا قَابِدًا إِذَا خِفْتَ النَّدَمَ
فَإِذَا قُلْتَ نَعَمَ فَاصْبِرْ لَهَا * يَنْجِاحُ الْوَعْدِ إِنْ الْخُلْفَ ذَمٌ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الذَّمَّ نَفْسٌ لِلْفَقْ * وَمَقَى لَا يَتَّقِي الذَّمَّ يَذَمُّ

...

فعلبك أيها الانسان أن تتم وعدك الذي تنطق به ، وأن لا تخلفه وإن كنت غير قادر على إتمامه فلماذا تجيب " بنعم " ، بل رد على طالك وسائلك من بادى الأمر بالنفي " لا " لأن رد المرء بعد إجابته أمر قبيح فاحش على العكس تماماً من إجابة المرء بعد رده فهذا أمر حسن ، فعلبك أن تنفذ وعدك ، ولا ترد أحداً بعد إجابته واصبر على إتمام الوعد وما تلاقيه من مصائب مادية أو غيرها من

(١) هو عائذ بن محسن بن ثعلبة بن وائلة من نكرة وهي القبيلة - ابن الكوز بن أفضى بن عبد القيس وسمى بالمثقب لقوله :

رددن تحية وكسن أخرى * وثقبن الواسوس للميون .
وهو شاعر جاهلي قديم كان في زمن عمرو بن هند ، وكان أبو عمرو بن الملا .
يستجيد قصيدته النونية التي منها البيت السابق .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٧١ والشعر والشعراء ج ١ ص ٤٠٢ والخزانة ج ١ ص ٨٤ .

(٢) ديوانه ص ٢٢٢ تحقيق حسن كامل الصيرفي ، نشر معهد المخطوطات العربية مصر سنة ١٣٩١ هـ .

من جراه تنفيذ الوعد ه لأن انجاح الوعد والقيام به مدح واخلاف الوعد ذم له .
والذم ينقض من قيمة الانسان الاجتماعية وينقص من قدره فحافظ على
مروءتك وشرفك ه فالرجل الذى لا يقى عرضه من الذم سيذمه الناس ولن يتركوه .
وأبو الأسود الدؤلى يوصى المرء بالوفاء بوعده والحذر من وصه بصفة
الكذب لاختلاف وعده يقول (١) :

وإن قُلْتَ فى شئٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ
فإن نَعَمْ دِينٌ عَلَى الْحَزِّ وَاجِبٌ
وإلا فقل لا واسترح وأرج بها
لكن لا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ

يقول الشاعر عليك أيها الانسان أن تنهى بوعدك اذا وعدت أحدا ه لأن
وعد الحر دين مكتوب عليه يجب قضاؤه ه فلا يسقط عن المرء حتى ينهى به ه وإن
كنت تنوى عدم الوفاء بوعدك أو ليس بمقدورك الوفاء به فرد سافلك بادى ذى
بد ه واسترح من دين الوفاء وأرج طالبك من طول الانتظار والأمل .

واعلم أنك إن رددته من أول الأمر ولم تعده بشئ سلمت من وصمك بصفة
الكذب لانك إن وعدته بشئ ولم تف به عدك الناس فى عداد الكاذبين .

وابن مسحل العفيلى (٢) يوصى المرء باتمام وعده ويبين فيه الاخلاق

(١) ديوانه ص ١٤٣ .

(٢) ابن مسحل العفيلى شاعر أموى مقل ه لم يصل إلينا من شعره الا ما أثبتته
البحترى فى حماسته وهو قليل ه وقد تكون وفاته فى آخر العصر الأموى
— لم أجد له سوى هذه الترجمة نقلا عن كتاب شعراء بنى عُمَيْل
وشعرهم ج ١ ص ٣٠٠ د / عبد العزيز بن محمد الفيصل ه طبع شركة
العبيكان الرياض سنة ١٤٠٨ هـ .

يقول^(١):

ابْدَأْ يَقُولِيكَ لَا قَبْلَ نَعَمْ
يا صاح بعد نَعَمْ ما أَقْبَحَ الْعِلَلَا
واعلم بآن نَعَمْ إِنْ قَالَهَا أَحَدٌ
عند المواعيد لم تترك له جَدَا

فالواجب على الإنسان أن يعرف حاله فلا يعد إنسانا بشىء وهو غير قادر على إتمامه فعليه أن يجيب من سأله بالرد والنفى قبل اجابته بنعم لأن النفي والرد بعد الإيجاب أمر قبيح وأقبح منه خلق العلل الواهية لبيان أسباب الرد فالعلم أيها المرء أنك إذا قلت (نعم) ووعدت أحدا لم تترك لنفسك فرصة للاخلاف فيصير تنفيذه أمرا واجبا عليك .

هذا ما استطعت الحصول عليه فى هذا البحث ، ونلاحظ أن الشعراء اتفقوا على أن إتمام الوعد واجب على المرء ولا سبيل الى اخلافه ، وبينوا أن اخلاف الوعد مما يعمى المرء ويحط من قدره ، وأوضحوا أنه يجب على الانسان السدى لا يستطيع إتمام الوعد أن لا يعد أحدا بشىء ، فذلك أسلم له وأوفر لعرضه .

...

(١) الحامسة للبحترى ص ٢٢٢ .

١٢ - آداب زيارة المريض :

من الجوانب المهمة في العلاقات الإنسانية التي تطرق إليها بعض الشعراء في وصاياهم " آداب زيارة المريض " وخصوا بالذكر عدم إطالة المكوث لدى المريض وتخفيف الزيارة له ، وكذلك الدعا للمريض .

ولا يخفى علينا أن هذا الجانب الخلقى من الأخلاق الإسلامية التي حث عليها الاسلام وأوصى بها .

فجمعفر بن حذار الكاتب^(١) يوصى المرء ويطلب منه ألا يطيل الجلوس لدى المريض ويبين له الوقت المطلوب بين كل زيارة وأخرى يقول^(٢) :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ
وَأَقْمُدْ قَلِيلًا كَلْحَظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرِمَنَّ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ
يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْأَلُ بِحَرْفَيْنِ

فاعلم أيها الانسان أن من آداب زيارة المريض أن لا تنكر التردد عليه بل اجعل زيارتك يوما بعد يوم ، وعليك أن تخففها فلا تنكث عنه طويلا بل وقتا قصيرا كلمح البصر لكي لا تؤذيه بإطالة زيارتك لك ، وإياك من كثرة الأسئلة التي تله واكف بمسئال واحد أو سؤاليين عن حاله وصحته .

(١) هو جمعفر بن محمد بن أحمد بن حذار الكاتب ، أبو القاسم ، قال عنه الصولي " لم يكن بصر مثله في وقته كثير الشعر حسن البلاغة عالم ، قتلته أحد بن طولون ومثل به سنة ٢٦٧ هـ لاشترائه ابنه العباس بن طولون في الخروج عليه .
انظر معجم الادباء ٧ ص ١٨٢ .

(٢) بهجة المجالس ٢ ص ٢٦٣

وابن العلاف^(١) يوصي المرء بتخفيف الزيارة للمريض، وينهاه عن إطالة الجلوس عنده، وعليه أن يقوم سريعاً عنه بعد أن يدعو له الله سبحانه وتعالى لين عليه بالشفاء العاجل يقول^(٢) :

قُلْ لِمَنْ يُرْمِ الْمَرِيضَ فَلَوْ عُدَّ
تَ صَحِيحاً لَعَادَ ذَاكَ مَرِيضاً
لَا تُطِيلْ عِنْدَهُ الْجُلُوسَ فَمَرِداً
دُ طَوِيلاً مِنَ السَّقَامِ عَرِيضاً
قُلْ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ وَادْعُ لَهُ الْـ
حِلَّ وَعَجِّلْ عَنِ الْعَلِيلِ النَّهْوضَ
فَإِذَا كَانَ مَنَ يَمُودُ طَوِيلاً
لَمْ يَكُنْ عَائِداً وَكَانَ بَغِيضاً
...

فالشاعر يقول : عليك أيها الإنسان ألا تطيل الجلوس عند المريض، لأن ذلك يبعث السأم لديه ، ويزيد من مرضه وعلته ، والإنسان الصحيح المعافى يمل من إطالة مكوث الزائر لديه فكيف بالمريض .

ولكن خفف زيارتك له وامكث لديه قليلاً وعجل بالنهوض من عنده بعد أن تدعو الله سبحانه وتعالى بأن يمن عليه بالشفاء العاجل وأن يمنحه الصحة والعافية ، واعلم أن من يطيل الجلوس عند المريض بغيف ، لأنه يشغل عليه بهذه الاطالة ويصلبه الراحة التي هو أحوج إليها .

(١) هو أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني شاعر عباسي مجيد ، من أشهر شعره قصيدته في رثاء السهره وهي تعد من أحسن الشعر وأبدع توفي سنة ٣١٨ هـ وقيل ٣١٩ هـ وله من العمر مائة سنة .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٧١:٧ ووفيات الأعيان ١٠٧:٢ .

(٢) شعره ص ٣٠ جمع وتحقيق صبيح رديف ط الأولى سنة ١٣٩٤م مطابع الجامعة بغداد .

ونلاحظ الأثر الاسلاني الواضح في هذه الوصية خصوصا في طلب الشاعر من المرء بأن يدعو الله للمريض ، فذلك مأخوذ من آداب الاسلام ففى الحديث الشريف عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا " (١) .

هذا ما استطعت العثور عليه من شعر فى الوصايا التى تبين آداب زيارة المريض ، ورأينا أن الشاعرين ركزا على وجوب تخفيف الزيارة ، وعدم إطالة الجلوس لدى المريض ونهيبا عن إكثار الأسئلة التى تبرمه .

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ١: ١٦٨ نشر دار الفكر ب . ت . هـ وصحيح مسلم كتاب الوصية حديث رقم ٨ : ٣ : ١٢٥٣ .

الفصل الثاني سر الوصايا الاربعة

١. الحزن على الذنوب والافتقار.
٢. الحزن على تقوى الله وما ينقص به من نعمه ونسيته.
٣. الحزن على حفظ الجوارح والسرور والاحتجاج بالكلمة بين اللذات.
٤. الحزن على مصائب الاختيار وحسن معاملته والاستغفار للصالح.
٥. الحزن على طلب الآزول من التفتت وعدم الحزن.
٦. الحزن على إلقاء الفروع وعدم التمسك بالآزول.
٧. الحزن على التخلي بالصفات الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة.
٨. الحزن على التبعات ونحوها والتمسك.
٩. حسية الساعرين بنائه لربانته والبطالة عليه.
١٠. الحزن على اختيار الأفعى الصالح.

الوصايا الأبوية من الأغراض المهمة في شعر الوصايا لما فيها من معان إنسانية وأخلاقية سامية يوجه بها الشاعر أبنائه عند دنو أجله ، وهو الاتجاه الثاني من اتجاهات شعر الوصايا .

والوصية الأبوية موجهة إلى شخص معين وهو الابن أو مجموع الأبناء . يطلب منهم والدهم الحفاظ على المجد والسمو ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالآداب العربية والإسلامية .

والشاعر عادة يرسم في وصيته سياسة واضحة لأبنائه يسيرون عليها ويستنبطون بها في درب حياتهم .

وشعر الوصايا الأبوية يكون - في الغالب - عند الاحساس بدنو الأجل فيوصي الشاعر أبنائه بالوصية المناسبة لهم شفقة عليهم ونصحا وتوجيها لهم .

وقد تعددت المعاني داخل الوصية الواحدة إذ نجد الفصيدة أو القطعة الشعرية تتضمن معاني عديدة من الحث على الكرم ، والحفاظ على المجد والسمو ، والحث على تقوى الله سبحانه وتعالى ، والتحلي بالصفات الحميدة ، وغير ذلك من المعاني الأخرى . وسأحدث عن ذلك بالتفصيل إن شاء الله .

١ - الحث على الكرم والانفاق :

الوصية بالكرم وبذل المال من أبرز الموضوعات التي أوصى بها الشعراء أبناءهم ، وذلك لما للكرم والانفاق من منزلة عظيمة في نفوس المجتمع العربي كما سبق أن بينته في الفصل الأول ، فالحلوت بن حلزة ^(١) يوصي ابنه بإكرام الضيف وتقديم اللبن له وينهاه عن منع اللبن عنه بكسبه للابل لكي يسمنها يقول ^(٢) :

فَلْتْ لِعَمْرٍو حِينَ أَبْصَرْتَهُ
وَقَدْ حَبَا مِنْ دُونِهَا عَالِجٌ ^(٣)
لَا تَكْسَعِ الشَّوْلُ بِأَغَارِهَا
إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاسِجِ ^(٤)
وَاحْلِبْ لَأَضْيَاكَ أَلْبَانُهَا
فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجِ
رَبَّ عِشَارٍ سَوْفَ يَغْتَالُهَا
لَا بُطْطَىءُ الشَّدَّ وَلَا عَافِجٌ
يُسَوِّفُهَا فَلَّا إِلَى أَهْلِهِ
كَأَمْسُوقِ الْبَكْرَةِ الْفَالِجِ

- (١) هو الحارث بن حلزة البشكري ، شاعر جاهلي قديم مشهور ، عنه ابن سلام في الطبقة السادسة من طبقات الجاهليين ، وهو صاحب المعلقة المشهورة الذي مطلعها " أَدْنَتْنا بِبَيْهَا أَسَاءُ " ويقال أنه ارتجلها ارتجالاً بين يدي عمرو بن هند .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ح ١ ص ١٥١ والمؤلف والخلف للأمدى ص ٩٠ والشعر والشعراء ح ١ ص ٢٠٣ .
(٢) الفضليات ص ٤٣٠ .
(٣) حبا : دنا .
(٤) الكسح : أن يؤخذ ماء بارد فيضرب به ضرع الحلاب إذا أرادوا تخفيفها ليبقى لها طريقتها ويكون أقوى لاولادها التي تنتجها . أغارها : بقية اللبن في الضرع .

قَدْ كُنْتَ يَوْمًا تَرْتَجِسُ رَسْلَهَا
فَأَطْرَدَ الْحَائِلُ وَالذَّالِمُ
بَيْنَا الْفَتَى يَتَمَنَّى وَيُتَمَنَّى لَهُ
تَسَاحَ لَهُ مِنْ أَسْرِهِ خَالِجُ
يَتْرُكُ مَا رَفَعَ مِنْ عَجْشِهِ
يَعِثُ فِيهِ هَجَجٌ هَامِجٌ (١)
...

فالشاعر يوصي ابنه بتجنب كمع الإبل وترك اللبن في ضرعها لتسمن
فيبقى ولدها إذا نتجت ، ويطلب منه أن يحلب هذا اللبن ويقدمه إلى أضيافه
الطارقين له .

فإكرام الضيف من الواجبات على الإنسان ويخبره أن شر اللبن الذي
لا يستفاد منه ولا يشرب منه أحد .

ثم يقول له : واعلم أنك لا تدري هل ستستفيد من نتاج إبلك التي
سنت وحجبت لبنها وتركته في ضرعها أم يغير عليها رجل جلد فيسوقها
بأجمعها كبيرها وصغيرها ، أو يفتلك الموت على غرة من أمرك فتترك مالك الذي
أفقيمت عرك في إصلاحه وجمعه لوارثك الذي يعيث فيه فسادا مثل البموض
الهائج الذي يعيث بالشيء ولا يطرده أحد .

وذو الاصبغ العدواني (٢) يوصي ابنه أسيد على إنفاق المال وإكرام الضيف

(١) رفع أصلح . هجج : ذباب صغير كالبموض يحفظ على وجوه الدواب
الهائلة .

(٢) هو حوثان بن حارث بن محرث العدواني . وقيل له ذو الاصبغ لأن حية
نهشته في أصبعه فقطعها . شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية
وله غارات كثيرة ووقائع مشهورة . ويعد أحد الحكماء القمراء وقد عمر
دهرا طويلا .

انظر ترجمته في المومل والمختلف ص ١١٨ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧١٢
والأغاني ج ٣ ص ٨٩ .

لأن ذلك ما يورث المجد الموهل يقول (١) :

أَأَسِيدُ إِنْ مَالًا مَلَكْتُ * تَ فَيَسِرُ بِهِ سَيْرًا جَيِّلا
أَبْسَى إِنْ مَالًا لَا * يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلَا
وَابْسَطَ يَمِينِكَ بِالنَّسَدَى * وَامْدُدْ لَهَا بَاعًا طَوِيلَا
وَابْسَطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكْتُ * تَ وَشَدَّ الْحَصَبَ الْأَنِيَلَا
وَابْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحَى * لِكَ (٢) مُكْرِمًا حَتَّى يَزُولَا

...

فالشاعر يوصي ابنه أسيد ويقول له: يا بني إن رزقت مالا كثيرا وملكته فأحسن التصرف فيه وكن كريما يحمدك الناس • واعلم أن المال لا يضره ولا ينفعه انفاقك له أو امساكك فالمال لا يبكي إذا فقد الرجل البخيل الممسك له لأنه لا يستفيد من ذلك فأنفق من مالك وكن كريما • وابسط يدك بالذل والكرم والمعروف واغاثة الملهوف ولا تبخل بما لك فبكرمك تشيد حسبا ومجدا موهلا •

واعلم أن إكرام الضيف واجب عليك • فإن نزل بك ضيف فأوسع له فسي بيتك واسكه فيه مع الهالغة في إكرامه وتقدير الطعام والشراب له حتى يتحول عنك ويذهب •

وعبد قيس بن خفاف (٣) يوصي ابنه جبيل بالبذل والإنفاق ويحثه على

(١) الأغاني ح ٣ ص ١٠٠ •

(٢) ذات رحلك : منزلك ومسكنك •

(٣) هو عبد قيس بن خفاف البرجسي التميمي أبو جبيل شاعر جاهلي فحل، وكان شريفا شجاعا ليس له أخبار إلا ما ذكر أنه وفد على حاتم الطائي في دما • حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها فقال والله لأتبن من يحملها عنى فأتى حاتم الطائي فحملها عنه •

انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٢٥ والأغاني ح ٨ ص ٢٤٦ والأعلام ح ٤ ص ٤٩ •

إكرام الضيف والحدّر من السنة الناصر يقول (١) :

وَالضَّيْفَ أَكْرَمَهُ فَإِنْ مَبِيتَهُ
حَقٌّ وَلَا تَكُ لُعْنَةً لِلنَّزْلِ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ مَخِيرٌ أَهْلِهِ
بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ

...

يقول الشاعر موصيا ابنه : من الواجب عليك قيامك بأمر ضيفك وإكرامه فإن مبيته عندك وإكرامك له حق عليك له في عطفك يجب الوفاء به وتأديته على أحسن وجه وأتفه ه واحذر من عدم إكرام الضيف فإن ذلك خلق سيء يحط من قدرك ومنزلتك فيذك الناس ويلعنك كل من حل ضيفا عليك ولم تكرمه .

وبالغ في إكرام الضيف لأنه إذا رحل عنك سيخبر أهله وذويه عن مبيته عندك ويبين لهم ما قدمته له وهل أكرمته ه سواء سألوه أم لا ه فهذه طبيعة في الإنسان ه فاجتنب الشح حتى لا يوتر عنك بخل فتدم به ويسووك .

ويواصل الشاعر وصيته لابنه فيحثه على انفاق المال والمروءة فيقول (٢) :

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِثِينَ إِلَى النَّدَى
غُبْرًا أَكْثَرُهُمْ يَفَاعُ مُخِيلِ
فَأَعْنِهِمْ وَابْسِرْ بِمَا يَسْرُوا بِهِ
وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَاَنْزِلِ

...

وإذا جاءك الفقراء المقفرة أيدهم يطلبون من عطائك ونوالك فلا تردهم

(١) المفضليات ص ٣٨٤

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥ .

وتنعمهم من ذلك • بل أعطهم ما طلبوا منك واسرع لهم في ذلك
وداؤ ففرهم وفك ضنكهم بمواساتك لهم واعطائهم من مالك •

أما الأعشى (١) فإنه يذكر لنا أن والدهم قد أوصاهم بإكرام الضيف
فيقول (٢) :

إِنَّ الْأَعْزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا
أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ إِنِّي تَلِفَ
الضَّيْفَ أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ
حَقًّا عَلَى فَاْعْطِيهِ وَأُعْتَرِفْ
...

فإكرام الضيف من الواجبات التي يجب عليكم القيام بها يا أبناءى واعلموا
أن إكرام الضيف حق له ليس للمرأة أن يمنعه من ذلك •

ويقول (٣) الأعشى في بيت آخر مخاطبا ابنه بصيرا يحثه فيه على بذل
المال والمروءة :

وَأَسْ سَرَاةَ الْحَقِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ
وَلَا تَكْ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاغَةِ وَإِنِهَا
...

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن ضبيعة بن قيس • شاعر جاهلي أدرك الاسلام في آخر حياته ولم يسلم • من الشعراء المقدمين ويكنى بأبي بصير • وسي بصناعة العرب لأنه كان يغنى بشعره وقد عده ابن سلام في الطبقة الاولى من شعراء الجاهلية •

انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥٢ والموتلف والمختلف ص ١٢ والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٦٥ والاغانى ج ١ ص ١٠٨ •

(٢) ديوان الأعشى ص ٣٤٥ شرح وتعليق محمد محمد حسين ط الثانية سنة ١٣٨٨هـ نشر المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت - لبنان •

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٥ •

يقول الشاعر لابنه : عليك معاونة أشرف القبيلة ومساعدتهم في كل أمر يلم بهم بمالك أو بجاهك ولا تبخل عليهم ، وإن أتاك امرؤ يريد منك أن تحمل عنه دية فلا تتوان وتتباطأ في ذلك بل أسرع بدفعها عنه من خالص مالك .

أما عمرو بن الأهتم^(١) فإنه يرى أن إنفاق المال من أهم الأسباب التي تجعل المرء يرقى إلى المجد ويتسمن ذراه فيوصى ابنه بذلك حيث يقول^(٢) :

وإِنَّكَ لَنْ تَتَّالَ الْمَجْدَ حَتَّى
تَجُودَ بِمَا يَضُنُّ بِهِ الضَّمِيرُ
بِنَفْسِكَ أَوْ بِمَالِكَ فِي أُسُورِ
يَهَابٍ رُكِبَهَا الْوَرَعُ الدَّشُورُ
...

يقول الشاعر : إنك بما بنى لن تبلغ ذروة المجد حتى تجود بالأشياء التي يشح المرء بها وتتعلق النفوس بها ، وأهم هذه الأشياء هو بذل النفس والمال فبذل النفس ركوبك الخطر وغشيانك الحروب بغير رهبة ولا وجل من الموت لنجدة أحد أو اغاثة ملهوف .

وبذل المال هو إنفاقه على المحتاجين والطلابين له ، فإن فعلت هذين الأمرين اللذين يعجز ويهاب عن فعلهما الرجل الخامل النورم ، صعدت إلى

(١) هو عمرو بن الأهتم واسم الأهتم سنان بن سمس بن سنان بن خالو بن مفر من بني تميم ، شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية والإسلام ، أسلم ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه بني تميم ، وكان يدعى في الجاهلية المسكحل لجماله ، وكان غزيفاً شاعراً يقال لشعره الحلل المنشورة لعذوبته .

انظر معجم الشعراء ص ٢١٢ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) الفضليات ص ٤١٠ .

ذرى المجد ووصلت إلى سنامه .

ثم يوصيه بإكرام الضيف لوجوبه عليه ويخبره بأن الضيف سيتحدث عن
ما لاقاه فى ضيافتك فعليك أن تقى عرضك يقول (١) :

وجارى لا تَهِنَنَّه وَضِفِي
إِذَا أَمْسَى وَرَاءَ الْبَيْتِ كُورُ
يَوْزُبُ إِلَيْكَ أَشْعَتْ جَرَفَتُهُ
عِمَانٌ لَا يَنْهِنُهَا الْفُتُورُ
أَصْبَهُ بِالْكَرَامَةِ وَاحْتَفِظْهُ
عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنَظِقَهُ بِمِيرُ
...

يقول الشاعر يا بنى عليك بإكرام الضيف وحماية الجار حتى ولو كنت فى
زمن لا يحصى فيه جار ولا يكرم فيه ضيف للفقر والجوع وشدة السنين ، ولكن
أكرم ضيفك الذى يأتياك قاصدا لك أشعث أغبر قد حلت به المصائب، الواحدة
تلو الأخرى فأنهكت جسمه وذهبت برونق وجهه وبهائه . فأكرامك له يجعله
يحول إليك ويمدحك ولن يوزن بك ، واعلم أن منطق الضيف وكلامه سيمير فى
الآفاق وينتشر بين الناس سواء كان مدحا أو ذما فائن لسانه الى قول الممدح
والاشادة بكرمك .

أما الشاعر كعب الغنوى (٢) فيوصى ابنه بإجابة سؤل من سألته لأن

(١) المصدر السابق ص ٤١٠ .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى وهو أحد بنى سالم بن عبيد بن
سعد بن عوف بن كعب بن حلال بن غنم بن أعصر ، يقال لكعب الأمثال
لكثرة ما غنى شعره من الأمثال ، انظر ترجمته فى مجمع البحار ٢٤١
وانظر خزنة الأدب للبغدادى ج ٨ ص ٥٧٤ .

هذا المال الذى جاء هذا السائل يطلب منه من عند الله سبحانه وتعالى .
يقول (١) :

وَإِذَا سَأَلْتَ الْخَيْرَ فَأَعْلَمْ أَنَّه
نَعَمْ تَخَصُّ بِهَا مِنَ الرَّحْمَنِ
شَيْمٌ تَعَلَّقُ بِالرَّجَالِ وَإِنَّا
شَيْمُ الرِّجَالِ كَهَيْئَةِ الْأَلْسَانِ
...

فمن جاءك يا بنى طالبا منك حاجة فاقضها له وان استوهبك أو طلب
منك أحد مالا فلا تردّه واعلم أن هذا المال قد منحك الله إياه فلماذا تسرد
السائل ؟ واعلم أن العروة والكرم من طبائع الرجال النبلاء، وأخلاق الرجال تختلف
باختلاف طبائعهم فهم كالألوان بعضها رائق فاقع يسر الناظرين وبعضها شىء
قاتم يبعث الأسى والغم .

ولعلنا نرى أثر الاسلام فى وصية الشاعر لابنه وذلك عندما نسب الرزق إلى
الله وأنه هو الرزاق المفضل على عباده ، فقد استلهم الشاعر هذا المعنى من
قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (٢) .

أما أبو الأسود الدؤلى فإنه يوصى ابنه بإكرام صديق أبيه وقضاء حوائج
الناس ولبس السبيل يقول (٣) :

أَكْرَمُ صَدِيقٍ أَبِيكَ حَيْثُ لَفَيْتَهُ
وَاحِبُ الْكِرَامَةِ مَنْ بَدَأَ فَحَبَاكُمَا

(١) الأمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ٣٤٦ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

سنة ١٩٧٥ م .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٨ .

(٣) ديوانه ص ١٣٧ .

وَكَفِ الْمُهْمَةَ مِنْ لَوَائِكَ مَرَّةً
نَزَلْتُ إِلَيْكَ مُهِمَّةً لَكَأَكْهًا
وَإِذَا أَنْتَ بَنُو السَّبِيلِ فَأَعْطِهِمْ
مَنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أُعْطَاكَهَا

...

فعليك يا بنى أن تكرم صديقى فى أى وقت لقيته لأن هذا من وجوه البر
بى وطاعى ، وأكرم أيضا من أكرمك وساعد من يستحق المساعدة منك فى الأمور
المهمة وهو من لو كنت بدلا منه فى هذه المصيبة لساعدك وكفاك أمرها .

وإذا جاءك من يطمع فى نوالك وعطاياك وقد انقطع به السبيل فلا ترد
وتطرده عن ذلك بل ابدل له من المال الذى أنعم الله به عليك وأعطاك إياه
وقد أخذ الشاعر هذا المعنى الإسلامى من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ) (١) وقوله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) (٢) .

ويزيد بن الحكم الثقفى (٣) يوجه ابنه بدر إلى معرفة حى الجار ويوصيه
بإكرام الضيف والقيام بأمره يقول (٤) :

وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهٗ * وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَأَطِمْ يَانَ الضَّيْفَ يَوْ * مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٤ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٧ .

(٣) هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص ، وعثمان هذا صاحب النبى صلى
الله عليه وسلم هكذا نسبته عند ابن الأعرابى وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن
أبى العاص وعثمان عمه وهذا الذى اختاره أبو الفرج ، وهو شاعر أموى
محاصر للحجاج وسليمان بن عبد الملك .

انظر ترجمته فى الأغانى ج ١٢ ص ٢٨٦ .

(٤) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦١٣ .

وَالنَّاسَ مُسْتَهَانٍ مَخْمُومٌ * دُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِّمِ

...

فعلبك يا بنى أن ترى حقوق جارك وترعاه ولا تهتمها فالرجل الكريم هو الذى يعرف حق جاره ويحسن اليه ، وعلبك أن تكرم ضيفك فأكرام الضيف من الواجبات عليك واعلم أن الضيف سيتحدث عنك ويخبر الناس بأمر ضيفتك له فان أحسنت له حمدك وان قصرت فى إكرامه ذمك وشتمك .

واعلم يا بنى أن مثل الناس فى أعمالهم مثل الذى يبنى بناية فإنا أحسن أساسها كانت بناية قوية متماسكة وإن كانت ضعيفة سقطت وتهدمت ، وكذلك الرجال فبعضهم يعمل أعمالا حسنة ويبنى مجدا موثلا يحمد عليه ويمجدح وبعضهم يعمل أعمالا سيئة فيلازم على أعماله ويذم من أجلها ويهدم ما بناء هو أو آباؤه وأجداده .

ويحذر الشاعر ابنه من البخل ويبين له عدم جدواه لأن الانسان سيهلك ويترك ما خلفه من مال ولن يبقى له إلا ذكره الحسن يقول (١) :

المرءُ يَخْلُ في الحَقُومِ * في اللَّكَلِ ما يَسِمْ
ما بَخْلُ مَنْ هو لِلنَّاسِ * نَ وَنَبْها غَرَضَ رَجِيمِ
ويرى القُرُونُ أَمَامَهُ * هَمْدًا كَمَا هَمْدَ الْهَشِيمِ
وَسَتَحَرَّبَ الدُّنْيَا فَلَا * بُوْسٌ يَدُومَ ولا نَعِيمِ

...

يقول الشاعر مخاطبا ابنه محذرا إياه من البخل : يا بنى بعض الناس يبخل بما يجب عليه من حقوق وهو لن يخلد لهذا المال الذى جمعه ولم يؤد حقه

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦١٣ .

وسيموت ويتركه فينتقل هذا المال إلى الورثة وربما كان الوارث له من الكلاله بعيد عنه فعلى ذلك ما السبب الذى يسوغ للانسان البخل. وأيضا ألا يعتبر هذا البخل بمن سبقه من أناس هل خلدوا ؟ أم أنهم صاروا هشما قد همدوا واخترمهم الموت . وحتما سيؤول إلى ما آلوا اليه ولن يدوم أحد سوا. كان صاحب نعيم أم صاحب بؤس ؟ فعليك أن تتجنب هذه الصفة القبيحة وأن تبتعد عنها .

وبعد هذه الوقفة مع شعر الوصايا الأبوية فى جانب الحث على الكرم والبذل نجد أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بوجوب إكرام الضيف مهما كانت الحال وبعض الشعراء قد علل سبب ذلك وهو أن الضيف سوف يحدد مضيفه أو يذمه فخافوا من الذم فوجهوا أبناءهم إلى عمل ما يمدحون به .

وبينوا لأبنائهم أن إكرام الضيف والقيام بأمره حق له واجب على المرء تأديته على أتم وجه . وحثوا على إنفاق المال وبذله لطالبيه ونرى أن الشعراء الاسلاميين حثوا على بذل المال فى وجوه الخير، ولمن احتاج إليه: لأن هذا المال من عند الله سبحانه وتعالى ، فعلى المرء أن لا يرد أحدا جاءه يسأله من فضل الله عليه . كما حذر بعضهم من البخل وبين لابنه أنه لا يوجد سبب دافع لبخل الانسان الذى سيفنى ويموت .

٢ - الحث على تقوى الله وما يتصل بها من قيم دينية :

لقد تعددت ديانات العرب في العصر الجاهلى ، ولكن الديانة السائدة في جميع نواحي شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت هي الوثنية ، ومع عبادة العرب لهذه الأصنام والأوثان إلا أنهم كانوا يعتقدون بوجود الله سبحانه وتعالى وأنه هو الخالق والرازق ، وقد أثبت القرآن لهم ذلك . قال تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (١) " وقوله تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ...) (٢) .

ولكن القرآن الكريم أنكر عليهم اعتقاد الشرك في عبادتهم ، فدعاهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والخلوص له من الشرك .

ولم تكن الوثنية هي المهيمنة على اعتقاد جميع العرب بل وجد فيهم من يؤمن بالله وحده ويخلص له العبادة ويسير على دين إبراهيم عليه السلام وهم يعرفون بالمتحفين ، فبذوا عبادة الأصنام ودعوا إلى التفكير والتعقل ، وحرّموا على أنفسهم شرب الخمر والزنا ، والقمار وغيرها من منكرات الجاهلية ومعتقداتهم (٣) .

ومن هذا المنطلق أوصى بعض الشعراء الحنفاء أبناءهم بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه .

(١) الزخرف آية ٨٧ .

(٢) يونس آية ٣٠ - ٣١ .

(٣) انظر عن الحياة الدينية في العصر الجاهلى كتاب تاريخ الأديب العربى ، العصر الجاهلى / دكتور / شوقي ضيف ص ٨٩ وما بعدها ، وكتاب في تاريخ الأديب الجاهلى للدكتور على الجندى ص ٢٥ .

فالأعشى (١) يوصي ابنه بصيرا بتقوى الله سبحانه وتعالى وعبادته وحسده ،
ويوصيه كذلك بمواساة الفقراء والبعد عن المحرمات فيقول (٢) :

(١) قد يتساءل الإنسان فيقول : كيف يوصي الأعشى الشاعر الجاهلي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ومواساة الفقراء والبعد عن المحرمات وغيرها ، وهو شاعر كافر اشتبه بالزنا والخمر . .

فالجواب عن ذلك : إن محقق ديوان الأعشى د / محمد محمد حسين قد وقف عند هذه القصيدة وقفة طويلة متأنية وأثار حول صحة نسبتها للأعشى الشك ، وفي رأيه أنها لا تصح للأعشى لأسباب عديدة أهمها :
ضعف اللفاظ وركاكتها ، وتأثر القصيدة بالقرآن ، والقصيدة تخالف منهج حياة الأعشى اللاهية المليئة بالفسق والدعارة .

ولكن مع ذلك لم يستطع أن يرد القصيدة لأنها رويت عن أبي عمرو الشيباني ، وهو ثقة فيما يرويه ، ولذلك أفترهى أن تكون للأعشى وأنه نظمها بعد أن بلغه شيء من مبادئ الإسلام وتعاليمه وربما سمع شيئا من القرآن قبل أن يرحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليمدحه في القصة المشهورة ، ويكون ضعف النظم والركاكة راجعا إلى أن الشاعر يعالج مواضيع ومعاني جديدة على منهج شعره محاولا أن يطوع لها أساليبه فلم يسلس له القياد وهذه ظاهرة عامة في الشعر الذي عالج المواضيع الإسلامية الجديدة لاحظها النقاد القدماء
انظر ديوان الأعشى ص ٣٦٤ .

وأنا بدوري لا أستطيع أن أرد هذه القصيدة أو أنكر نسبتها للأعشى لأنها مثبتة في الديوان ورويت عن رواية ثقة لا يضع الشعر ولا ينحله ، وربما كان الأعشى نظم هذه القصيدة موصيا ابنه عندما أراد أن يرحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليمدحه ويسلم بعد أن أسن وهرم ، ولا بد أن تكون تعاليم الإسلام في هذا الوقت قد وصلتته وأنه سمع بعض آيات القرآن الكريم .
أما عن حياته اللاهية العابثة فليس هذا دليلا مقنعا لرد القصيدة لأنه ربما أراد الشاعر لابنه أن يسير في طريق مستقيم مغاير للطريق الذي سار هو عليه والله أعلم بالصواب .

(٢) ديوانه ص ٣٦٥

وَإِنْ تَقَى الرَّحْمَنَ لَا مَسَءَ يَنْلُوهُ
فَصَبْرًا إِذَا تَلَقَّى السَّحَابَ الْغَرَائِيَا (١)
وَرَبَّكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ يَشْرِكُهُ
يَحْطُ مِنَ الْخَيْرَاتِ تِلْكَ الْبَوَائِيَا
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ لَا شَرِيكَ لَوْجُهُ
يَكُنْ لَكَ فِيهَا تَكْدُحُ الْيَوْمِ رَامِيَا
وَأِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرُنَنَّهَا
كَفَى يَكْلَامِ اللَّهِ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا
...

يقول الشاعر : عليك يا بني أن تخاف الله وتتقيه فإنه هو المعبود الحق ولا شيء يساوى تقواه ، عليك أن تواسى الفقير الجائع وتمينه ولا تنعم بمن عطائك ونوالك ، واصبر على ذلك ، واعبد الله وحده ولا تشرك معه أحدا في عبادته فالشرك ينقص ثواب الأعمال الصالحة التي قدمتها لله سبحانه وتعالى ، فعلبك أن توحده في العبادة ولا تدع أحدا غيره لهيمنك في أعمالك وسمعك ، واجتنب لحم الميتة لا تقترب منه ولا تأكله فإن ذلك محرم وحسبك بكلام الله ناهيا لك فإنه حرم الميتة .

وعبد فيس بن خفاف يوصى ابنه جبهيل بالخوف من الله والوفاء بالندور .
يقول (١) :

اللَّهُ فَاتَّقِهِ وَأَوْفِ بِنَذْرِهِ
وَإِذَا حَلَفْتَ مَارِيَا فَتَحَلَّلْ

اتق الله سبحانه وتعالى يا بني وخف منه واعمل ما يرضيه وأوف بنذرك

(١) الغرائيا : الجائع .

(٢) الفضليات ص ٣٨٤ .

الذى تنذره لله سبحانه وتعالى ، وإن أقسمت بالله وحلفت وكنت على غير حق
فى قسمك فتحلل منه وتراجع عنه ، وإذا كان بعض الشعراء المتحنفين أوصى
أبنائهم بتقوى الله سبحانه وتعالى فإن شعراء العصور الإسلامية أولو هذا الجانب
المهم فى حياة الانحمان غاية كبرى ، وحثهم أبناءهم على تقوى الله سبحانه وتعالى
واتباع تعاليم الاسلام نابع من إيمانهم العميق بالرسالة المحمدية والتوحيد
الخالص لله سبحانه وتعالى .

فأبو قيس الأنصارى ^(١) يوصى أبنائهم بتقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته
يقول (٢) :

يقول أبو قيسٍ وَأَصْبَحَ غَادِيًا
أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَايَ فَاَفْعَلُوا
أَوْصِيكُمْ بِاللَّهِ وَالْيَتْرِ وَالتَّقَى
وَأَعْرَاضَكُمْ وَالْيَتَرَ بِاللَّهِ أَوَّلُ
...

فالشاعر يوصى أبنائهم ويقول لهم : يا أبنائى اننى قد أوشكت على الموت
وانى موصيك بوصايا عديدة فاعملوا على تنفيذها والعمل بمقتضاها ما استطعتم
إلى ذلك سبيلا فاتقوا الله سبحانه وتعالى وخافوه فى كل أموركم ، واعملوا البر
وافعلوا الخيرات ، وصونوا أعراضكم من أن يدنسها أحد أو ينتقصها منتقص .
بالبعد عن مواطن الشبهة والريبة .

(١) هو صرمة بن قيس بن مالك التجارى الأوسى أبو قيس ، عمر طويلا ففى
الجاهلية وترهب وفارق الأوثان وكان معظما فى قومه أدرك الاسلام ففى
شبهوخته وأسلم - على أصح الأقوال - توفى فى حياة النبى صلى الله
عليه وسلم .

انظر ترجمته فى البداية والنهاية لابن كثير ح ٣ ص ١٥٦ والاصابة ح ٧ ص ٣٣
والأعلام ح ٣ ص ٢٠٣ .

(٢) المعمرون والوصايا ص ١٣٤ وذكر أن اسمه أبو قيس بن صرمة .

وللشاعر أبيات أخرى يوصى فيها أبناءه بمجموعة من الوصايا يحثهم
فيها على تقوى الله سبحانه وتعالى وصلة الأرحام والحمد عن أكل الحرام وغيرها
يقول (١) :

يَا بَنِيَّ الْأَرْحَامَ لَا تَقْطَعُوهُمَا
وَصِلُوها قَصِيرَةً مِنْ طَوَالِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ الْهَتَامِ
رَبِّمَا يَمْتَحِلُ غَيْرَ حَلَالِ
وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيًّا
عَالِيًّا يَهْتَدِي بِغَيْرِ سُؤَالِ
نَمْ مَالِ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ
إِنْ مَالِ الْيَتِيمِ يَرْفَاهُ وَإِلِ
وَاجْمَعُوا أَفْرَاقَكُمْ عَلَى السَّبْرِ وَالْتَقَى
سَوَى وَتَرَكِ الْخَنَاءَ وَأَخَذِ الْحَلَالَ
...

أوصيكم يا أبناءى أن تصلوا أرحامكم وإياكم وقطيعةها وصلة الأرحام
تكون بالزيارة القصيرة بعد مدة من الزمن حتى تطول المودة بينكم ، واتقوا الله
سبحانه وتعالى واعلموا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، وإياكم وظلم اليتيم
فإن لليتيم ولها يعلم ما تخفى الصدور من غير سؤال أحد ، وهو الله العزيز
القدير ، واحذروا كل الحذر من أكل أموال الأيتام فإن ذلك محرم والله هو
الذى يرضى مال اليتيم فلن يترك أحداً يعميت فيه .

وعليكم يا أبناءى باجتماع كلمتكم على تقوى الله سبحانه وتعالى وعمل البر

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ص ٥٣٤ عبد الله بن حامد الحامد

وإلحسان إلى الناس وفعل الخيرات التي تقرّبكم من الله عز وجل واحذروا الكسب الحرام واحرصوا على الكسب من الطرق المشروعة واجتنبوا جميع الأمور التي حرّمها الإسلام .

ونلاحظ في هذه الأبيات الأثر الإسلامي الواضح . فصلّة الرحم والحث على ذلك من توجيهات الإسلام والتحذير من أكل مال اليتيم مأخوذ من قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّا نَأْكُلُونَهَا فِي بُطُونِهِمْ نَارًا** الآية ^(١) .

والشاعر عبدة بن الطبيب ^(٢) يوصي أبناءه بتقوى الله سبحانه وتعالى وبسر والدهم يقول ^(٣) :

أوصيكمُ بتقَى إله فإِنِّسَهُ ■ يَمُطِي الرِّغَائِبَ مِنْ يَشَاءُ وَيَسْنَعُ
وَيَهْرَ والدكم وطاعةً أَنُصِرِهِ ■ إِنَّ الْأَبْرَّ مِنَ الْبَنِينَ الْأَطْرَعُ
إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ■ ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَنْصَحُ
...

فأول الأمور الواجبة عليكم يا أبنائي تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته فسي أوامره واجتنب نواهيه واعلموا أن الأرزاق بيده سبحانه فهو الذي ييسر الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء فهو الذي يستحق الشكر في جميع الأحوال .

وعليكم بهر والدكم وصلته وقضاء حوائجه وإطاعة أمره فالبار من البنين هو الذي يطيع أوامر والده وينفذ ما يقول ولا يعصيه . لأن الشيخ الكبير يضيّق ذرعاً

(١) النساء آية رقم ١٠ .

(٢) هو عبدة بن الطبيب واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن ولة بن أنس التميمي . شاعر مجيد ليس بالمتنثر من المخضرمين . أسلم وحسن إسلامه وكان فسي جيش النعمان بن مقرن المزني في حرب البدائن .

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٣١ . والأغاني ج ١ ص ٢٥ .
(٣) المفضليات ص ١٤٦ .

بمحسان أهله وذويه له ويصيه الغم والحزن إذا عصاه أهله . لا شعارهم له بالذلة وعدم الاكتراث برأيه وأقواله ، وهو لا يستطيع أن يعمل شيئاً لعجزه وكبر سنه فيلوذ بالصمت ويقعد محسوراً على ما آل إليه أمره .

وأثر الإسلام بين في هذه الأبيات خصوصاً في حثه أبناءه على بر الوالد عندما جعله ثالثاً لتقوى الله سبحانه وتعالى لأنه متأثر بالآية الكرسي : **قَالَ تَعَالَى " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَقَّ حَقِّهِ أَثُمَّ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصْلَةً فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ "** (١).

والشاعر النابغة الشيباني (٢) يوصي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى والإحسان وعمل الخير يقول (٣) :

اسْتَعِمْ يَا بُنَيَّ مِنْ وَعْظِ شَيْخٍ
عَجَمَ الدَّهْرُ فِي السَّنُونِ الْخَوَالِي
اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ وَأَحْسِنِ
إِنْ تَقَوَّى إِلَهَ خَيْرِ الْخِلَالِ

فالشاعر يقول : يا بني إني صاحب تجربة في الحياة وخبرة ، وقد حلبت الدهر أشطره وعركتني السنون وإني موصيك بوصية فاعمل بها ، فعليك يا بني بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وعمل ما أمرك الله به والانتباه عما نهاك عنه ما استطعت

(١) سورة لقمان آية رقم ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن المخارق بن سليم الشيباني ، شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية ، كان ينفذ إلى الشام ماداً خلفاء بني أمية فيجزلون له العطاء ، وزعم أبو الفرج الأصفهاني أنه نصراني ولكن أشعاره تدل على أنه كان مسلماً لتجلى الروح الإسلامية فيها .

انظر الأغاني ج ٢ ص ١٠٦ والمؤلف والمختلف للأدي ص ١٩٢ .

(٣) الحماسة للبحتري ص ٢٤٩ .

إلى ذلك سبيلا ، وأحسن العبادة له وحده فإن تقواه عز وجل أحسن الصفات وأعزها .

وقد تأثر الشاعر بالقرآن الكريم فضمن معنى قوله تعالى : " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . . الآية (١) " .

وصالح بن عبد القدوس يوصي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ، ويرغبه في ذلك لأن العواقب الحسنة لمن اتقى الله سبحانه وتعالى وخافه يقول (٢) :

بَنَىٰ عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ إِلَهِهِ
فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلْمُتَّقِينَ
وَأَنَّكَ مَا تَأْتِ مِنْ وَجْهِهِ
تَجِدُ بَابَهُ غَيْرَ مُسْتَعْلِقٍ

فالشاعر يقول : أوصيك يا بنى بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه فإن العواقب الحسنة للمتقين ، واعلم أن السعادة في الدنيا والآخرة والنجاح في تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ، واعلم يا بنى أن الله كريم جواد لا يرد سائلا ولا يخيب ظن مؤمن .

أما الشاعر أبو العتاهية فإنه يوصي ابنه بوصايا دينية كثيرة منها الحث على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعبادة الله على أحسن وجه يقول (٣) :

أَعْرِبْ فَوَادَكَ يُغْضَىٰ اللَّذَاتِ
وَأَذْكُرْ حُلُولَ مَنَازِلِ الْأَمْوَاطِ

(١) سورة التغابن آية رقم ١٦ .

(٢) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره : ١٤١ .

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره : ٥٩ .

لَا تَلْهَيْنَنَّكَ عَنْ مَعَادِكَ لَذَّةٌ
تَفْنَى وَتُورِثُ دَائِمَ الْحَصَرَاتِ
إِنَّ السَّعِيدَ غَدًا زَهِيدٌ قَانِعٌ
عِنْدَ إِلَهِ بِأَحْسَنِ الْإِخْبَاتِ
أَقِمِ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَهَا بِطُحُورِهَا
وَمِنَ الضَّلَالِ تَفَاوَتْ الْهَقَاتِ
وَإِذَا انْتَمَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلْهُ
مِنَ الْأَجَلِ لَا وَجْهَ الصَّدَقَاتِ
فِي الْأَقْرَبِينَ وَفِي الْأَبَاعِدِ تَارَةً
إِنَّ الزَّكَاةَ قَرْنَةُ الْعَلَوَاتِ

...

يوصي الشاعر ابنه ويقول له : يا بني احذر من الانغماس في ملذات الدنيا ونسيان الموت ، فعملك أن تبغض الملذات الزائلة ، وتذكر مصيرك المحتوم وهو الموت حتى لا تلهيك هذه الملذات عن العمل ليوم معادك وحشرك يوم القيامة ، فانك إن لهُوت بهذه الشهوات الفانية وترك العمل ليوم الآخرة أعقبت خسارة وتدمار دائما ، فإن السعيد يا بني من زهد في هذه الدنيا وعبد الله سبحانه وتعالى بخشوع وخضوع وتواضع .

وعليك يا بني أن تومئ الصلاة في وقتها المحدد وتحافظ عليها بعد أن تحسن وضوءك من أجلها ، واعلم أن من الغواية والضلال إضاعة الصلاة وعدم الاهتمام بأمرها وتأخيرها عن وقتها .

وإن وسع الله عليك في الرزق ووهبك ثملا كثيرا ، فاجعل قسطا منه للصّدقات والقربات توزعها على الفقراء سواء من أقاربك أو من الأبعد ، وأد الزكاة

(١) الاخبات : الخشوع والتواضع .

التي افترضها الله عليك فإن الزكاة فريضة الصلاة ، فلا تذكر الصلاة إلا ومعها الزكاة مقرونة بها في القرآن الكريم على الغالب .

وقد استند الشاعر وصيته هذه من القرآن الكريم فأثر القرآن واضح فيها ونرى تضييها بعض معاني الآيات الكريمة مثل قوله تعالى " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ " وقوله تعالى " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ^(١) " وقوله تعالى : " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " ^(٢) .

وبعد هذه الجولة مع شعر الرصايا الأتوية في الحث على تقوى الله والتمسك بتعاليم الاسلام تبين لنا أن الشعراء ركزوا على الوصية لأبنائهم بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ، وأوصوهم بالحذر من أكل مال اليتيم والبهمة عنه وأوصوهم بصلة الأرحام وبرهم ، وكذلك حث بعضهم على بر الوالدين كما حث بعضهم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإنفاق المال في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين وذكر الموت والرغبة عن الملهيات والشهوات .



-
- (١) سورة الاسراء آية رقم ٧٨ .
 (٢) سورة البقرة آية رقم ١١٠ .
 (٣) سورة لقمان آية رقم ٤ .

٣ - الحث على حفظ المجد والسود واجتماع الكلمة بين الاخوة :

من الأمور التي أوصى بها الشعراء أبناءهم الحفاظ على المجد واجتماع الكلمة بين الأخوة ، فالشاعر يوصي أبناءه بذلك لكي يحافظوا على ما شهده لهم من عز ومجد ، وأن لا يضيعوه بتدنيسه وارتكاب الأعمال المشينة التي تنقص من قدرهم وتخدش عرضهم .

واجتماع الكلمة بين الاخوة من أهم الأسباب التي تخلد المجد والسود والفرقة هي معمول الهدم لذلك . والشعراء يرون صورتهم وبقيتهم بعد ماتهم في أبنائهم فيحثونهم على التزام الطريق الذي ساروا عليه ليهلكوا ما بدوه .

فالشاعر فليس بن عاصم المنقري^(١) يوصي أبناءه بالحفاظ على المجد ويحثهم على التأخي واجتماع الكلمة يقول^(٢) :

إِنَّمَا السَّجْدُ مَا بَنَىٰ وَالِدَ الْعَصْدِ * قِيَّ وَأَخِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ
وَتَنَامُ الْفُضْلُ الشَّجَاعَةُ وَالْحِلْمُ * سَمِ إِذَا زَانَهُ عَفَافٌ وَجُودُ
وَتَلَاثُونَ بِمَا بَنَىٰ إِذَا مَا * جَمَعَتْهُمْ فِي النَّائِبَاتِ الْمُهْودُ
كَذَا هِشِينَ مِنْ قِدَاحٍ إِذَا مَا * قَدَّهَا لِلزَّمَانِ قَدَحٌ شَدِيدُ
لَنْ تَكْمُرَ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ الْأَسْفُ * سَهُمْ أَوْدَىٰ بِجَمْعِهَا التَّيْدِيدُ
وَذُوو الْحِلْمِ وَالْأَكَابِرِ أَوْلَىٰ * أَنْ يَرَىٰ يَنْكُمُ لَهْمٌ تَسْوِيدُ
وَعَلَيْكُمْ حِفْظُ الْأَصَاغِرِ حَقٌّ * يَبْلُغُ الْحِنْتُ الْأَصْفَرُ الْمَجْهُودُ

(١) هو فليس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي صحابي جليل ، شاعر فارس كان رئيس وفد تميم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم اشتهر بالحلم وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم " هذا سيد أهل الوبر " مات حوالي سنة ٢٠ هـ .

انظر ترجمته في الأغاني ح ١٤ ص ٦٦ ، معجم الشعراء للمريزاني ص ٣٢٤ وخزانة الأدب ح ٨ ص ١٠٢ .

(٢) الأغاني ح ١٤ ص ٨٢ .

يقول الشاعر : " اعلّموا يا أبنائي أن المجد والعزة هو ما يسته لكم
وأفنت عمرى فى تشييده ، فحافظوا عليه وخذلوا أفعالي وما ترى أعلّمه
وسيروا على خطاى ، لأنّ المجد والسومرد إذا لم يحافظ عليه من قبل الأبناء
بعد موت والدهم ليس بمجد موثّل لأنّه سيزول قريباً ، واعلموا أن تمام
العزة والشرف الشجاعة والتقدم فى الحروب والمعارك ، والاتصاف بالحلم
والعفة والكرم والبعد عن مواطن الريبة فكل هذه مجتمعة تزيد من فضل المرء
ومكانته .

وعليكم يا أبنائي باجتماع الكلمة فلا تتفرقوا وتتنافروا فإن فى الفرقة ضياع
المجد وفى الشقاق التباعد والبغضاء ، واعلموا أنكم إن اجتمعتم وتعاذتم وشدد
بعضكم أزر بعض لم يستطع أحد أن ينالكم بشئ ، ولكن ان تفرقتم سهل على
أعدائكم النيل منكم .

ومثلكم يا أبنائي مثل القداح الكثيرة فإنها إن شدت إلى بعض وجمعت
لم يستطع أحد أن يكمرها وإن فرقت واحداً واحداً سهل على المرء تكبيرها .

وقلّوا أمركم أكبركم سناً وأحلمكم فإنه أولى من تسود وعظيكم ،
واحفظوا أخوتكم الصغار وارعوا شؤونهم حتى يبلغوا مبلغ الرجال ويعرفوا ما لهم
وما عليهم .

والشاعر عمرو بن الأهتم كذلك يوصى ابنه بالحفاظ على المجد والسومرد
يقول (١) :

لَقَدْ أَوْصَيْتَ رِبْعَى بْنَ عَمْرِو
إِذَا حَزَّيْتَ عَشِيرَتَكَ الْأُمُورَ

بأن لا تَقْعِدَنَّ ما قد سَمِعْنَا
وحَفِظَ السُّورَةَ الْعُلْيَا كَبِيرُ
وَأَنَّ الْمَجْدَ أَوْلُسَهُ وَمُورُ
وَمَقْدَرُ غَيْبِهِ كَرَمٌ وَخَيْرُ
...

فالشاعر يوصي ابنه ويقول له عليك يا بني أن تساعد قومك وذويك إذا
أصابتهم سنة شديدة فلا تتخل عنهم ، حتى تسير على خطانا وتعمل على إبقائهم
مجدا شامخا ثابتا ، فإنه من الواجب عليك أن تحافظ على هذا السمو الذي
أثناه لك ، واعلم أن المحافظة عليه أمر صعب يتطلب منك الشئ الكثير والحصول
على المجد ليس بالأمر الهين على المرء فأوله صعب ودره محفوظ بالمشاق
والصاعب ، ولكن عاقبته حسنة وكرم وخير .

والشاعر عمرو بن معدى كرب (١) يخبرنا أن والده قد أوصاه بالحفاظ على
المجد والسمو الذي يقول (٢) :

فقال لى قَوْلَ ذى رَأْيٍ وَمَقْدِرَةٍ
مَجَرَّبٍ عَاقِلٍ نَزَّهَ عَنِ الْهَبِ
قَدْ نَلْتَ مَجْدًا فَحَازِرًا أَنْ تُدْتَسَّ
أَبَّ كَرِهَمْ وَجَدُ غَيْرُ مَوْثِقِيبِ (٣)

(١) هو عمرو بن كرب الزبيدي من مذحج ، ويعد من فرسان العرب المشهورين
بالبأس في الجاهلية أدرك الاسلام فأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه
وسلم ، ثم ارتد مع من ارتد باليمن ، ثم هاجر إلى العراق وأسلم وشهد
القادسية وله فيها بلاء حسن ، وشهد مع النعمان بن مقرن الزنبي ففتح
نهاوند واستشهد في هذه المعركة .
انظر الشعر والشعراء ١ ص ٣٧٩ والأغاني ١ ص ١٥٨ .

(٢) شعر عمرو بن معدى كرب ص ٦٣ جمعه مطاع الطرابيشي ط الثانية سنة ١٤٠٥ هـ

(٣) نشر مجمع اللغة العربية بدمشق .
الموئيب : غير الصريح في النسب .

فَضَلَتْ عِدَاؤَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ
وَأَبَتْ ضِيَابَ صُدُورِهِمْ لَا تَنْزِعُ
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ
حَدَّجُوا قَنَائِدَ النَّيْمَةِ تَمْنَعُ
أَمْشَالُ زَهْدٍ حِينَ أَفْسَدَ رَهْطُهُ
حَتَّى تَشَقَّتْ أَمْرَهُمْ فَتَصَدَّعُوا
إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ
يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا
...

يوصي الشاعر أبناءه ويقول لهم : إياكم والأحقاد والضيفنة فلا تتشمر
بينكم ، فإن الحقد سريح النغش بين الأقارب ، واحذروا من المنام الذي يمشي
بينكم بالنميمة متظاهرا لكم بالنصيحة وهو مبطن العداوة يزعج لكم سنا منقما
لهشمل بينكم حربا ضروسا كما يبعث عرق الأُخدع بقية عروق الجسم ، وهذا
الرجل المنام يغلى جوفه من حرارة الغيظ لا ينطفئ حره ولو شرب ماء بارد
مزوجا عسلا ، وإنما يشفيه تفرقكم وديبب العداوة بينكم .

واحذروا من الأقوام الذين ينبئون في منابت السوء ، فينذ صباهم وهم
يرضعون العداوة والبغضاء فيحقدون على الناس جميعا ، وعداوتهم قد أرسيت
وغليت على أحلامهم فاطهبوها واضحة جليلة للعيان ، وهو لا مثلهم مثل القنفذ
الذي إذا اشتدت ظلمة الليل بدأ بالمسير والرحلة فلا ينام أبدا ، وهم كذلك
لا ينامون فهم يسهرون الليل أجمعه بالنميمة والاحتفال في السر مثل زهد
ابن مالك الأصغر الذي أفسد رهطه وشمى بينهم بالنميمة حتى تفرقوا وانصدع
أمرهم فهلكوا ، واعلموا أن هؤلاء الذين يتظاهرون لكم بالود والإخاء لا يهدأ
لهم بال ولا ينطفئ لهم غل حتى تتفرقوا وينصدع أمركم ، فأخذوهم واعلموا على

جمع كلمتكم وكونوا مجتمعين على رأى رجل واحد منكم .

وعبد الملك بن مروان يوصى أبناءه ، على نفى الاحقاد والعمل على اجتماع الكلمة وعدم الفرقة فى أبيات شبيهة بأبيات فهم بن عاصم يقول (١) :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم
 عد الغيب وفى حضور المشهد
 بصلاح ذات البين طول بقاءكم
 إن مد نسي عرى وإن لم يمد
 وليسيل رهب الدهر ألف بينكم
 يتراحم وتواصل وتودد
 حتى تلين قلوبكم وجلودكم
 ليسود منكم وغير مسود
 إن القداح إذا جيعن قوامها
 بالكسر ذو حنى وبطي أميد
 عزت فلم تكمر وإن هي بددت
 فالوهن والتكسر للمتبدد
 ...

فعلحكم يا أبنائى أن تتعدوا عن الحقد والفضينة ولا تجعلوها من شأنكم وأصلحوا ذات بينكم واتحدوا ولا تختلفوا ، أمد بقاءكم فى الدنيا سواء عمرت أو هلكت ، وائتلافكم بالتواصل والترامح والتودد يمينكم على نوائب الدهر ويجعلكم تهتمون بأموركم جميعا فهما يمسح بعضكم بعضا سواء كان صاحب الشأن

(١) المعمرين والوصايا ص ١٦١ .

صغيرا أم كبيرا أو سيدا أو مسودا ٥ واجتماع كلمتكم قوة وحسن لكم فلو رام
أحد ظلمكم أو النيل من أحد منكم بسوء لن يقدر على ذلك وانظروا إلى القداح
فإنها إذا اجتمعت لم يحتط أحد كسرهما وإن كان أيذا قويا شديد البطش ٥
وإن هي تفرقت سهل كسرهما وتبديدها ٥ وكونوا أنتم مثلها في التأخى واجتماع
الكلمة ٥

وبعد هذا العرض لشمس الوصايا الأبوية في جانب الحث على اجتماع
الكلمة والحفاظ على المجد والسودد نرى أن الشمراء أوصوا أبناءهم بالمحافظة
على المجد بمواصلة ما بدأ آباؤهم والسير على خطاهم في الأمور الحمسة ٥
وحثوهم على اجتماع الكلمة لأن في ذلك قوة لهم ورادعا لمن رام النيل منهم
بسوء ٥ وبينوا لهم أن من الحفاظ على المجد والسودد ٥ البعد عن مواطن
الريبة والدنس والاقتراب من فعل الخيرات والكرم ٥ وأوصوهم بالبعد عن الأحقاد
والغشائن لما في ذلك من فزعة ٥ وحذروهم من النمام الذي يعمل على صدع
قوتهم ويكرس جهده ليفرق جمعهم ويقوس تماسكهم ويهدم مجدهم وسوددهم ٥

٤ - الحث على مصاحبة الأخيار وحسن معاملتهم واجتناب اللثام :

لا بد للإنسان في هذه الحياه من أصحاب وأصدقاء يركن إليهم ويتحدث معهم • والقرين صورة صادقة لقرينه والشعراء قد عرفوا ذلك فوجهوا أبناءهم إلى الرجل الذي يستحق المواصله والمصاحبه وهو الرجل الكرم النبيل • ونهوا عن اللثيم وذى الأخلاق السيئه وبعض الشعراء أعطى ابنه منهجا يصير عليه مسج أصدقائه أو أعدائه في حالة القرب والبعد منهم • وسأبين ذلك بالتفصيل إن شاء الله •

فذو الاصبع العدواني يوصى ابنه أسيد بمصاحبة الأخيار ما استطاع إلى ذلك سبيلا وينهاه عن معاشره اللثام يقول (١) :

أَخِ الْكِرَامِ إِنِ اسْتَطَعْتَ ■ سَتَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
وَاشْرَبْ بِكَأْسِهِمْ وَإِنْ ■ شَرِبُوا بِسِوِ الشَّيْءِ الشَّيْءَ
أَهِنَ اللَّفْظَامَ وَلَا تَكُنْ ■ لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذُلُورًا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تَوَلَّوْا ■ خِيَبَتْ وَجَدَتْ لَهُمْ فُضُولًا

فالشاعر يوصى ابنه ويقول له : يا بنى عليك بصحبه الكرام والأخيار ومواصلاتهم والحرص عليهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا • واجتهد في طلبهم حتى تجدهم وتقاربهم • وعليك بالسبر على خطاهم • وعدم مخالفتهم لأن الخير كل الخير في اتباعهم والاستتاره بمعلمهم • وعليك اجتناب اللثام والحذر من قربهم بل أهنهم ولا تذلل جانبك لهم • فلا يروا منك إلا كل احتقار لهم • لأنهم لا يستحقون من المرء إلا ذلك لمو طبعهم • وحيث سجيبتهم • ومواصلاتهم يا بنى للأخيار والكرام ترى الفرق بينهم وبين اللثام وتجد أن للكرام فضلا عظيما على المرء لا تصل إليه صحبه اللثام •

أما عبد قيس بن خفاف فإنه يوجه ابنه إلى حسن معاملة الأصدقاء
والبعد عن تجريحهم والنهل منهم يقول (١) :

وَدَعَ الْقَوَارِصَ لِلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ
كِي لَا يَسْرُوكَ مِنَ اللَّثَامِ الْعُزْلِ
وَصِلِ التَّوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وَدَّه
وَاحْذَرِ حِمَالِ الْخَائِنِ الْمُتَبَدِّلِ

فعليك يا بني أن تحسن المعاملة للصديق ولا تهذب له العداوة والبغضاء
ولا يصله منك قوارص وأضغان وأحقاد لأن هذه الأضغان من صفات اللثام الحقيقين
الذين يجتنبهم الناس فيصيرون في معزل، فاحذر أن تكون منهم ولا يبعدك الناس
في زميرتهم .

وعليك بصلة من وصلك ، وأخلص في مودته لك ، واحذر من عداوة الخائن
الذي يكيد لك في الخفاء .

أما الأعشى فإنه يرسم لابنه بصيرا طريقة معاملة الإخوان والأصدقاء
يقول (٢) :

سَأُوصِي بِصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْيَلَسِ
وَكُلَّ أَمْرِي يَوْمًا سَهْبَحٌ فَأَنِهَا
يَا بْنَ لَا تَكَنَّ السُّودَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ
وَلَا تَتَنَا إِنْ أَمَسَ بِقُرْبِكَ رَاضِيهَا
فَذَا الْقَنْنُ فَأَهْتَأَهُ وَذَا الْوَدَّ فَاجْزِمِهِ
عَلَى وَدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْغَلَاظِيهَا (٣)

(١) الفضليات ص ٣٨٤ .

(٢) ديوان الأعشى ص ٣٦٥ .

(٣) الغلانية : الغلو والاسراف .

يقول الشاعر : سوف أوصي ابني بصيرا إذا دنا أجلى ، وكل امرئ
سيزول ويصير إلى الفناء ، فلن يبق أحد على وجه هذه البسيطة ، فعليك
يا بني أن لا ترجو الود والقرب من إنسان نأى وتباعد عنك فلا تذهب نفسك
وترهقها حتى تستميل قلبه إليك ، عليك أن لا تعرض عن من طلب ودك واقترب
منك ، وابغض من أبغضك وأهنه ولا تقترب منه ، واجز صدقك ومحبك على قرينه
محبة ومودة منك وأسرف في مودته وزد عليه في قرينه .

وإذا كانت هذه وجهة نظر الأعشى التي أوصى بها ابنه في الصداقة
والصديق ومعاملته فإن أبا الأسود الدؤلي على النقيض تماما من ذلك فهو يوصي
ابنه بأن يقتصد في حبه لصديقه وكذلك في بغضه لعدوه يقول (١) :

أَحِبَّ إِذَا أَحَبَّتَ حَبًّا مَقَارِبًا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ تَارِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مَقَارِبًا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

فعليك يا بني أن تعتدل في حبك ومعامرتك لأصدقائك فلا تسرف في
حب صديقك ولا تنكر الزهارة له ، ولا تخبره بجميع أسرارك ، فإنك لا تدري
ما يخفيه الخبيب لك فهما انقلب الصديق عدوا وفسد ما بينكما من ود ، فإذا
كان عارفا عنك كل شيء يخصك أخذ في إذاعة أسرارك ، وإشاعة مساوئك بين
الناس ، أما ان كنت محتزرا منه فلا يضرك بعده عنك وعداوتك له ، وبالمقابل إذا
أبغضت أحدا فلا تشرب قلبك بغضه وتحقد عليه ، لأنك لا تدري عن المقادير
فربما صار هذا العدو صديقا حينما لك فعليك بالاعتقاد في الحب والبغض
والاعتدال فيهما .

أما الشاعر يزيد بن الحكم الثقفي فإنه يوصي ابنه بدرا بالمحافظة على ود
أصدقائه ومواصلتهم يقول (١) :

يَا بَذَرَ وَالْأَمْثَالَ يَفْتَسِرْ بِهَا لَدَى اللَّبِّ الْحَكِيمِ
ذَمٌّ لِلْخَلِيلِ سِوَدٌ ۖ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ

فعلبك يا بني أن تحافظ على ود صاحبك وتبادل له ودًا بود ۖ حتى يدوم
ما بينكما من وصال ومودة تربط بين قلبكما ۖ وما الفائدة المرجوة من ود صديق
لا يدوم وده ۖ إنه ليس هناك فائدة في ذلك الود فالخير في دوام الود والصفاء
بين الأصدقاء .

أما طريح بن اسماعيل الثقفي فإنه يوصي ابنه صلت بالبعد عن اللثام
واجتنابهم يقول (٢) :

وَاتْرُكْ صَاحِبَةَ اللَّثَامِ وَدَعِهِمْ
تَرَكِ الْمَذُوفَةَ بِالسَّرْدَى عَدَوَاهَا

فالشاعر يوصي ابنه ويقول له : ابتعد يا بني عن اللثام ومعاشرتهم ۖ وفر
عنهم كما تفر من الأمراض المعدية التي تعدى الإنسان فتؤدي به إلى الهلاك ۖ
فهؤلاء اللثام مثل تلك الأمراض يعدون الإنسان المستقيم صاحب الأخلاق الحسنة
والصفات الحميدة فيحيلونها إلى أخلاق سيئة قبيحة - إن اختلط بهم - فلا
تصاحبهم واهرب عنهم حفاظًا على أخلاقك وحياتك .

والشاعر مساور بن عبد الحميد (٣) يوصي ابنه بصاحبة النماك والزهاد

(١) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٦١٣ .

(٢) شعر طريح بن اسماعيل الثقفي ص ١١٦ .

(٣) مساور بن سوار بن عبد الحميد ۖ من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال إنه مولى
خويلد بن عدوان ۖ شاعر عباسي كوفي قليل الشعر ۖ وكان من أصحاب الحديث
ورواته . انظر الأغاني ح ١٨ ص ١٤٩ .

يقول (١)
 أَخِيْنَ وَصَاحِبَ كُلِّ قَارٍ نَاسِكَ
 حَسَنَ التَّمَهُّدِ لِلصَّلَاةِ صَوْدُومٍ
 مِنْ ضَرْبِ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمِثْمَرٍ
 وَسَمَاكِ الْعَتِكِيِّ وَابْنِ حَكِيمٍ
 ...

يقول الشاعر : عليك يا بني أن تصاحب الأخيار الزهاد العباد ، المبتدئين
 عن ملذات الدنيا ، واحرص على من يؤدى الصلاة فى وقتها ، ويدوم على الصيام
 تطوعا وفرضا مثل حماد بن زيد وسماك العتكى وابن حكيم .

وبعد هذه الوقفة مع شعراء الرصايا الأبوية فى حثهم على مصاحبة الأخيار
 وحسن معاملتهم واجتناب اللثام نرى أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بمصاحبة الأخيار
 والحرص على انتقائهم ، والسير على خطاهم ، وبعضهم حث على مصاحبة الزهاد
 والعباد ، ونهوا أبناءهم عن معاشرة اللثام لسوء طباعهم وحنوهم على البعد عنهم
 واجتنابهم ، وبين بعضهم وجهة نظره فى معاشرة الأصدقاء ومعاملتهم فحث
 ابنه على معاداة من ابتعد عنه معاداة صريحة ، والاقتراب ممن أظهر الود والغلو
 فى تقريبه ومعاشرته والمبالغة فى إكرامه ، أما بعضهم فإنه حث على الاقتصاد فى
 ذلك والتوسط ، فإن أبغض أبغض باخدا لوان أحب فلا يسرف فى حبه ، وكذلك
 أوصوا بالمحافظة على الود وعدم قطعه .

٥ - الحث على طلب الرزق مع التعفف وعدم الحرص :

طلب الرزق من الأعمال التي يجب على المرء أن يقوم بها ليكسب قوته ويستغنى عن الناس فلا يحتاج إلى إعطياتهم وفضلهم عليه ، والعمراء قد أوصوا أبناءهم وحثوهم على طلب الرزق والاستغناء بأنفسهم ، ولكن مع ذلك فقد نهوهم عن الأسى على ما فات أو الندم عليه ، وكذلك أوصى بعضهم أبناءهم بالتعفف حتى عند نزول الفاقة بهم .

فعمد قيس بن خفاف يوجه ابنه جبهل إلى الاستغناء عن الناس وترك ما في أيديهم حتى ولو حلت الفاقة به يقول (١)

وَإِذَا انْفَقَرَتْ فَلَا تَكُنْ تَخَشَّعًا
تَرْجُو الْفَوَاحِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمَفْضِلِ
وَاسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْفَيْئِ
وَإِذَا تُصِيبَكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

...

يقول الشاعر : يا بني إن أصابك سنة عجفاء وانفقرت ، ولم يكن عندك مال تنفق منه فلا تخضع وتتذلل أمام أحد من الناس تطلب نواله وفضله ، ولكن اطلب المعطاء من صاحبه الذي أفضل على الناس جميعا وهو الله سبحانه وتعالى .

واستغن يا بني عن الناس بما وهبك الله سبحانه وتعالى من مال ما دمت في رخاء ورفاهية ، وإن أصابك فاقة فتحملها ، واصبر عليها ولا تظهر الجزع أو تستجد من أحد .

(١) الفضليات ص ٣٨٥ .

وأبو الأسود الدؤلى يوصى ابنه بالسمى والاجتهاد فى طلب الرزق وعدم
الركون الى الكمل وتنمية النفس بالمال من غير عمل لأسبابه يقول (١) :

وما طلبُ المعيشَةِ بالتَّمَنَّى
ولكن أَلْقِ دِلُوكَ فِى الدَّلَالِ
تَجِفُّكَ بِمِلْئِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا
تَجِفُّكَ بِحِمَاةٍ (٢) وَقَلِيلِ مَاءٍ
وَلَا تَفْعُدْ عَلَى كَمَلِ التَّمَنَّى
تَحِيلُ عَلَى الْمَقَادِرِ وَالْقَضَاءِ
فَإِنَّ مَقَادِرَ الرَّحْمَنِ تَجْرِي
بَارْزَاقِ الرَّجَالِ مِنَ السَّمَاءِ
مَقْدَرَةٌ يَقْبِضُ أَوْ يَبْسُطُ
وَعَجْزُ الْمَرْءِ أَسْبَابُ الْبَلَاءِ
وَمَحْضُ الرِّزْقِ فِى دَعَاةٍ وَخَفِيفٍ
وَمَحْضُ الرِّزْقِ يُكْسَبُ بِالْعَنَاءِ
...

فالشاعر يقول لابنه : اعلم يا بنى أن طلب الرزق وكسب المعاش ليس
بالركون إلى الكمل والتمنى ولكن بالعمل والاجتهاد ، فأعمل الأسباب التى تدر
عليك الرزق ، واسع له وألقى دلوك مع الناس فى طلب الرزق ، فمرة تكسب رزقا
وأفرا ومرة قليلا ، وإياك والخمول والكمل وتنمية النفس بالغنى وأنت ترجع أسباب
الرزق والغنى إلى القضاء والقدر وحدهما ، بل اعمل الأسباب !
فإن مقادير الأقوات والأرزاق من عند الله سبحانه وتعالى فهو الذى يوسع الرزق
على من يشاء ويضيقه على من يشاء ، فأعمل الأسباب واتكل على رب العباد ، ولكن

(١) ديوانه ص ١٢٦ .

(٢) الحِمَاة : الطين .

اعلم أن كمل المرء وقعوده عن طلب الرزق هو أعظم سبب للفقر والجوع وأن بعض الرزق يأتي ببسر وسهولة وبعضه يأتي بالنصب والشقاء .

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم عندما نسب الرزق وتقديره بين العباد إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد ضمن معنى الآية الكريمة قوله تعالى : " اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّهُ الْبَاقِي " (١) .

أما مضر بن رعي (٢) فإنه يوصي ابنه بالصبر عند نزول الفاقة به والافتقار وعدم الأسى على ما فات يقول (٣) :

لا تهلكَنَّ النَّفْسَ لَوْمًا وَحَسْرَةً
على الفسْدِ سَدَاهُ لِيُغَيِّرَكَ قَادِرُهُ
فَلَا تَتَأَسَّنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ
وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا بَيْنَ أَهْلِ تَبَادُرِهِ
وَمَا فَاتَ فَاتَرَكْهُ إِذَا عَزَّ وَاسْطَبِرْ
على الدهرِ إِنْ دَارَتْ عَلَيْكَ دَوَائِرُهُ
...

فالشاعر يقول عليك يا بني أن لا تذهب نفسك حسرة على ما فات عليك من مال ورزق وأنت لم تستطع الحصول عليه بعد أن بذلت ما في وسعك ، بل اترك ذلك لمن يستطيع الحصول عليه ويعمل له أسبابه ، ولا تشغل نفسك به ، وإياك أن يستبد بك اليأس فتتعد عن العمل والجهد والمثابرة ، بل اعمل ولا تأس من أي عمل صالح تحصل عليه وإن كان ذلك العمل (وَيْشَى) بيده (يُورَى) ناسى كثيرًا فإنك

(١) سورة العنكبوت آية ٦٢ .

(٢) هو مضر بن رعي بن لقيط بن خالد بن نضلة الأسدي ، أبوى الشعر شاعر محسن متمكن ، لم أجد له سوى هذه الترجمة .

(٣) انظر معجم الشعراء ص ٣٦٠ ، وخزانة الأدب ج ٥ ص ٢٢ .
المعمرون والوصايا ص ١٣٣ .

بالجد والاجتهاد ومواصلة الطلب ستحصل عليه ، وما بعد نواله من رزق أو مال وصعب الحصول عليه وفات فلا تجزع عليه ، وعليك أن تصبر على نوائب الزمان وصروف الدهر إن حلت بك أو أصابك منها شيء .

والشاعر طريح بن اسماعيل الثقفي يوصي ابنه ويحثه على مواصلة الجد في طلب الرزق ، وأن لا ينسى شكر الله الذي خصه بهذا المال يقول (١) :

فَإِذَا خُصِّصَتْ بِنِعْمَةٍ وَرِزْقَتَهَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ نِصَّةً تَفْضَاهَا
فَابْغِ الزَّهَادَةَ فِي الذِّى أُعْطِيَتْهُ
وَتَمَامُ ذَاكَ بِفُكْرٍ مَنْ أَعْطَاهَا
...

يا بني إذا وهبك الله سبحانه وتعالى ومن عليك برزق وافر فلا تركن بعد ذلك إلى الكسل وتقمع عن العمل من أجل ذلك المال ، بل اطلب الزهادة فيه وشمره واعمل الأسباب التي تجعله يزيد وينسى واعلم أن أهم هذه الأسباب هو شكر الله سبحانه وتعالى الذي أعطاك هذا المال وأغناك عن الناس .

والشاعر قد أخذ ذلك من الآية الكريمة قال تعالى : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " (٢).

فما سبق ترى أن الشمراء قد أوصوا أبناءهم على طلب الرزق والسمس له وعدم الخضوع لأحد في حالة الفقر ، وبينوا أن طلب الرزق ليس من عند الناس إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى ، وحثوهم على التعمف والجد والاجتهاد

(١) شعر طريح بن اسماعيل الثقفي ص ١١٦ .

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٧ .

وعدم الركون الى الكسل وتنمية النفس بالمال والرزق الوافر من غير عمل الاسباب
له ، وبعضهم أوصى ابنه أن لا يركن الى الكسل حتى ولو كان غنيا ، بل عليه أن
يطلب الزهادة فيه وأهم سبب لزهادة المال ونمائه شكر الله سبحانه وتعالى ،
كما أنهم حذروهم من الحرص والأسى على ما فات وأوصوهم بالقناعة والصبر على
نوائب الدهر . .

٦ - الحث على إساءة الضيم وعدم الذل والهوان :

نفس الإنسان الأبية الحرة لا يمكن أن تخضع وتصب على الذل والضيم ،
والشمره قد أوصوا أبناءهم على إساءة الضيم والهوان وعدم الخضوع لأحد ، وإن
حاول أحد اهانتهم فعلهم الرد بالمثل أو الزيادة عليه .

فمعد فمس بن خفاف يوصى ابنه جبيل بإساءة الضيم والذل ، ويطلب منه
الرحيل عن بلد يهان به يقول (١) :

وَأَتْرَكَ مَحَلَّ السَّوْءِ لَا تَحَلَّلْ بِهِ
وَإِذَا نَسَا بِكَ مَنَزِلُ فَتَحَوَّلِ
دَارُ الْهَوَانِ لِيَكُنْ رَأْهَا دَارَهُ
أَفْرَاحِلُ عَمَّا كُنَّ لَمْ يَرْحَلِ
وَإِذَا أَتَيْتَكَ مِنَ السَّعْدِ قَوَارِصُ
فَأَقْرِصْ كَذَاكَ وَلَا تَقَلِّ لَمْ أَفْعَلِ
...

عليك أن تهتمد يا بني عن مواطن الرهبة والذل ، وإن أهنت في بلد أو
أصابك ضيم فيه فتحول عنه وسافر إلى بلد آخر تحفظ فيه كرامتك وتصون عرضك
واعلم يا بني أن من صبر على الذل وأقام في وطن أهين فيه فهو موطنه باختباره
فليس من رحل عن بلد قد أذل فيه وأنف المقام به كمن أقام به محتلا الهوان
صابرا على الضيم ، فكن أنت من يتولى عن ذلك البلد ويترك خلفه ويولى وجهه
إلى بلد آخر، وإن أصابك سوء أو وصلت إليك بداية حقد وضغن من أحد فلا
تتغافل عنه وخذ بثأرك منه وردد عمله عليه .

(١) المفضليات ص ٣٨٥ .

وعمر بن الأهتم يوصي ابنه ريمس بالحذر من الأعداء ومحاربتهم وعدم
الخضوع لهم يقول (١) :

وَإِنَّ مِنَ الصَّدِيقِ عَلَيْكَ فِتْنًا
بَدَأَ لِي إِنْسَى رَجُلٌ بِصِيرٍ
بَادُوا الرِّجَالَ إِذَا التَّقْنَا
وَمَا تُخْفِي مِنَ الْحَسَنِ الصُّدُورُ
فَإِنْ رَفَعُوا الْأَيْتَةَ فَارْتَمَنَهَا
إِلَى الْعُلْيَا وَأَنْتَ بِهَا جَدِيرٌ
وَإِنْ جَهَدُوا عَلَيْكَ فَلَا تَهَيَّبْهُمْ
وَجَاهِدْهُمْ إِذَا حَاسَ الْقَتِيرُ (٢)
فَإِنْ قَصَدُوا لِمَرِّ الْحَقِّ فَاقْصِدْ
وَإِنْ جَاؤُوا فَجَزَّ حَتَّى يَمِيرُوا
...

يقول الشاعر : اعلم يا بني أن بعض من يدعى صحتك وودك هو نسي
الحقيقة عدو لك يتتبع أخطأك ويتحرى عن زلاتك وعميوك صغيرها وكبيرها حتى
إذا افترقتما وابتعد عنك أخذ في ذكر عميوك وافشائها للناس .

وانني يا بني رجل قد خبرت الحياة وعرفت الرجال وأخلاقهم ، وما تكفه
صدورهم من ضغن وحقد وحسد فإن رفعوا لحرك الأتة فارفعها واعمل
مثلا علوا ، وحاربهم ولا تتذلل لهم أو تركن اليهم ، واعلم أنك أحق
بالنصر منهم وإن تكالبوا عليك ، واجمعوا أمرهم على حرك ، فلا تهيبهم أو يهينوا

(١) المفضليات ص ٤١٠ .

(٢) القتيير : رؤوس سامير الدروع .

ذلك عزمك • بل خسر المعارك الحامية وأوقد الحرب لقتالهم والنكاية بهم
فإن مالوا إلى الحق وأرادوا إحقاقه نصر أنت معهم ولا تخالفهم • وإن أبوا
إلا الجور والظلم • فاعلمهم وجرع عليهم حتى يقبلوا الحق ويذعنوا إليه •

وبعد هذه الوقفة مع ما تبهر لى من شعر الوصايا النبوية فى البحث

(١) شعره ص ٤٩ •

(٢) تحم : تمتنع •

على إباء الضيم • نرى كيف أن العمراء أوصوا أبناءهم بإباء الضيم وعدم
الذل والهوان لأحد وإن كان عزيزاً قوياً • كما أوصوهم على ترك البلاد التي
يضمون فيها والرحيل عنها إلى بلاد يصونون فيها عرضهم • وإن وصل الأمر فس
إباء الضيم إلى القتال فلا يتهدب الرجل ذلك بل يقاتل ويحارب من أرادوا
ضيمه حتى يرجعوا إلى الحق كما أوصى بذلك عمرو بن الأهتم ابنه •



٧ - الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة :

لقد أوصى الشعراء أبناءهم بالتحلى بالأخلاق الحسنة مثل الحلم والحياء وغيرهما ، وحذروهم من الصفات الذميمة والأخلاق السيئة مثل الحسد والظلم والبغى ، وذلك لما لصاحب الأخلاق الحسنة من منزلة فى قلوب الناس ، فهو محبوب من جميع أفراد المجتمع أما الإنسان ذو الأخلاق السيئة فهو مكروه من الجميع فيحتاجونه ويتعدون عنه .

فالشاعر عبد قيس بن خفاف يوصى ابنه بالانصاف بالحلم وجعله هو المهيمن عليه فى كل أعماله يقول (١) :

وَإِذَا تَنَاجَيْتَ لِي أَمْرًا كَلِّهَا
وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَوَى فَتَوَكَّلْ
وَإِذَا تَشَاجَرَ لِي فَوَادِكَ مَرَّةً
أَمْرًا فَاغْنِيْكَ لِلْأَعْيُنِ الْأَجْمَلِ

فالشاعر يوصى ابنه ويقول له : عليك بما بنى أن تتصف بالحلم فى جميع الأحوال فلا تتمجل فى أمورك وتتفخها بل تأن فى ذلك وشاور عقلك فإذا عزم على تنفيذ ما تراه الأصلح لك فى شأنك فاجزم به ولا تتردد فى تنفيذه ، وإذا تنازع فى عقلك أمران لابد أن تسلك أحدهما فعليك بالأصلح منهما الذى يظهر لك بالمظهر الحسن وجعلك قد انتصفت بصفات جليلة مثل الحلم والحكمة والعفة .

أما الأعشى فإنه يوصى ابنه بالتخلق بصفات عديدة مثل الوفاء وإتمام الوعد وينهاه عن أخلاق سيئة مثل الحقد والحسد يقول (٢) :

(١) البغليات ص ٣٨٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٦٥ .

ولا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
 ولا تَفْتِنَنَّ جَارًا لَطِيفًا بِهَا
 وإن اسرودَ أُسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً
 فأوفِ بها إن مِتَّ سَهْبًا وَانْهَبَا
 وجَارَةَ جَنْبِ الْبَيْتِ لَا تَبْغِ سِرَّهَا
 فَإِنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ خَائِفَا
 ولا تَحْسُدَنَّ مَوْلَاكَ إِنْ كَانَ ذَا غِنًى
 وَلَا تَجْفُفْهُ إِنْ كُنْتَ فِي الْمَالِ غَانِيَا

...

فالشاعر يقول : عليك يا بني أن لا تعد إنسانا بوعده وأنت لا تستطيع الوفاء له بوعده فإن أخلاف الوعد خلق مسقوت ، وأن جانبك لجارك المخلص لك ذو الأخلاق الحسنة فلا تصبه بغير ولا تهتبه فإن من حقه عليك احترامه والقيام بحق جواره ، وإن استحفظك أحد أمانة له وأتى بطلبها منك فأد أمانته له ولا تجدها ، لكن يذكرك الناس بالذكر الحسن في حياتك وبعد مماتك وبعد حوك بالوفاء واجتنب إفساد جارتك وابعد عنها ولا تبغها بموه فإن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ، واجتنب الحسد فلا يكن من صفاتك فلا تحسد صدقك إن صار صاحب مال ولا تبعد عنه وتجاهه إن استغنىته وصرت ذا مال ونسب .

وأبو نعيم الأنصاري يوصي أبنائه بالبعد عن الحسد والتزام العدل إن كانوا أصحاب أمر ونهى يقول (١) :

وإن قومكم سادوا فلا تحمدوهم
 وإن كنتم أهل السَّهَادَةِ فاعبدوا

(١) المعمرون والوصايا ص ١٣٤ .

يقول الشاعر : اجتنبوا الحسد يا أبناءى ولا يكن من شأنكم هـ فلا تشابهوا قومكم العداء وتحسدوهم إن كانت السيادة فيهم بل أطعموهم وأمنوهم في ذلك وإن كنتم أصحاب السيادة فاعدلوا في قومكم ولا تظفوا وتحرفوا عن جادة الصواب .

أما عمرو بن معدى كرب فإنه يذكر أن أباه قد أوصاه باجتنب الصفات القبيحة والتحلّى بالصفات الحمنة يقول (١) :

وَاتْرَكَ خَلَاقَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ
وَاعْتَدَ لِاخْلَاقِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
وَإِنْ دُعِيَ الْقَدَرُ أَوْ أُسِرَتْ بِهِ
فَاهْرَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ أَيْدِ الْهَرَبِ
...

فالشاعر يخبرنا أن أباه قد أوصاه وقال له : اهتمد يا بنى عن الاخلاق القبيحة التى يتخلق بها أراذل الناس فإن التخلق بأخلاقهم يجعلك من صفهم هـ ولكن عليك بالتحلّى بأخلاق الفضلاء ذوى الرأى السديد والحكمة والأدب الرفيع هـ وإن دعاك الى القدر أحد فلا تجه الى ذلك واهرب عنه بحيث لا يراك مرة أخرى لأن القدر من أقبح الصفات هـ وأعظمها حقارة وسوءا فهي ليست من صفات الكرام إنما هى من صفات اللئام .

أما أبو الأسود الدؤلى فإنه يعود بنا الى الحث على الحلم حيث يوصى ابنه بالتحلّى به والصنع عن الزلات يقول (٢) :

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْحِلْمِ وَاصْفَعْ عَنِ الْأَذَى
فَإِنَّكَ رَأَى مَا حَبِيبَتِ وَسَامِعِ

(١) شعر عمرو بن معدى كرب ص ٦٤ .

(٢) ديوانه ص ٨١ .

فأحرص يا بني على الحلم واتصف به حتى يكون هو السمة الغالبة عليك
واصفح عن الأخطاء التي تصلك من الناس ، لكن احتربك وتعلو منزلتك بينهم
ويشئو عليك ثناء عاظرا في حياتك وبعد مماتك .

والسلطان العبدى (١) يوصى ابنه بوصايا عديدة منها حفظ السر والزم
الصمت متى ما كان الصمت أولى من الكلام يقول (٢) :

ألم ترَ لقمانَ أوصى ابنه
وأوصيتَ عَشْرًا فتم الوصى
بنيَّ بدا خَبٌّ نَجَوَى الرَّجَالِ
فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبٌّ النَّجَى (٣)
وسِرِّكَ ما كانَ عِنْدَ امرئٍ
وسِرُّ الثلاثةِ غَيْرُ الخَفِيِّ
كما الصَّمتُ أدنى لِمَخْفِي الرَّقَادِ
فَمَخْفِي التَّكَلُّمِ أدنى لِمَنْ
...

يقول الشاعر : إننى سأوجه وصية لابنى عمرو لكن يستفيد منها ويسير
على نهجها الذى رسمته له ، ولست أنا البادى بهذا الامر فقد سبقنى لقمان
حين أوصى ابنه وأنا متبع له ، فعليك يا بني أن لا تخبر أحدا بسرك وان أطلعت
أحدا فكن خبا فيها تعلمه له فإن نجوى الرجل إذا ظهر مكره صار وسالا

(١) هو قش بن خبيقة العبدى من بنى محارب بن عمرو ، شاعر حكيم أموى قال
عنه الأندلسي : شاعر مشهور خبيث .
انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٧ والموئلف والمختلف ص ١٤٥
وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦٢٣ .

(٣) الصَّيْبُ : المكسر . والخَبُّ : الماكر .

عليه واقتنع أمره فلا تخبر أحداً بحقيقة أسرارك واعلم أن سرّك سيبقى سراً ما دام لم يجاوز اثنين ه فإن كان سرّك عند ثلاثة فاعلم أنه أصبح غير خافٍ وسينتشر بين الناس لكثرة من يعرفه، وانصف يا بني بالوقار وحسن السمعة فلا تهذر في الكلام فإن الرشاد في الصمت في أكثر الأوقات كما أن الغنى والفضل في كثرة الكلام الردى الذي لا فائدة فيه .

ومن الوصية على التخلق بالأخلاق الحسنة والبعد عن الصفات الذميمة وصية طريح الثقل لابنه صلت حينما حذره من الوقوع في الصفات التي يعيبها هو على الناس يقول (١) :

وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى امْرِئٍ فِي خَلْفٍ
وَرَأَيْتَهُ قَدْ دَلَّ حِينَ أَنَا هَا
فَاخْذَرْ وَقَوِّعَكَ مَرَّةً نَسِ بِمِثْلِهَا
فَهَيَّئْ عَكَ نُضُوحَهَا وَتَشَاهَا

...

فالشاعر يقول لابنه يا بني إذا لم ترض عن صفة قد اتصف بها شخص ورأيت أن هذه الصفة قبيحة فند أدلتك وحطت من قدره فإنك إن اتصفت بها أو بمسا يشابهها صرت مجالاً للسخرية عند الناس ونسب إليك كل ما يتعلق بهذه الصفة القبيحة صغيرها وكبيرها فاحذر من الوقوع في مثل هذه الصفات التي تعيب من يملكها حفاظاً على مروءتك ومنزلتك .

ويهدى بن الحكم الثقفى يوصى ابنه باجتنب الصفات السيئة مثل البهس والحسد والحقد والظلم يقول (٢) :

(١) شعر طريح من ١١٥ .
(٢) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٦١٣ .

وَاعْلَمْ بِئِنَّيَ فَإِنَّهُ ■ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا ■ يَمَّا يَهْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّهْلُ يُلْزِمُ الدِّينَ تَقْصَا ■ وَقدْ يُلَوِّى الْفَسَادُ
 وَالْبَهْسُ يَمَسُّ أَهْلَهُ ■ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَغَيْرِهِم

...

فالشاعر يقول لابنه : اعلم أن الرجل العاقل الأريب هو من ينتفع بعلمه
 ومعرفته ويسلك طرق الرشاد إذا خبرها ، واعلم أيضا أن الأمور التي تكون نفس
 نظرك حقيرة هي ما تغضب الرجل العظيم وتستثير غضبه ، لأن النار من مستصغر
 الشرر ، وإياك والحسد والحقد على أحد فإنك إن وترت أحدا وحقدت عليه صار
 ذلك دينا له عليك في حقك ، قد يأتي إليك في يوم من الأيام مطالب بدينه فيحتقر
 وينتقص من قدرك ، فابتعد عن هذه الخلقة القبيحة واحذر من البغى فإن كان لك
 خصم فلا تستهن به ولكن لا تبغ عليه وتظلمه فإن من بغى عليه سينتصر في يوم من
 الأيام ويكون الباغي في موقف ذليل لأنه قد يعصف به ويهلكه ، واحذر من
 الظلم فإن الظلم ذمهم المرتع وخيم العاقبة .

أما مسمر بن كدام ^(١) فإنه يوصي ابنه بتجنب المزاح والمراء لأنهما ليسا
 من أخلاق الفضلاء يقول ^(٢) :

أَكْدَامُ إِنِّي قَدْ مَحَفَّتْ نَصِيحَتِي
 فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلَيْكَ عَسْفَتِي
 أَمَا الْمَزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ قَدْ عَمِيَا
 خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِعَدَدَتِي

- (١) هو مسمر بن كدام بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ، عالم من علماء
 الحديث ، ثقة ثبت فاضل ، مات بمكة سنة ١٥٣ أو ١٥٥ هـ .
 انظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣ .
- (٢) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ .

إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْدُهُمَا
لِمَجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَهْبِيقٍ
...

يا بني إني موصيك فاستمع إلى قولي فإنني شفيع عليك وما أريد إلا الخير
واعلم أني مخلص لك في وصيتي هذه فاجتنب فرط المزاج والجدال بغير حق
فإنهما خلقتان لا أرض أن يتصف بهما صديق فكيف بك أنت يا بني ؟ وإنسى
قد جريتهما فلم أجد فيهما خيرا أرتضيه لجار أو صاحب ه فاتبع يا بني وصيتي
هذه وتخلق بأخلاق الفضلاء وابعد عن الأخلاق التي تشينك .

وأثر الإسلام واضح في هذه الوصية حيث أن الشاعر نهى ابنه عن المراء^(١)
وهو من الأخلاق التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث
" أنا زعيم بيوت في رضى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ٠٠٠ الحديث "

وبعد هذه الرحلة مع شعراء الوصايا الأبوية في حثهم ابنائهم على التخلق
بالأخلاق الفاضلة والتحلل بها واجتناب الأخلاق السيئة نرى أنهم قد أوصوهم
بالانصاف بالحلم والائتاة والوفاء وحفظ الأمانة وإتمام الوعد لتؤثر هذه الأخلاق
الفاضلة ويعدون بها وكذلك حثوهم على لزوم الصمت في الموضع الذي يستحسن
فيه ترك الكلام وحثوهم على حفظ السر وأوصوهم أيضا باجتنب الأخلاق السيئة
التي يهيئونها على غيرهم لكي لا يقعوا فيها وأوصوهم أيضا باجتنب العسود
والحقد وحذروهم من البغى والظلم كما طلبوا منهم البعد عن المراء والمزاج .

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب ج ٤ ص ٢٥٤ حديث رقم ٤٨٠٠ نشر دار
الريان سنة ١٤٠٨ هـ .

٨ - الحث على الشجاعة وخوف المكارك :

الشجاعة من الصفات الحميدة التي تدل على قوة بأس المرء وقدته نفس الحروب ه وقد حث الشعراء أبناءهم على الشجاعة والبسالة في المعركة ه لأن الموت لن يخطئ أحدا سواه كان جباناً أم شجاعاً .

فالحارث بن كعب^(١) يوصي ابنه الأثمت بالتقدم في المعركة وعدم الخوف والجبن يقول^(٢) :

أَبْنَىٰ إِنِّ ابْنَاكَ يَوْمًا هَالِكٌ
فاحفظ أباك رياسةً وتقلباً
وَإِذَا لَقِيتَ كَتِيبَةً فَتَقَدَّمَا
إِنِ الْمُدَّامُ لَا يَكُونُ الْأَخِيهَا
تلقى الرياسة أو تَوْتِ يَطْعَنُ
وَالْمَوْتُ يَأْتِي مِنْ نَأَىٰ وَتَجَنَّبَا

...

اعلم يا بني أنى لن أعر في هذه الحياة وسوف تخترمنى يد النون في يوم من الأيام ه فاحفظ مجدى الذى أثلته ولا تضع رياسة القبيلة التى أخذت بزمامها ه وإن كنت في حرب أو لاقاك عدو فلا تخف من الموت وتجنب بل تقدم في المعركة وضارب الأعداء ببسالة ه فان الشجاع لا يخيب أبدا ه واعلم أن عاقبة شجاعتك إما رفعة منزلتك وتقدمك في قومك وإسلاكك بزمام الرياسة عليهم ه وإما الموت مهينة

(١) هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة من مذحج من كهلان جد جاهلى من نسله بنو الدبيان ورواساء نجران وشريح بن هانئ من أصحاب على رضى الله عنه انظر ترجمته في الاعلام ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) المعمرون والوصايا ص ٢٢ .

شرفه في أرض المعركة ميتة شجاع ، لأن الموت إذا نزل بأحد لن يتركه إذا هرب من المعركة أو تجنب مواطن الهلاك فلا بد من أخذه وقبض روحه ، نصبر نفسك على الشجاعة والجلاد في الحرب لكن تفوز بأحد الشرفين الموت ميتة شرفه ، أو التقدم في قومك وقبيلتك .

والشاعر ذو الأصبع المدواني يوصي ابنه على الشجاعة وخوض المعركة الضروس التي يهاب خوفاها الأبطال يقول (١) :

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرَتْ ■ يَوْمًا وَأَرَعَدَتِ الْخَيْلًا
فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْلِ ■ خَشِبَ مِنْ قَهْرَتِهِ التَّكَلُّلًا
وَانْزِلْ إِلَى الْهَجَا إِنْ أ ■ أَبْطَالُهَا كَرِهُوا النَّزُولَ
وَإِذَا دَعَمَتِ إِلَى الْمَهْجَمِ ■ فَكُنْ لِفَادِحِهِ حَمُولًا

...

فدو الأصبع المدواني يوصي ابنه ويقول له : لا تخف من غشيان الممارك والحروب ، بل ادخل غارها بقوة ورباطة جأش ، وإذا رأيت الأبطال يبارز بعضهم بعضا وارتعدت مفاصل المرء من شدة الخوف فتقدم واضرب الأعداء بقوة واعمل السيف في رقابهم حتى تنزوي الأرض بدمائهم ، واهصرهم كما يهصر الأسد فريسته ويخضب بالدم صفحة عبقها ، وإذا الأبطال تهيّبوا من المعركة ومن خوض غارها لغدتها وغراوتها فلا تتراجع وكن أنت فتاها وصاحبها المسك بزمائها وقاتل الأعداء من غير خوف ولا جبن ، وإذا دعاك أحد الى معاونته في أمر صعب مهم فاحمل عنه أنقال هذا الأمر وأعه عليه .

أما الشاعر الأعشى فإنه يخبرنا أن والده قد أوصاه هو واخوته بالشجاعة

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ .

والبسالة في الحروب والقتال يقول (١) :

وَقَاتِلُوا الْقَوْمَ وَإِنَّ الْقَتْلَ مَكْرَمَةٌ

إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ الْمَعْصَمِ الْعُرْفُ

لا ترهبوا لقاء الأعداء يا أبناءى بل تقدموا واضربوا أخافهم واستسلموا ففى القتال عندما ترون الجبان الذليل قد أرخى العنان لفرسه للهرب وأمسك بدهمه أعراف الخيل خشية أن يسقط هـ واعلموا أن القتل فى ساحة المعركة عز وشرف هـ والهروب خشية الموت عار وذلة .

أما يزيد بن الحكم فإنه يعطى ابنه صفات الرجل الذى يستطيع الاستبسال فى الحرب والصبر على شدتها يقول (٢) :

وَالْحَرْبَ صَاحِبُهَا الصَّلْبُ * بٌ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعِزُّ
مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا * وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ
وَأَغْلَسَ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا * يَنْطِيطُهَا الرِّيحُ الْمَوَكُّومُ
وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا النَّأ * هِبْ عِنْدَ كَيْتِهَا الْأَزْمُ

...

يقول الشاعر أعلم يا بنى أن صاحب الحرب هو الرجل الصلب القدير الذى يصبر على شدائدها صاحب العزم القوى المتكامل العدة والسلاح هـ الذى لا يمل ضراسها وعقاضها له بل يزيد ذلك من ضراوته فلا يجبن ويخاف ويهرب عند تكشف الحقيقة واشتداد المعركة التى لا يبقى فيها الا الصحيح القوى .

والحرب يا بنى لا يطيقها الرجل اللول المتسرع لأنها بحاجة إلى رجل صبور يحسن الكر فى موضعه والفر فى موضعه هـ صاحب رأى صائب وبصيرة ثاقبة

(١) ديوانه ص ٣٤٥ .

(٢) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦١٣ .

حسن التدبير خير بمؤون الحرب والقتال ، فاحرص على أن تكون متصفا بتلك الصفات التي تؤهلك لخطر المعارك وقيادتها .

واعلم أن الخيل من أهم مستلزمات الحرب ، وأجود هذه الخيل السريع الذي ينهب الأرض نهبا فهو الذي يصبر ويثبت إذا حصى وطيس المعركة .

وبعد هذه النظرة على عمر الوصايا الأبوية في جانب الحث على الشجاعة والقتال وخطر المعركة نرى أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بالانتصاف بالمجاعة والثبات في الحرب وعدم الجبن والخوف من الموت والفرار من المعركة لأن القتل في الحرب عز وشرف ، والموت لا يترك أحدا فمن دنا أجله سيموت شجاعا كان أم جبانا وبعضهم بين عاقبة الشجاعة وهي إما النصر والفوز بالمعركة وبها سسة القبيلة وعلو المنزلة وإما الموت مهينة كريمة ، وبعضهم ذكر لابنه الصفات التي تؤهل المرء لخطر المعركة وقيادتها مثل الصبر وحسن التدبير وأمره بالانتصاف بها .

١ - وصية الشاعر بناته لراثته والبكاء عليه :

عند ما يحس الانسان بمقدمات الموت يشمر بالخزن والأسى لذلك ه وليس له مفرغه ه ولذلك نجد أن بعض الشعراء يرض نفسه قبل موته وبعض الشعراء يطلب من بناته ويوصيهن بالبكاء عليه حزنا وأسفا لفراقه .

فالشاعر لبيد بن أبي ربيعة رضى الله عنه يخبر ابنتيه بدنو أجله ويوصيهن على رثائه والبكاء عليه من غير حلق شعر أو غش وجه بقول (١) :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَمْعِنَشَ أَبُوهُمَا
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
وَنَائِحَتَانِ تَدْبِيانِ بِحَاقِلِ
أخا ثقة لا عين منه ولا أنز
وفى ابنتي نزار أسوة إن جزعنا
وإن تآلاه تخبيرا فبهيم الخبر
وفيم سواهم من ملوك وسوق
دعائم عرش خانه الدهر فانقمرو
فوقوا وقولا بالذى قد عليتنا
ولا تخيشا وجهها ولا تخلفا فمرو
وقولا هو المرء الذى لا خليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكم
ومن يبك حولك كاملا فقد اعتذر

(١) ديوانه ص ٧١ .

يقول الشاعر تمنى ابنتى أن يطول بقاى ويؤاد فى عمرى ولكن هيهات
فلن يحصل ذلك لأننى من البشر ولا بد أن يخترمنى الموت مهما كانت الحالة
وإن جزعنا يا ابنتى لموتى وفنائى فانظرا إلى من غير قبلى من الرجال سواء
كانوا ملوكا أو سوقة قد اخترمتهم يد المنون ه ولكن عليكما إذا أنا مت ووضعت فى
قبرى أن تحزنا على وتبكياى وتوبئناى بما علمتما من فضائلى وكفى وأياكما وخش
الوجه وابتمدا عن خلق الشعر فذلك أمر لا يجوز وقد حرره الاسلام .

- وهذا مأخوذ من الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم (١) : " ليس
منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " .

وأثنيها على بمحافظتى على الصديق وبعدى عن الغدر ه واحزنا على حولا
كاملا فان من حزن على فراق حبيب ه حولا كاملا فقد اعتذر .

أما أبو فراس الحمدانى فانه يوصى ابنته بالصبر على هذه المصيبة فاعنى موته -
وبأمرها، أن تبكى لفقد ه من خلف سترها يقول (٢) :

ابْنَيْ لَّا تَحْزَنِي ۖ كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ
ابْنَيْ صَبْرًا جَبِيًّا ۖ سَلًّا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْكَأَبِ
نُوحٍ عَلَى بَحْسَرَةٍ ۖ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتَنِي ۖ وَعَهِتَ عَنِ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الْقَبَابِ أَبُو فِرَا ۖ مِنْ لَمْ يَتَّعَ بِالْقَبَابِ
...

فالشاعر يوجه الخطاب لابنته ويقول : يا ابنتى لا يطفى عليك الحزن

(١) صحيح البخارى مع الفتح كتاب الجنائز ج ٣ ص ١٦٣ ، وصحيح مسلم كتاب
الإيمان حديث رقم ١٦٥ ج ١ ص ٩٩ .

(٢) ديوانه ص ٣٦ .

والغم بسبب موتى فكل البشر لا بد أن يموتوا وعليك بالصبر الجميل عند حلول
المصائب العظيمة وابكى لفقدى فى وسط بيتك ومن وراء الستر والحجاب فلا تبكىنى
وسط الرجال الأجانب • وإذا أنت ناديتنى ولم أقدر على الإجابة والرد فقوللى
بأس وحسرة لقد مات أبى أبو فراس فى أوج شبابه وقوته ولم يمتع به •

١٠ - الحث على اختيار الزوج الصالح :

من الوصايا التي وجهها الشعراء لابنتهم الوصية على اختيار الزوج الصالح
الكريم إذا ما خبرت البنت بين رجال عديدين .

والشاعر البراء بن قيس ^(١) قد وضع لابنته صفات الرجل الذي يجب أن
تحرس الفتاة على الاقتتران به إذا ما خبرت به وعليها أن توافق أن يكون قهرنا
لها وزوجا وهو الرجل الكريم الشجاع وعليها أن تعتمد عن الرجل الجبان يقول ^(٢) :

فإن أنتِ خُوتِ الناكِحِ فانكبي
على أمِنِ الدهرِ المصْبِحِ ناعبه
ولا تنكبي جنباً عاماً مُلْعَناً
مُدِيداً على الجارِ المُلاصِقِ جانبَه ^(٣)
ولا بطناً لا يَبْرُجُ الدهرُ قاعِداً
عَبُوساً إذا ما الضيفُ حطَّتْ رَكَائِبُهُ
حرامٌ عليه الدهرُ يَبْرُجُ يَتَنَهَا
فَقَدْ فُرِحْتَ من الفَرَّاشِ مَنَاقِبُهُ
ولكن فَتَى ذَا نَجْدَةٍ وساحِلَةٍ
يَحُتِّبُ إلى أَمْرِ العَفِيفَةِ رَاكِبُهُ
...

يقول الشاعر لابنته : أيما ابنتي إذا ما جاءك رجال يخطبونك للزواج بلك

(١) هو البراء بن قيس بن عتاب بن هروم بن رباح بن يربوع بن زهد مناة بن
تهمم شاعر جاهلي . . . لم أجد له سوى هذه الترجمة في كتاب شعر
تهمم في العصر الجاهلي ٢٣٨ .

(٢) الحماسة للبحتري ص ١١٠ .

(٣) عابا : العباء العن الثقيل الأثقل .

فاختارى الرجل الكرم ذا الفأل الحسن ، ولا تختارى الرجل اللئيم الأحمق
البخيل الذى يلعنه كل من عرفه أو نزل عنده ، سيء المعاملة مع الجار الملاصق
لداره ، واحذرى أيضا من الجبان الذى لا ينادى البيت ولا يهرج عنه قد تقرحت
مناكه من طول الاضطجاع فى الفراش فهو خامل كسول ومع ذلك يخيل إذا ما
نزل به ضعف لم يهش له ولم يستقبله استقبالا حسنا وإنما يمحس فى وجهه ، ولكن
عليك بالفتى الجلد الصجاع صاحب النجدة والمروءة والكرم الذى إذا ما حُزب
عشيرته مصيبة هب لنجدتها من غير توان ولا كسل ولا خوف فهذا هو الرجل
الذى ينبغي للفتاة أن تختاره فاختارى أنت صاحب هذه الصفات وقد يسه
على غيره .

ولم أجد فى هذا البحث سوى هذه القطعة .



الفصل الثالث
سورة صافات

١. المؤمن على نفوى الله والخوف منه .
٢. التزهد في الدنيا والتذكر باليوم .
٣. الخس على عمل الصالحات والاحتساب الجليل .
٤. المؤمن على القناعة والرضا بما قسم الله .

الوصايا الدينية

من الاتجاهات التي اتجه إليها شعر الوصايا " الوصايا الدينية " وهو غرض سام لما تضمنه من معان دينية عظيمة تحفز المسلم على عمل الخير والخوف من الله وتوجهه إلى ذلك .

وأقصد بالوصايا الدينية هي تلك القوائد أو المقطوعات التي يوجهها الشعراء إلى المسلمين يحثونهم فيها على تقوى الله سبحانه وتعالى وعمل الطاعات وأداء الواجبات واجتناب المعاصي ويذكرونهم فيها بالموت وزوال الدنيا ويهدونهم فيها .

وقد نشأ هذا الاتجاه الشعري الذي يحث على تقوى الله والتمسك بالدين الاسلامي الحنيف بعد مهت النبي صلى الله عليه وسلم واستمر الشعراء في النظم بهذه المعاني حتى وصل ذروته في العصر العباسي الأول .

وهذا الاتجاه داخل في غرض الزهد ولكن لن أتحدث عن الزهد عامة وسأكتفي بما له علاقة بالوصايا كما سأبينه فيما يأتي إن شاء الله .

١ - الحث على تقوى الله والخوف منه :

لقد أوصى الشعراء المسلمين بتقوى الله سبحانه وتعالى لأن تقوى الله ومخافته هي رأس كل أمر وهي أعظم زاد يتزود به المؤمن في هذه الحياة الدنيا .

فالخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي المسلم بتقوى الله سبحانه وتعالى وأن يجعل ذلك أعظم زاد له قبل موته يقول (١) :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَزَوُّدًا
وَلَقَدْ تَفَارَقَهَا وَأَنْتَ مَوَدَّعٌ
وَاهْتَمَّ لِلشَّغْرِ الْقَرِيبِ نَائِبًا
أَنْتَأَى مِنَ الشَّغْرِ الْبَعِيدِ وَأَهْنَعُ
وَأَجْمَلُ تَزَوُّدِكَ الْمَخَافَةُ وَالتَّقْوَى
فَلْعَمَلٌ حَتَفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
...

فابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : يأبىها المسلم تزود من هذه الحياة الفانية قبل أن تودعها وترحل عنها إلى الدار الآخرة فإنك مسافر إليها لا محالة ، وليكن أعظم زادك تقوى الله سبحانه وتعالى ، والخوف من عذابه وعقابه فتقوى الله والخوف منه أجل عمل وأعظم زاد .

أما النعمان بن بشير الأنصاري (٢) فإنه يصور أهوال يوم القيامة وخصوصا

(١) شعر الخلفاء ص ٥٦ .

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري هو وأبوه صاحبان وأمه عمرة بنت رواحه أخت عبد الله رواحه رضي الله عنه ، ولد في السنة الثانية من الهجرة وسبع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث ، وهو من المعروفين في الشعر سلفا وخلفا فجدّه شاعر وأبوه شاعر

النار ليعذب المسلمين على الخوف من الله وتقواه فهو المستحق لذلك وحده يقول (١) :

فَدَأْتَكُمْ مَعَ النَّبِيِّ كِتَابٌ
صَادِقٌ تَقْفَمِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْذَرُوا عَمْرًا يَوْمَ
تَقَطَّرُ عَذَابُهُ مَقَهُودُ
فَطَعَامُ الْقَوَاةِ فِيهَا ضَرِيجٌ
وَشَرَابٌ مِنَ الْحَمِيمِ صَدِيدُ
كَلَمًا أُخْرِجَ اللَّعِينُونَ فِيهَا
مِنْ عَذَابٍ غَمٌّ أَعْمَدُوا
وَإِذَا قَبِلَ هَلْ تَقَارَبَ فِيهَا
قَالَتِ النَّارُ هَلْ لَدَيْكُمْ مَزِيدُ

...

فالشاعر يوصي المسلمين ويقول لهم : " قد أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه القرآن الكريم المنزل من عند رب العالمين الذي تقفمِر منه جلود المؤمنين وقلوبهم إذا سمعوه ، فاتقوا الله أيها المؤمنون واحذروا من عذابه يوم القيامة وخافوا من النار وحاذروا أن تقعوا فيها فإنها مأوى الكافرين ، فليس لهم فيها طعام ولا شراب إلا طعام أمر من الصبر لا ينفع شيئا، وشراب من صديد أهل النار وقبحهم .

وإذا أُخْرِجَ منها اللعِينون أعيدوا فيها مرة أخرى نكاية بهم ، وإذا هبست ظلمت هل امتلأت ردت مجيبة هل من أحد باق هل من مزيد .

وعمه شاعر وهو شاعر وأولاده وأولاده شعراء ، كان من أصحاب معاوية رضي الله عنه فولاه الكوفة مدة ثم ولي قضاء دمشق ثم ولي إمرة حمص توفي مقتولا سنة ٦٤ للهجرة بعد موقعة مرج راهط .
انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٥٣ والأغانى ج ١ ص ٦٨ وسير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١١ .

(١) شعر النعمان بن بشير الانصارى ص ٨٨ تحقيق د / يحيى الجبورى ، نشر دار القلم ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

وقد تأثر الشاعر في هذه الأبيات بالقرآن الكريم ولا عجب فهو يعالج موضوعاً إسلامياً صرفاً فلذلك ضمن أبيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى " لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَدِيعٍ لَا يَمَسُّنَ وَلَا يَنْفَعُنِي مِنْ جُوعٍ " (١) وقوله " كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " (٢) وقوله " يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ " (٣) .

ويستمر الشاعر في تصويره ليوم القيامة وأحواله مخوفاً المؤمنين لكي يتقوا الله سبحانه وتعالى ويرجوه يقول (٤) :

وَتَرَى النَّاسَ يُحْشَرُونَ مِنَ الْكَرِّ * بِسُكَارَىٰ بَلِ الْعَذَابُ مُهِدٌ
وَقَفَ النَّاسُ لِلْحِسَابِ جَبِيماً * فَهَقُّ مَعْذِبٌ وَمَسْمُومٌ
وَالنَّبِيُّونَ حِنْدَةٌ يَمُكَّانِ * فِي عِلَاقٍ وَالصَّالِحُونَ قُمُودٌ
رَحْمَةُ اللَّهِ يَوْمَ ذَاكَ تَنْجِسُ * مَنْ نَجَا مِنْ عَذَابِهِ وَالْجُدُودُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ فُزُورٌ * بَعْدَهَا الْفَصْلُ بَيْنَكُمْ وَالْخُلُودُ
...

فالناس يوم القيامة مذ هولون من شدة كرب هذا اليوم وكأنهم سكارى وهم ليسوا بسكارى ولكن عذاب الله شديد * وقد وقف الناس جميعاً في هذا اليوم أمام الله سبحانه وتعالى للحساب فالناس بين معذب بالنار أو سعيد برحمة الله ودخول الجنة * وترى النبيين في مكان عليّ عند الرحمن وترى الصالحين قُموداً حولهم ولن ينجى الإنسان من عذاب ذلك اليوم إلا رحمة الله سبحانه وتعالى وعونه ومغفرته .

-
- (١) سورة الغاشية : الآيتان رقم ٦ و ٧ .
(٢) سورة الحج آية رقم ٢٦ .
(٣) سورة ق آية رقم ٣٠ .
(٤) شعره ص ١٠ .

تلك هي الحياة الباقية ، أما هذه فهي الحياة الفانية فما الحياة الدنيا
إلا ذاهبة زائلة يأتي بعدها الفصل والحساب في الحياة الباقية .

واعلموا أن الفوز بالمغفرة والمغفرة من الله في ذلك اليوم لن يحصل إلا
لن خاف الله سبحانه وتعالى واتقاه وعمل ما أمر به واجتنب ما نهى عنه ، فاعلموا
أيها المسلمون ذلك لكي تحصلوا على هذه النعمة العظيمة وتفوزوا بها .

وتأثر الشاعر بأبيات القرآن واضح فقد ضمن أبيات عديدة مثل قوله
تعالى : " وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ هَٰذَا ۖ " (١) وقوله
تعالى : " يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَسَمِيدٌ " (٢) .

وذلك راجع إلى تأثير الاسلام القوي في نفس الشاعر رضى الله عنه وامتزاج
معاني القرآن بروحه وتعلق قلبه بها ما جعله يقتبس الغرض الذي تحدث فيه
والمعاني التي نظمها من القرآن الكريم .

وللشاعر قصيدة أخرى يوصي فيها بتقوى الله سبحانه وتعالى -أيضا- ولكن في
هذه القصيدة يحدد بعض نعم الله التي أنعم بها على عباده لكن يبين للناس
أن صاحب هذه النعم هو المستحق للعبادة والتقوى وحده ، يقول (٣) :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ أَنَا كُنْتُ رَسُولُهُ
يَقُولُ حَكِيمٌ صَادِقٌ ثُمَّ وَصَّاهُ (٤)
وَيَلْفِكُمْ مَا قَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْهُدَى
وَعَمَّ عَلَيْكُمْ بِالنَّدَا وَنَدَدَا

-
- (١) الحج آية رقم ٢ .
(٢) هود آية رقم ١٠٥ .
(٣) شعر النعمان بن بشير ص ١٣ .
(٤) التوحيد : التحذير .

فَلَا تَكْ صَدَادًا عَنِ الْقَصْدِ وَالْهُدَى
أَمُّمٌ إِذَا تَدَعَى إِلَى الْحَقِّ أَصْبَدَا
عَلَيْكُمْ بِعَادَاتِ التَّقْوَى وَاتِّبَاعِهَا
وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
فَكَيْفَ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ كَانَ عَلَيْكُمْ
ظِلَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَرْمَدَا
مِنَ الْخَالِقِ الْبَارِي لَكُمْ كِبَارِكُمْ
نَهَارًا يَجْلِسُ لَيْلَهُ الْمُتَعَدَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ رِزْقَهُ
أَتَاكُمْ بِرِزْقٍ مِثْلِهِ غَيْرَ أَنْكَدَا

...

فالتَّحْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ يَوْسَى الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ لَهُمْ : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ لَكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هـ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَأَنْزَلَ
مَعَهُ الْقُرْآنَ فِيهِ مَوْعِظَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ هـ وَبَلَّغَكُمْ مَا أَرْسَلَ بِهِ إِلَيْكُمْ ثُمَّ حَذَّرَكُمْ مِنْ عِقَابِ
اللَّهِ وَعَذَابِهِ فَلَا تُحِيدُوا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ هـ وَلَا تَصْبُوا أَذَانَكُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ هـ
وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَخَافُوا مِنْ عِقَابِهِ وَاعْمَلُوا الْخَيْرَاتِ وَاتَّخَذُوا عَلَيْهَا
فَان كُلِّ أَمْرٍ شَائِرٍ عَلَى مَا اتَّخَذَ عَلَيْهِ هـ

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ التَّقْوَى وَالْعِبَادَةَ وَحْدَهُ هـ
فَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيْنَا نِعْمًا كَثِيرَةً لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْصِيَهَا هـ فَهُوَ الَّذِي فَلقَ لَنَا الصَّبْحَ
فَكَيْفَ الْحَالُ بِنَا لَوْ أَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ هـ لَمَنْ الَّذِي سَيَأْتِنَا
بِنَهَارٍ نَسِيرُ فِيهِ هـ وَمَنْ الَّذِي سَيَرْزُقُكُمْ مِنْ غَيْرِ مَنَّةٍ وَلَا نَكْدٍ إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ بِالرِّزْقِ
فَاللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ هـ

ثُمَّ يَتَابِعُ الشَّاعِرُ تَعْدَادَهُ لِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّتِي مَنَحَهَا

عباده لهشكروه ويمجدوه وحده يقول (١) :

مَرَجَتْ لَنَا الْبَحْرَيْنِ بَحْرًا شَرَابًا
فَرَأَتْ وَبَحْرًا يَخِيلُ الْفَلَكَ أَسْوَدًا
أَجَاجًا إِذَا طَابَسَتْ لَهُ رِيحُهُ جَرَّتْ
بِهِ وَتَرَاهَا حِينَ تَسْكُنُ رَكْدًا
فَمَا يَنْكُمُ مَخْصٍ لِنِعْمَتِي رَبِّهِ
وَإِنْ قَالَ مَا شَأْنُ أَنْ يَقُولَ وَوَدَّ دَا
سَوَى أَتْنَاهَا عَمَتَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
لَا لِقَلِيلٍ ذِي فَضْلٍ وَأَحْسَنِهِ مَدَا
سَجَّعَلْ جَنَاتِ النَّعِيمِ لِهَاتِكُمْ
إِذَا مَا التَّقِيْتُمْ أَيْكُمُ كَانَ أَسْعَدَا
تَوَابًا بِمَا كَانُوا إِلَى اللَّهِ قَدَمُوا
يُحَلِّقُونَ فِيهَا لَوْلُوهَا وَزَبَرَجَدَا
لَهُمْ مَا اشْتَهَتْ فِيهَا النُّفُوسُ وَلِلَّهِ
الْعِیُونَ فَكَانَتْ مُنْتَفَرًا وَمَقْعَدَا

...

فالشاعر يكمل حديثه ويقول : والله سبحانه وتعالى هو الذي مرج لنا
البحرين لا يختلط أحدهما بالآخر فبحر فوات مائع شرابه وبحر أجاج تسير
عليه الفلك فإذا جرت الريح سارت السفن وإن سكنت الريح توقفت .
وإن أراد أحد أن يحصى نعم الله سبحانه وتعالى على خلقه فلن يستطيع
وإن أجهد نفسه بالعد والحساب ، إلا أنها قد عمت الخلاق كلهم .

واعلموا أيها الناس أن من أحسن واتقى الله سبحانه وتعالى سيجعل ما
 ماواه الجنة جزاء لما قدمه في الحياة الدنيا من أعمال وطاعاته وفي الجنة ما
 تشتهيهِ الأنفس وتلدُّ الأعين وذلك للذين يتقون ربهم ويخافون عذابه .

وفي هذه القصيدة أيضا من الشاعر آيات قرآنية عديدة مثل قوله تعالى :
 " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرَدًا إِلَى يَوْمِ الْبَيَاةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
 يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ " (١) وقوله تعالى : " أَمِنَ هَذَا الَّذِي يُرْوَدُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
 رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُكُورٍ " (٢) وقوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا
 عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا " (٣) وقوله
 تعالى : " وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا " (٤) الآية . وقوله تعالى
 " إِذْ خَلَوْا لِلْجَنَّةِ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
 وَفِيهَا مَا تَشْتَهُوهُ الْأَنْفُسُ وَتَلْدُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٥) .

والفضل بن العباس المبرهن يرى أن تقوى الله سبحانه وتعالى هي
 الحزم وفيها الرشاد فهو يرى المرء بذلك يقول (٦) :

وَالْحَزْمُ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ
 تَرَقُّدٌ وَلَيْسَ لِفَاجِرٍ حَزْمٌ
 خَيْرُ الْأُمُورِ مَبِيتَةٌ وَهَبَادَةٌ
 تَقْوَى إِلَهِهِ وَقَرُّهَا الْأَنْسُ

(١) سورة القصص آية رقم ٧١ .

(٢) سورة الملك آية ٢١ .

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٥٣ .

(٤) سورة إبراهيم آية رقم ٢٤ .

(٥) سورة الزخرف آية ٢٠ - ٢١ .

(٦) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٣٣ .

* هو الفضل بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نضرة بن معد بن تميم بن مر بن أد بن طابخية بن أسد بن عبد مناف .

فاطم أيها الانسان أن من ضَيَّطَ الأمر وحسن الرأي تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه لأن في ذلك الرشاد والسير على الطريق السوي فخير الأمور عاقبة تقوى الله سبحانه وتعالى، فعاقبتها المغفرة والعفو منه جل وعلا .

أما الفاجر الكافر فلنيس له حزم ولا معرفة بالأمر الصالحة فلو كان عنده صحة من عقل يفكر به تفكيرا سليما لأفْلَحَ عما هو سادر فيه من غي وكفره ففسر الأمور عاقبة المعاصي والآثام فالله سبحانه وتعالى محاسب الناس على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وهذا غير بن الحميم النجرائي ^(١) يوصي أهل نجران بالتمسك بهدي الله سبحانه وتعالى لأن ذلك من تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ويحذوهم من الشك والرتبة يقول ^(٢) :

أَهْلَ نَجْرَانَ أَسْكُوا بِهَدَى اللَّهِ
 — وَكُونُوا يَدًا عَلَى الْكُفَّارِ
 لَا تَكُونُوا بَعْدَ الْبَقِيَّةِ إِلَى الْفُ
 شْكَ وَتَعْنِدَ الرِّضَا إِلَى الْإِنْكَارِ
 وَاسْتَقْبِمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ فِيهِ
 وَكُونُوا كَهَيْئَةِ الْأَنْصَارِ

...

فيا أهل نجران تمسكوا بالهدى ودين الحق وكونوا يدا واحدة على أعدائكم

(١) هو غير بن الحميم النجرائي ذكره ابن حجر وقال عنه : ثبت يوم الردة ودعى قومه أهل نجران إلى التمسك بالاسلام والثبات عليه ولم يُثَبِّتْ له صحة انظر الإصابة ج ٥ ص ١٦٠ .

(٢) الإصابة ج ٥ ص ١٦٠ .

من الكفار فلا تردوا عن الدين الحنيف فكيف ترجعون إلى الهك بعد أن أيقنتم وأمنتم ، وإلى الانكار بعد أن رضيتم بالإسلام ديناً ، فذلك خزي وعار في الدنيا والآخرة ؛ ولكن استقيموا على الطريق السوي وتمسكوا بالدين الحنيف وكونوا كالأنصار في تمسكهم بالإسلام وثباتهم عليه ومناصرتهم له .

أما طريح بن اسماعيل الثقفي فإنه يوصي المرء بأن يجعل التقوى دثاره يقول (١) :

فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ وَاجْمَلْ أَمْرَهَا
دُثْرًا وَدُونَ حِمَارِكَ الْمُسْتَفْعِرِ

فإنها المسلم اتق الله سبحانه وتعالى ولتكن التقوى السمة الغالبة عليك في كل شئوك فاجعلها غطاء لك والبسها تحت لباسك الظاهر .

أما أبو المتاهية فإنه يحث المسلم بأن يتمسك بتقوى الله حتى يتوفاه الله ويوصي المسلم بتجنب الأخلاق القبيحة لأن ذلك من تقوى الإله يقول (٢) :

تَمَسَّكَ بِالتَّقَى حَقَّ تَوَنُّسًا
وَلَا تَدْعِ الْكَلَامِ أَوِ السَّكُونِ
وَقُلْ حَسَنًا وَأَمْسِكْ عَنْ قَبِيحٍ
وَلَا تَتَفَكَّ عَنْ سُوءِ صَوْنِ
لَكَ الدُّنْيَا بِاجْتِمَاعِهَا كَمَالًا
إِذَا عُرِفَتْ ثُمَّ أَصْبَتْ قُوْنًا
إِذَا لَمْ تَحْتَفِظْ بِالْقِسْرِ يَوْمًا
فَلَا تَأْمَنَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ

(١) شعره ص ٨٩

(٢) أبو المتاهية أشعاره وأخباره ص ٦٦ .

فالشاعر يقول : تمسك أيها المرء بتقوى الله سبحانه وتعالى ما دمت نفس
هذه الحياة الدنيا ، فإن في التقوى الغفران والرحمة ، واجعل تقوى الله سبحانه
وتعالى شعارك في كل أمورك فلا تتحدث إلا بالخير والقول الحسن ، والـسـنـم
الصمت عن ذكر المعاصي وعن كلام الفحش والسوء ، فإن الإنسان إذا عوفى في بدنه
وأصاب قوت يومه فكاننا ظفر بالدنيا أجمعها ، وأعلم أنك إن لم تحافظ على
أموالك وحاجاتك فأتت عليك وذهبت عك ، ولكن انفق منها في وجوه الخير فالانفاق
في سبيل الله من أجل القربات ومن الأمان الآمنة التي لا يضيع فيها شيء .

فاجعل أيها الإنسان تقوى الله سبحانه وتعالى في كل شيء من أمرك نفس
سكوتك وفي كلامك وفي انفاقك وفي إيساكك .

وقد ضمن الشاعر قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم
أمنًا في سريره معاني في جسده غده قوت يومه فكاننا حيزت له الدنيا بحذائيرها .
(١)

وبعد .. مضينا مع شعراء الوصايا الدينية في جانب الحث على تقوى
الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه ، نرى أن الشعراء قد أوصوا بذلك لأن
تقوى الله والخوف منه رأس كل أمر وخير زاد يتزود به المسلم من هذه الحياة
الدنيا .

وقد صور بعضهم أهوال يوم القيامة والعذاب والنار لكي يتق المسلمون
الله ويخافوه ويرجوا ثوابه فهو المستحق لذلك وحده . وبعضهم عدد بعض
النعم التي أنعم الله بها على عباده لكي يذكر المسلمون بها ويعبين لهم

(١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ج ٤ ص ٥٧٤ تحقيق إبراهيم عطوه نشر دار
أحياء التراث العربي وسنن ابن ماجه كتاب الزهد حديث رقم ٤١٤١ ج ٢
ص ٣٨٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار أحياء التراث العربي .

أن صاحب هذه النعم هو الذى يجب أن يتقيه المسلم ويرجوه ويخافه ، وقد
بين القمراء ذلك أن تقوى الله سبحانه وتعالى هى الحزم والرأى
الحسن ونهجها الخير والنجاح للمسلم فى الحياة الدنيا والآخرة .



٢ - الترهيد في الدنيا والتذكير بالموت :

لقد حث الشعراء على الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذاتها ومغشواتها والإقبال على العمل الصالح وذلك لأن الدنيا دار مرر وليست بدار مقره وقد ربط الشعراء بين الزهد في الدنيا والتذكير بالموت لأن الموت سبيل كل حي فما الداعي للتكالب على الدنيا والإنسان سيئوت ويترك كل ما جمعه في هذه الحياة ولن يأخذ معه شيئاً إلا العمل الصالح إن كان عمله في الدنيا .

فأسامة بن زهد الجلي يوصي المرء بأن يتذكر الموت ويجعله نصب عينيه فيعمل الخير ويتجنب الشهوات والمعاصي والذنوب يقول (١) :

لَا تُصَيِّعَنَّ وَلَا تَبْهَتَنَّ لِهَلَاةٍ
وَالْمَوْتُ يُصَيِّعُ غَادِيًا وَهُوَ وَبٌ
إِلَّا كَأَنَّكَ قَدْ دَعَاكَ وَإِنَّمَا
طَرَفُ الْحَيَاةِ مِنَ الْمَتِّ قَرِيبٌ
إِنَّ النَّفْسَ وَهَّائِينَ تُكْمِسُ بِهَا
فَاعْمَلْ فَإِنَّ فَكَاكُهَا دَوُوبٌ

...

فاعلم أيها الإنسان أن الموت غاد ورائع بين الناس فمن تركه في هذا اليوم سيمود إليه في يوم آخر لا محالة . فلا تنزل أيها المرء ذاكرة الموت في صباحك ومساءلك . فإن طرف الحياة قريب من الممات . واعلم أن نفوسنا رهائن قد كسبنا إياها وسيفك الرهن وتتوخد الأرواح . فاعمل الأعمال الصالحة التي تفرك من الله . وابتعد عن مباحج الدنيا وبهارجها الزائلة .

(١) الحماسة للبحتري ص ١٢٧ .

وحميد بن ثور السهلاي (١) يوصي الإنسان أن لا يأمن الموت فلهو في هذه الدنيا بل عليه أن يأخذ حذره منه يقول (٢) :

فَلَا تَأْمَنْ بِمَيَاتِ الْمَوْتِ
وَكُنْ حَذِرًا حَذَّ أَظْفَارِهَا
فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَا أَسَارَتْ
مِنْ الْقَوْمِ عَادَتْ لِأَشَارِهَا (٣)
...

فالشاعر يقول : فلا تلهك الدنيا ولمذاتها أيها المسلم ولا تنسك الموت فإن المنية قريبة للمرء . فاحذر حد أظفارها وقوتها فإنها عديدة ، واتق الله واعمل ما أمرت به لكي تستعين به على أخراك ، واعلم أن المنية إن أبقت أحدا من الناس في هذا اليوم ستعود مرة أخرى لما أبقتة وستأخذه مثل سلفه .

وهذا كرز بن عبيدة (٤) يوصي الإنسان بالاجتهاد في عمل البر والخير وأن لا يؤمل طول البقاء بل عليه أن يعد نفسه مع الأتوات في أي لحظة من اللحظات يقول (٥) :

(١) هو حميد بن ثور بن عبد الله بن بني عامر بن صعصعة شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام ، كان أحد الشعراء الفصحاء وكان كل من حاجاه غلبه وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعاش إلى خلافة عثمان ، عده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الإسلاميين .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٨٣ والشعر والشعراء ج ١ ص ٣١٧ والأغانى ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٢) ديوانه ص ٩٦ صنعة الاستاذ عبد العزيز الهميني ، نسخة بصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٧١ هـ نشر دار القومية للطباعة ، القاهرة .
(٣) أسارت : أبقت .

(٤) هو كرز بن عبيدة شاعر إسلامي يبدو ذلك من استلهامه وتضمنه لمعنى الآية (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) في شعره لم أجد سوى هذه الترجمة في كتاب شعر طي ، في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٦٢٠ .
(٥) شعر طي ، وأخبارها في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٦٢٠ .

اعْمَلْ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَقَطَّتْ وَعْدَهَا
 مَا عَقَبَتْ مُبْتَدِئًا مَعَ الْأَمْوَاتِ
 وَالْمَوْتُ فَاعْلَمْ غَايِبٌ لَا يَبْدَأُ أَنْ
 يَأْتِيَ وَإِنِّي إِلَيْهِ إِلَى مِيقَاتٍ
 فِي سَاعَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَرَتِّبٌ
 يَرْجَى وَلَا مُتَقَدِّمٌ لَوْ فَاءِ

...

فالشاعر يقول موصيا المرء المسلم : اجتهد في عمل البر والطاعات قدر
 مستطاعك أيها الانسان ه فانك لا تدري متى ستوت ه فاعمل عمل إنسان مودع ه وعد
 نفسك ميتا مع الأموات طوال حياتك ه فلا تغفل عن ذلك ه فهاتيك الموت وأنت
 سادري غيك آمن من الموت ه واعلم أن الموت غائب عن المرء لا يدري متى يصيبه
 ولكنه لا بد أن يأتي وإذا جاء فلا ينفع المرء شي في تلك اللحظة فلا يقدم أجله ولو
 ساعة واحدة ولا يؤخر .

أما سابق البربري فإنه يوصي المسلم بترك ملذات الدنيا وعدم الاقبال عليها
 لأن الموت له بالمرصاد يقول (١) :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَافٍ
 وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنٌ
 تَعْنَى بِمَا تَكْفَى وَتَتْرَكَ مَا بِهِ
 تَعْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنٌ
 أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعِ أَهْلِهَا
 فَاعْمَلْ لِمَا يَوْمَ يَفْراقُهَا يَا حَافِئِ

واعلم بِأَنَّكَ لَا أَمَالَكَ فِي السَّيِّئِ
 أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ
 يَا عَايِرَ الدُّنْيَا ائْتَمِرْ مَتَزَلًا
 لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ النِّيَّةِ مَا كُنْ
 الْمَوْتُ هُوَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ
 حَقٌّ وَأَنْتَ يَذْكُرُهُ مَتَهَانُ
 إِنَّ النِّيَّةَ لَا تُؤَمِّرُ مَنْ أَنْتَ
 فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَمْتَدِّدُ
 ...

فقضاء الله سبحانه وتعالى سبق بما هو كافٍ في هذه الحياة الدنيا حتى
 يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى ضامن أرزاق الناس جميعا ، فكيف تنهات أفعالها
 المرء على جميع المال وتستغل بذلك والله سيحكمك رزقك .

وما أمرك الله القيام به من عبادته وطاعته تنهون به كأنك آمن من
 حوادث هذه الدنيا وغوائلها ، أفلا تتعظ بتقلب أحوالها ، وموت أهلها .
 فاعمل الأعمال الصالحة استمدادا ليوم الفراق يا أيها الانسان اليه الهت فسان
 أجلك حائن .

واعلم أيها الانسان أن الذي اتعبت نفسك في جمعه ، وأخيت عمرك في كسبه
 سيصبح لغيرك من بعدك ، وليس لك منه الا ما أنفقته في سبيل الله ، وأراك أيها
 الإنسان تعمر المنازل الفسحة ، وأنت ستموت وتفارق ذلك ، فالهوت حقيق
 سيصيب كل انسان وأنت عالم بذلك ولكلك بذكركمتهان " واعلم أن الموت لا يستأذن
 من أحد إذا أتى فهو واقع لا محالة ، فاستعد له الاستعداد الحسن .

والامام عبد الله بن المبارك يحذر الناس من الموت ويوصيهم بالغسل الصالح والاجتهاد فيه يقول (١) :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ عُسْبٌ * يَحْصُدُهُ الْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ الْمَرَّةَ عَدَّ فَاقْتِنِهِ * إِلَّا الَّذِي فِي حَيَاتِهِ فَرَعَا

...

فيا أيها الناس هبوا من غفلتكم واعلموا ليوم معادكم فإن الموت لكم بالمرصاد وسأخذكم على حين غفلة من أمركم ، واعلموا أنكم موقوفون بين يدي ربكم للجزاء والحساب وستعرض عليكم أعمالكم وتجاوزون عليها ، فارعوا الخير في حياتكم لتحصدا ثمرتها يوم حسابكم فلن يجد الايمان هناك إلا ما قدمت يداه .

أما الامام الشافعي فانه يوصي المسلم بترك التعلق بالدنيا والاقبال على الآخرة لكي يضمن الخلود بالجنة يقول (٢) :

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا
يُنْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارَا
هَلَّا تَرَكْتَ لَذَى الدُّنْيَا مَعَانِقَهُ
حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَشْكُهَا
فَتَبْتَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمِنَ النَّارَا

...

يقول يا أيها العاصق لهذه الدنيا الهائم بها الذي يضيغ وقته في جمع الأموال ويكثر الترحال لذلك ، هلا تركت التعلق بالدنيا ، وأقبلت على الله

(١) ديوانه ص ٥٥ .

(٢) ديوانه ص ٤٢ .

وعملت لهم الحساب لكن تعانق الإبتكار من الحور العين في جنة الفردوس ه فإن
كنت تهتد الخلود أيها المسلم في جنات الخلد فخف من النار ه وأترك ملذات
الدنيا ه

وأبو العتاهية يوصي المرء المسلم بتجنب الفسوات والملذات والعمل للدار
الآخرة ويحثه على التواضع وعدم التكبر يقول (١) :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٌ يَقَا
كَفَاكَ بَدَارِ الْمَوْتِ دَارٌ قَنَاءُ
فَلَا تَعْدُقِ الدُّنْيَا أَخَى فَإِنَّمَا
تَرَى عَاطِقَ الدُّنْيَا وَجْهَ بِلَاءِ
حَلَاوَتِهَا مَزُوجَةً بِمَرَارَةٍ
وَرَاحَتِهَا مَزُوجَةً بِعَنَاءِ
فَلَا تَمْنِ يَوْمًا فِي شِبَابٍ مَخِيلَةٍ
فَإِنَّكَ مِنْ طِينٍ خُلِقْتَ وَمَاءِ
لَقَلَّ أَمْرُؤُ تَلْقَاهُ لِلَّهِ شَاكِرًا
وَقَلَّ أَمْرُؤُ يَرْضَى لَهُ يَقْفَاهُ

...

فالشاعر يقول : اعلم يا أخى أن هذه الحياة الدنيا ليست بدار إقامة فلماذا
تعمل جاهدا لصارتها وتضيق عرك في إحيائها والتهافت على ملذاتها وشبهاتها ه
وتترك ما أمرك الله به من الواجبات والطاعات ه مع أن الدار الآخرة هي دار البقاء
والإقامة ه

فلا تعدق يا أخى هذه الدنيا فإن عاقبتها دائم السقام ه واعلم أن حلاوة

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢ ه

هذه الدنيا مزوجة بالمرارة فهي ليست خالصة نقية وكذلك الراحة فيها مزوجة بالتعب والجهد على العكس تماما من حلاوة الجنة وراحتها فلا مفرجات ولا أحزان .

واحذر الكبر والخيلاء لا يمكن من أخلاقك فإنما أنت مخلوق من ماء وطين واشكر ربك على ما أنعم به عليك وأرض بقضائه وقدره تغز برضاه وجنته إذ قلما تجد انسانا شاكرا لله على ما أعطاه وراضيا بما قضى الله عليه .

وللشاعر أبيات أخرى يحذر فيها من الموت والتهافت على الدنيا ويحث المرء على العمل قبل الممات وعلى محاسبة النفس يقول (١) :

أَفَنِي فَيَاكَ كَرَّ الطَّرْفِ وَالنَّفْسِ
فَالْمَوْتُ مَقْتَرِبٌ وَالذَّهْرُ ذُو خُلْسٍ
لَا تَأْمِنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ
وَإِنْ تَنَمَّتَ بِالْحَجَّابِ وَالْحَرَسِ
فَمَا تَزَالُ سِهَامُ الْمَوْتِ نَافِذَةً
فِي جَنْبٍ تُدْرِعُ مِنْهَا مِصْرِينَ
أَرَاكَ لَمَسْتَ بِسُوفَايَ وَلَا حَذِيرٍ
كَالْحَاطِطِ الْخَاطِطِ الْأَعْوَادِ فِي الْفَلَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكَهَا
إِنْ الشَّقِيَّةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْهَبَسِ
أَنْ لَكَ الصَّخْرُ مِنْ سُكْرِ وَأَنْتَ مَتَى
تَصِحُّ مِنْ سَكْرَةٍ تَفْشَاكَ فِي نَكْسٍ
مَا بَالُ دِيْنِكَ تَرْفُسُ أَنْ تُدْنِسَهُ
وَتُؤْبِكَ الذَّهْرُ مَفْسُولٌ مِنَ الدَّائِسِ

(١) أبو المتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٣ .

لَا تَأْمَنِ الْحَقَفَ فِيهَا تَسْتَلِذُّ وَإِنْ
لَأَنْتَ مَلَايِسُهُ فِي كَفِّ مُلْتَمِسِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْكُرُ لَا فَسْرِكَ لَهُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ مِنَ الْأَهْلِيْنَ مُخْتَلِسِ
...

فالشاعر يقول : أيها الإنسان ذهب عرك من مرور الليالي والأيام وتعاقب
أنفاسك فالموت قد اقترب منك فلا تأمن النون في أي لحظة وإن تجمعت عنه
بالحجائب والخزاس فسهام الموت نافذة إلى كل انسان ولو كان لابسا الدروع والتروس
ومع ذلك أراك لا هيأ في حياتك غير محاذر من الموت كأنك حاطب ليل يجمع ما
صادفه وإن كان ضاراً، وكيف ترجو النجاة من النار أيها الانسان وأنت لم تسلك
السبل الموصية إليها ، إن ذلك لمستحيل استحالة جريان السفينة على اليابسة .
وأراك أيها المرء سادراً في غمك مستمراً في ملذاتك متى ما صحت من واحدة
تغشى غيرها فتى تصحو من ذلك ؟ وما بالك ترضى بأن يدنس دينك ولا تغضب من
أجل ذلك ، وثوبك أبد الدهر مغلول منق من الموالق والأوساخ . فكيف ترجو
النجاة من عقاب الله وأنت على تلك الحال . .

فلا تأمن أيها الانسان الموت في حالة مرهق وسرورك فربما اختلسك وأنت
غارق فيها فكم من حبيب لنا قد اختلسته يد النون على الرغم منا ، فالحمد لله
الواحد الأحد ، الذي لا يفكر على مكروه سواء سبحانه وتعالى .

وهذا أبو تمام يوصي المرء المسلم بأن لا يفتخر بالدنيا وأن لا يأشها على
نفسه فإنها تدهر عن المرء من غير رجعة ، ويحثه على الإسراع في التوبة النصوح
قبل ماته فحبل العمر قصير يقول (١) :

(١) ديوان أبي تمام ج ٤ ص ٥٩٥ .

فلا تَأْمِنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ
 عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتُدِيرُ
 فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّغُورُ يَوْمًا لِأَهْلِيهِ
 وَلَا الرُّفُقُ إِلَّا رَهْمًا يَتَغَيَّرُ
 وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّةٌ فَسَارِقٌ
 عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلٌ عُرِكَ بِخَصَرٍ
 تَطْهَرُ وَالْحَقُّ ذَنْبَكَ الْيَوْمَ تَوْبَةً
 لَمَلَكٌ يَنْهَى إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطْهَرُ
 وَمَتَى فَدَى أَبْدَى لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ
 وَلِمَسْ يَسْأَلُ الْفَوْزَ إِلَّا الْمَشَرَّ
 فَهَذِي الْمَهَالِي مَوْفِدَاتِكَ بِالْبَلَسِ
 تَنْجُو وَأَيَّامُ بِذَلِكَ تُكْوَرُ
 وَأَخْلَصْ بِذَا لِلَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً
 فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيُظْهِرُ
 وَقَدْ يَسْتَرْ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ يَغْلَهُ
 فَهَظْهُرُ مِنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتَرْ
 تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَافِيَرٌ
 إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِنْ مُفَكِّرٍ
 فَلَا يَدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ
 بِأَثَابِهَا تُطَوَّى إِلَى يَوْمٍ تُفَكَّرُ
 ...

فأبو تمام يقول : لا تأمن الدنيا أيها الإنسان إذا ما أقبلت وانفتحت أبوابها
 عليك ، ولا تغتر بذلك فإنها خائفة تدبر عن المرء فجأة ومن غير إنذار له ، فما دام
 الصغر والسعد فيها لأحد بل صفوها لا بد أن يكدّر .

وكيف تتعلق بالدنيا أيها المرء وعمرك ينقص في كل يوم يمر عليك فما طلع نجم ولا بزغت شمس على هذه البسيطة إلا وهي نقص من حياتك ، فصار إلى التوبة وتطهر واستغفر لذنبك لعلك تتخلص منها ، وشمر عن ساعد الجد في عمل الطاعات والواجبات فقد كثر الموت عن أنيابه ، ولمن يفوز بالسعادة والمغفرة من الله إلا المجتهد في العبادة ، فتجدد الليل والنهار مومنين بزوال الانسان

وأخلص علك لله وحده فإنه عالم لما في الصدور ويعلم ما تخفيه نفس صدرك إن خيرا أو شرا ، فقد يستر الإنسان أفعاله بأقواله ، ولكن جوارحه تظهر ما كان يستتره ويخفيه فتذكر أيها الانسان معادك وفكر فيما ستصير اليه واعلم أنك ذاهب ، وستصير إلى حفرة تطوى فيها إلى يوم النفر والحساب ، فاترك اللهو بالدنيا وأقبل على الله بعبادته والإكثار من أفعال الخير وعمل وجوه البر فهي التي تبقى للإنسان بعد مماته .

ومن خلال ما سبق نرى أن الشعراء قد حثوا على ترك بهاج الدنيا وعدم التلبيس بها وأوصوا بالاقبال على الله وعبادته وفعل الخير لأن الموت للإنسان بالمرصاد ولن يستفيد المرء من أي عمل عمله في الدنيا إلا أعمال الطاعات التي تشفع للإنسان عند ربه ، وقد ركز الشعراء على ذكر التوهد بالدنيا وحثوا على عدم الغفلة وعلى تذكر الموت فإنه واقع لا محالة ، ولا يفر منه ، كما بينوا أن هذه الحياة الدنيا إنما هي دار مير فلا تحتاج إلى كبير اهتمام من المرء ولكن الدار الآخرة هي دار الفر وتطلب العمل الكثير من المرء لكي يسعد فيها وينعم بجنات الخلد التي وعد الله بها عباده المتقين ، ويحلم من عذاب الله الذي توعده الكافرين .

ونلاحظ تركيز الشعراء على ترك ملذات الدنيا والبعد عن بهارجها الزائفة منذ بداية العصر الاسلاي ، ولكن هذا الأمر بلغ ذروته في العصر

العباس حيث نرى أبا العتاهية وقف جل شعره في الزهد والنصائح ، والصايبا
فما سبب هذا التركيز من شعراء العصر العباسي وما السر في ذلك ؟

والجواب عن هذا السؤال ليس بالأمر الميسر لأن الدوافع التي تدفع
الشاعر على التزهد في الدنيا تختلف من شاعر إلى آخر .

ولكن السبب الرئيس هو أن هذا التيار من الشعر نشأ لمواجهة تيارات
المجون الذي نشط في هذا العصر والذي كان من أقطابه مسلم بن الوليد
وأبونواس ووالهة بن الحباب وغيرهم من الشعراء ، فحاول شعراء الزهد أن
يلفتوا أنظار المجتمع إلى واقعهم الذي يعيشون فيه (١) .

وهناك شعراء لم يكن اتجاههم التزهد في الدنيا لسبب ديني ولكنهم قوم
يمسوا من الثراء ولم يستطيعوا الحصول عليه فلجأوا إلى التزهد في الدنيا .

وهناك فئة منهم عرفت نفوسهم عما رأوا من شهوات وملذات ورأوا أن
وراء تلك الشهوات الكثيرة متاعب وصعاب فقمعوا نفوسهم عن ذلك (٢) .

(١) انظر شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث من ٤١ د / على نجيب المعطوي
ط الأولى سنة ١٤٠١ هـ نشر المكتب الاسلامي بيروت .

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، أحمد أمين ط العاشرة نشر
دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٣ - الحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات :

إن أعمال البر والطاعات واجتناب المحرمات هي التي تقرب المرء من الله سبحانه وتعالى وتنهله المغفرة والرضوان منه جل وعلا ، وتدخله الجنة وتقيه من العذاب ، لذلك فقد أوصى الشعراء غيرهم من المسلمين بوجوب عمل الطاعات واجتناب الشهوات والمحرمات فالصلصال بن الدلهيس ^(١) يوصي المسلم بأن يحسن العمل لله ، ولا يهتغل إلا بما يرضى الله سبحانه وتعالى يقول ^(٢) :

تَجَنَّبْ خَلِطًا مِنْ مَقَالِكَ إِنَّمَا
قَبِيْنُ الْفَقِيْ فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ ^(٣)
وَلَا يَدَّ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَنْ تَعْدُوْهُ
لِيَوْمِ يُنَادَى الْمَرْءُ بِهِ هَيَّئِ لِيْ
وَأِنْ كُنْتَ مَشْفُوعًا بِشَيْءٍ فَلَا تَكُنْ
بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تَغْفَلُ
وَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ
وَمِنْ بَعْدِهِ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
إِنَّمَا الْإِنْسَانُ شَيْءٌ لَّا هَالِكُ
يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ
...

فاجتنب أيها الانسان المسلم الخلط في مقالك بين الحسن والقبیح ،
واعبد إلى القول الحسن والذكر لله من غير إشراك أحد معه ، واعمل الأعمال

-
- (١) هو الصلصال بن الدلهيس الشاعر صاحب وفد مع بني تميم السبي
النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم .
انظر الاصابة ج ٣ ص ٤٤٥ .
(٢) الاصابة ج ٣ ص ٤٤٦ .
(٣) الخلط - الشريك

الصالحة ه وأخلص النية لله وحده فإن المرء إذا مات ووقع في قبره رجع عنه كل شيء ويبقى معه في القبر عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

واستعد-أيها الانسان أيضا- لما بعد الموت وهو يوم الحشر والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ه فإن كنت مشغلا في هذه الدنيا فأحرص على الاشتغال بما يرضى الله وتجنب ما يغضب ه فعملك بعمل الأعمال الصالحة الاشتغال بها فإنه لن يصحبك من هذه الدنيا بعد موتك سوى عملك وهو الذي عليه تجازى ه واعلم أن المرء في هذه الدنيا ضيف يمكث قليلا ثم يرحل إلى منزله الدائم .

أما سابق البربري فإنه بحث على عمل المعروف وبذل الندي ويوصي المرء بذلك على اجتناب الشهوات التي تهلك للإنسان يقول (١) :

يَا مُتَتِّى الدَّارِ الذِّى ■ هُوَ مُسَرَّعٌ عَلَيْهَا الرَّحِيلَا
إِنْ لَمْ تَتَلَّ خَيْرًا أَحَا ■ لَكَ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا ذَلِيلَا
وَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحِد ■ حَذَرُ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلَا
فَلَرَبِّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ ■ قَدْ أَوْرَثَتْ حَزْناً طَوِيلَا

...

فأحسن أيها الانسان إلى إخوانك وأقربائك وأنلهم من عطائك وبذلِكَ ه وتصدق على الضعيف منهم ه وإن لم تستطع بذل ذلك فتواضع وألن جانبك لهم ه واحذر من الشهوات لا تكن من طبعك ولا تغلب على حياتك ه فإني الإنزلاق في الشهوات خطر على المرء فقد تهوى به إلى المهالك ه فارب شهوة ساعة من الزمن أورثت الحسرة والندامة فاجتنب هذه الخصال الصعبة واعمل الحسنات وانفق ما أعطاك الله وأنعم به عليك واستعد لما سترحل إليه فإن الدنيا

(١) شعره ص ١١٦ .

فانية وسيفادها الإنسان عاجلاً إلى الدار الآخرة .

وأبو العتاهية يوصي المسلم بتجنب الذنوب والمعاصي مثل البغى والفكر
والبهتان يقول (١) :

إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ وَالْبَهْتَانَ وَالغِيْبَةَ
وَالْقُلُوبَ وَالْمَقَرَّ وَالطُّغْيَانَ وَالرَّهْبَةَ
مَا زَادَكَ السِّنُّ مِنْ شِقَالٍ خَرَدَكَ
إِلَّا تَقَرَّبَ مِنْكَ الْمَوْتُ تَقَرُّبَةً
فَمَا بَقَاؤُكَ وَالْأَيَّامُ مُسْرَعَةٌ
وَأَنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ بَحَصَ تَقَلُّبُهُ
فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْكَ تَقْلِيْبَةً

...

فابتعد أيها الإنسان عن الذنوب والخصال التي تؤدي بمصاحبها إلى الهلاك
واجتنب البغى فإن مصره وخيمه . وابتعد عن البهتان والغيبة فإنهما من المعاصي
القبیحة التي تذهب الحسنات . واحذر من الفكر والفكر بالله . وأخلص العبادة
له وحده . فلن يدخل الجنة مفكر . وكذلك الطغيان والرهبة لا يكونان من شأنك .
فتلك المعاصي كلها مجتمعة أو متفرقة تؤدي إلى الهلاك وتذهب بالحسنات وتثقل
الميثاق .

واعلم أنه ما تقدم بك العمر لحظة إلا تقرب الموت منك مقدار ذلك . فكيف
ترجو الخلود في الدنيا وهذه الأيام تجري مسرعة عليك . واعلم أن الدهر ذو غير

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥١ .

وتقلب ولو أحصيت تقلباته لكانت في كل طرفة من طرف عينك له تقلبه ، فاحذر ذلك وابتنع عن السيئات واعمل الحسنات حتى تنجو من الهلاك .

وهو الشاعر في بهتين آخرين أصحاب الأموال بالبدل والانفاق في سبيل الله يقول (١) :

يَا جَامِعَ الْمَالِ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ
هَلْ أَنْتَ بِالْمَالِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْتَفِعُ
لَا تَمْسِكِ الْمَالَ وَاسْتَرْفِي إِلَهَهُ
فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ السَّوْءُ وَالْقَبْحُ
...

فالشاعر يوجه الوصية إلى صاحب المال قائلا : يا أيها المتجهد في جمع المال واللاهى بتميمته وكنزه هل أنت ستنتفع به بعد موتك ؟

اعلم أن ما كنزته من أموال لن يفيدك بعد مماتك وسيتحول لورثتك ، والذي يفيدك من مالك هو ما قدمته في وجوه الخير والانفاق في سبيل الله فابذل من أموالك وتصدق منها لتكسب من وراء ذلك الحسنات والرحمة والغفران من العزيز الحكيم .

أما ابن المعتز فإنه يوصي المسلم باجتنب الذنوب الصغير منها والكبير يقول (٢) :

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ۝ وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقْسِرُ
كُنْ يَتْلُ مَا فِي فَوْقِ أَرُ ۝ فِي الْقَوَاكِبِ يَحْذَرُ مَا يَسْرِى
لَا تَخْفِرَنَّ صَغِيرَةً ۝ إِنَّ الْجِسَالَ مِنَ الْحَصَى

(١) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

(٢) ديوانه ج ٢ ص ٣٢٦ .

يقول اجتنب أيها المسلم المعاصي والآثام الصغيرة منها والكبيرة فلا تقربها لأن ذلك من تقوى الله والخوف منه فاحذرهما واحتط لنفسك حتى لا تقع فيها ولكن مثل من يمضي في أرض مليئة بالشوك يحاذر أن يخطأ فهو يتجنب ذلك قدر استطاعه • ولا تحقر أيها المسلم الذنوب الصغيرة وتتساهل بها فإن الجبال الرواسي الكبيرة من الحصى الصغيرة فاحذر ذلك وطهر قلبك وجسدك من الأدوار المعاصي والآثام •

وقد اقتبس الشاعر معاني هذه الأبيات من سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بن كعب عن التقوى فقال له أبي " هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال نعم • قال : فما علت فيه • قال : تشمرت وحذرت • قال فذاك التقوى " (١)

وبعد • فقد رأينا الشمراء قد أوصوا المسلم بوجاهة عديدة يحثونه فيها على عمل الطاعات واجتناب المعاصي وكثرة الاشتغال بما يرضى الله والبهمد عن الاشتغال بما يمسخطه وحثوا على عمل الخيرات من إنفاق وبذل • لأن المرء إذا مات لم ينتفع من ماله إلا ما قدم في حياته في وجوه البر والخير • وكذلك حذروا من ارتكاب المعاصي والآثام وأوصوا باجتناب الذنوب كبريها وصغيرها وأوصوا كذلك بترك الغيبة والفك والشرك والبهتان •



(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٦١ ط الثانية • نورد أراجيح التراث المعري
بيروت • لبنان •

٤ - الحث على القناعة والرضا بما قسم الله :

القناعة أمر معنوى ترجع إلى نفس المرء وذاته فالنفس القانعة هي التى ترضى بالقسم الهيسير وتقتنع به ، أما النفس الجشعة فهي التى لا تقنع ولو جمعت لها الدنيا بأسرها ، والجشع من أفتح الصفات التى تنقص من قدر الإنسان .

والإنسان الذى يتصف بالقناعة هو فى الحقيقة راض بما قسم الله سبحانه وتعالى له وسلم للشفقة الالهية .

ولقد أوصى الشعراء غيرهم من المسلمين بالقناعة والرضا بما قسم الله للمرء من رزق وعدم الجزع من فبق المعيش ومظلفه .

فالخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه يوصى المسلم بالصبر على قضاء الله وعطاءه من الرزق ويحثه على القناعة وعدم الظن بالله ظن سوء يقول (١) :

أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثِ الْجَلِيلِ
وَدَاوِ جَوَاكَ بِالصَّبْرِ الْجَبِيلِ
وَلَا تَجْعَلْ فَإِنْ أَمْسَرْتَ يَوْمًا
فَقَدْ أَمْسَرْتَ فِي الدَّهْرِ الطَّوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سُوًّا
فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَبِيلِ
فَإِنَّ الْمَسْرَ يَتَّبِعُهُ مَسَارٌ
وَقَبُولُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قَبِيلِ
فَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا
سَيَرَوْهُ مِنْ رَحْمَةِ التَّلَمِيهِلِ

(١) شعر الدعوة الاسلاميه فى عهد النبوة ص ٥٣٩ .

يقول اصبر أيها المسلم على ما أحدث الدهر عليك من حدث مادي أو غيره
وداؤ مصيبتك بالصبر فإن الصبر مفتاح الفرج ونفخ الكرب ، ولا تجزع ان
أصابك فاقة في يوم من الأيام ، وتذكر نعم الله عليك طوال حياتك وتهمسيره
معيفتك .

وظن بالله الظن الحسن ولا تظن به ظن سوء فالله أعلم بحالك وهو أولى
بالجميل من غيره فميكشف لك هذه الكربة إن توجهت اليه فان الهم مع العسر
وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز حيث يقول : " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا " (١)

وكم مؤمن قد افتقر وبات جائعا لا زاد عنده وصبر ، وجزاء الصبر الجنة
والتمتع ببلدانها وطيباتها .

أما عمران بن حطان (٢) فهو يوصي الغرزدق بأن لا يتوجه إلى الخلق في
طلب الرزق ولكن عليه أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى الراقي للجميع يقول (٣) :

أيها المادح العباد ليحطس
إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم
وانج فقل أنفسهم العباد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه
وتسقى البخل باسم الجواد
...

فالشاعر يقول : يا أيها الشاعر المادح البشر ليحصل على عطاء منهم

(١) سورة الشرح آيتان رقم ٦٥٥ .

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان ينتمي إلى بكر بن وائل شاعر فصيح من
شعراء الهذلة ودعاتهم والمتقدمين في مذهبيهم ولكن لم يشترك في الحروب

(٣) الأغاني ج ١٨ ص ١١٩ .

توجه إلى خالق البشر ورهبهم فهو المعطى لهم ، فبدلاً من طلبك هو لا العباد
أعطوك أم تمنعوك اطلب رزقك من الرزاق العليم الذى لا يرد طالباً .

ويا أيها الشاعر لا تصف الرجل بغير صفاته فلا ترفع من شأن الجواد
وتصوره بصورة الواهب المعطى ، ولا تمدح البخل المسك بالكرم فإن ذلك كذب
وعدوان .

فاطلب جميع حاجاتك من الواهب الذى لا يمن على أحد فى رزقه له
وعطائه ، واقع بما حباك الله إياه فإنه خيرٌ من استجداء البشر .

أما عبد الله بن المبارك فإنه يوجه قصيدة إلى بعض أصحابه يوصيه فيها
بالفناعة والتبليغ بالرزق الحلال ولو كان قليلاً وينهاه عن استجداء أحد أو الوقوف
على أبواب الأمراء يقول (١) :

كُلْ مِنَ الْجَائِزِ وَالرُّزْءِ ۖ وَزَيْدٍ خُبِرَ الشَّعِيرِ
وَأَجْعَلَنَّ ذَاكَ حَلَالاً ۖ تَنْجُ مِنْ نَارِ الشَّعِيرِ
وَالْتَمِسْ رِزْقَكَ مِنْ ذِي الْمَرْشِ وَالرَّبِّ الْقَدِيرِ
وَأَنَا مَا اسْطَغْتْ هَذَاكَ إِلَّا ۖ لَهْ عَن دَارِ الْأَمِيرِ
لَا تَزْرَهَا وَاجْتَنِبْهَا ۖ إِنَّهَا هَرَمٌ مَزُورِ
تُوهِنُ الدِّينَ وَتُذْنِبُ ۖ سَكَّ مِنَ الْحَوْبِ الْكَبِيرِ
قَبْلَ أَنْ تَحْقُطَ بِهَا مَفْءٌ ۖ رُوزٌ فَيَسُ حُفْرَةُ بَيْرِ
وَأَرْضٌ بِهَا قَحْكَ مِنْ دُنْ ۖ سَمَاكَ بِالْقَوْتِ الْهَسِيرِ

ضعفه وكبر منه ولكن اقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، أصله من البصرة
فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك
ابن مروان فهرب إلى عُمان وكان يمتثل فى البلاد ويتوارى حتى مات .
انظر الأغاني ج ١٨ ص ١٠٩ وخزانة الأدب ج ٥ ص ٣٥٠ .

(١) ديوانه ص ٤٨ .

فالتمس يا أخى الرزق الحلال ولو سرت تأكل من ردى الطعام وتبتعد عن ملذاته لكي تتجو من عذاب السمير يوم القيامة ، وتوجه إلى الله في طلب الرزق فهو الرزاق الوهاب وابتنع عن دور الأمراء والوقوف على أعطائهم وزهارتهم طلبا للبهات والأعطيات فان زيارتها سر زهارة ، تقوى الدين وتنقصه ، وتدنى المرء من الآثام فاحذر ذلك ، قبل أن تموت ، وتترك هذه الدنيا ، وارضى بالقوت اليسير من المكسب الحلال وتحمل مشظف العيش في سبيل ذلك .

وعبد الله بن أيوب النخعي (١) يوصى المرء المسلم أن لا يخضع لمخلوق وأن يفتح بما أعطاه الله سبحانه وتعالى وأن يتوجه إليه وحده في طلبه الرزق يقول (٢) :

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَذْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
فَإِنَّ ذَاكَ مُضِرٌّ بِكَ بِالْذَّمِّ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
أَمَا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرَجَّوْا وَتَأَمَّلُوهُ
مِنَ الْخَلَائِقِ مَيِّكُنْ ابْنُ مَيِّكُنْ

...

٤ - يقول الشاعر : لا تطلب نوالا من أحد غير الله سبحانه وتعالى ولا تخضع لمخلوق وتتذلل له لوجود عليك فإن ذلك مما ينقص الدين ، ولكن ارفع إلى الله سبحانه وتعالى واطلب منه العطاء والنوال فهو المعطي لذلك وأمره للشئ . كمن فيكون ، فكل الخلائق مساكين وفقراء إليه فلا تخضع لأحد منهم وتضرع إلى

(١) هو عبد الله بن أيوب مولى نهم شاعر عباسي أحد الخلفاء المجان اتصل بالبرامكة وندبهم واتصل بيزيد بن يزيد فلم يزل منقطعا إليه حتى مات بيزيد انظر الأغاني ج ٢٠ ص ٤٤ .

(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ٥٩ .

المولى ليغنيك عنهم كما اغناهم .

وأبو العتاهية يوصي الإنسان بالياس مما في أيدي الناس والرجاء فيما عند الله سبحانه وتعالى وحده يقول (١) :

يَا يَاسَ بْنَ النَّاسِ وَأَرْجُ الْوَاحِدَ الصَّدَّاءَ
فَإِنَّهُ هُوَ أَعْلَى مِنَّةٍ وَهَدَا

فلا تنتظر عطاء من أحد ولا ترجو به اليأس من الناس جميعا وتوجه إلى الله الواحد الصمد الذي يعطي الخلق جميعا ولا يضره شيء وهو أكرم منة من الخلق وأكرم منهم .

أما عبد الله بن المعتز فإنه يتساءل لماذا الحرص على الدنيا والتهافت عليها واللهث وراءها والله هو الرازق يقول (٢) :

أَيَا بَنِي الدَّهْرِ كَمْ ذَا الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ
اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ لَا الْخِرَاصَ وَالتَّعَبِ
أَيَا حَيَاءُ أَمَا دِينٌ أَمَا رِقَّةٌ
أَيَا تَفَكُّرٌ مَعْقُولٍ أَمَا أَدَبٌ
...

لماذا هذا الجهد والتعب وراء الدنيا والحرص على جمعها ، والله هو الرازق الوهاب وليس الحرص والتعب والنصب من أجلها ، وكيف ينصب فـس طلبها المسلم . . . أما يستحي من الله ويكل أمر الرزق إليه أما دين يردعه عن ذلك التهاافت والاقبال على الدنيا ، أما سكون يلهج إليه وينتهي عن الحرص ، أما يفكر بتدبير فيرى أن كل شيء بيده سبحانه وتعالى فيلهج إليه ويترك الحرص ، أما

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١٢١ .

(٢) ديوانه ج ٢ ص ٣٨١ .

يتأدب المرء مع الله فيمتوجه إليه بالدعاء لطلب الرزق بدلا من الحرص والتعب .

وفي الختام نرى أن الشعراء قد أوصوا المسلم بالقناعة وترك الطمع .
والتهافت على الدنيا وعدم الجزع في حالة العسر لأن العسر يتبعه اليسر .
وكذلك أوصوا بعدم الاستجداء من أحد أو طلب الرزق من المخلوق والتوجه إلى
الخالق فإنه الرازق للعباد كلهم . والعباد أجمع فقراء إلى الله الغني منهم
والفقير . وأوصوا بالبعد عن دور الأمراء وعدم الوقوف على أبواب بيوتهم . طلبا
للرزق والتوجه إلى الله . وأوصوا بالحرص على الرزق الحلال ولو كان يسيرا .

الفصل السابع
سرايا الحرب

١. الحرب على خصوص العدو.
٢. الحرب على الأعداء.
٣. الانتقام والردود الحرب على الأعداء.

الوصايا الحربية

لقد احتل الشعر الحربى المكان الفسح فى ديهان الشعر العربى ، وبعد هذا الشعر من أروع وأجمل الشعر العربى لما يحتويه من معان جلييلة مثل القوة والشجاعة ولما فيه من إباء للضيم وعدم الذل والهوان ، وللصدق الفنى الذى يكسبه الشاعر شعره لتفاعل عاطفته ووجدانه مع الموقف الذى يذكره فى قصيدته الحربية التى لونها بخياله الواسع فيجسد المعركة أمام القارىء أو السامع فيمتعه بنقله إلى جو المعركة وسماع صهيل الخيل ووقع الرماح وضرب السيوف .

وقد كانت الحروب منتشرة فى الجزيرة العربية بين القبائل العربية أو بين العرب والفرس ومن أهم وقائعهم مع الفرس (يوم ذى قار) الذى انتصر فيه العرب على الفرس .

وهذه الحروب كانت من أسباب كثرة الشعر العربى يقول ابن سلام :
(.....) وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأخياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يخبرون ويغار عليهم^(١) .

وبعد هبوط الوحى وبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهجرته إلى المدينة النبوية قامت المعارك والفزوات بين الإسلام والكفر ، وإذا كان سبب الحروب فى الجاهلية المعصية القبلية فى الغالب فإن سبب هذه الحروب فى الإسلام سبب دينى هدفه إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وتتابع الحروب فى عصر الخلفاء الراشدين مثل قتال المرتدين والفتوحات الإسلامية التى امتد زمنها

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٩ محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود شاكر .

حتى الدولة الأموية ، وفي العصر العباسي اشتعلت الحروب مع الروم وكل هذه المعارك أنتجت القمعر الحربي الفزير ولكن الذي سأتناوله في هذا البحث هو " قمعر الوصايا الحربية " .

وأقصد بالوصايا الحربية القمعر الذي يوجهه أحد الشعراء إلى أفراد الجيش أو أفراد المجتمع يحثهم فيه على الشجاعة والاستبسال في القتال أو أخذ الحذر والاستعداد للمعركة ، وكذلك الوصية بأخذ الثأر وعدم قبول الدية وسأبين ذلك بالتفصيل ان شاء الله .

١ - الحث على خوض الممارك :

لقد حث الشعراء على خوض الممارك والاصطلاح بناها لأن في ذلك النصر والظفر والعز أو الموت ميتة شهيدة لا يلحق صاحبها عار أبداً بهروبه من المعركة أو جبنه بل يعد ذلك فخرة له وعزا وشرفا .

فبشامة بن عمرو ^(١) يوصى قومه بخوض غار الحروب وعدم الرضا بالدنيئة والذل يقول ^(٢) :

وَحُبِرْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَلْقَهُمْ
أَجِدُّوا عَلَى ذِي شُومِي حُلُولا
فَإِذَا هَلَكْتُ وَلِسَرِّ آتِيهِمْ
فَأَبْلِغْ أَمَانِيْلَ سَهْمٍ رَسُولا
بِأَنْ قَوْمُكُمْ خَيْرُوا خَمَلْتَهُمْ
مِنْ كَلْتَاهُمَا جَمَلُوهَا عُدُولا
خَزَى الْحَيَاةِ وَحَرَبَ الصَّدِيقِ
وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَبِأَنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهُمَا
فَسِيرُوا إِلَى الْحَرْبِ سَيْرًا جَمِيلًا

- (١) هو بشامة بن عمرو بن هلال بن سهم بن مرة الغطفاني ، شاعر جاهلي محسن مقدم ، خال زهير بن أبي سلمى ، ولد مقعدا ولا ولد له وكان مكثرا من المال ، كان من أحزم الناس رأيا فكانت غطفان تستشيرُه إذا أرادت الفزوه وقد عدّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين ولعل هذا وهم منه ، فقد أورد أخبارا له تدل على أنه جاهلي ومات في الجاهلية .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٢١٨ والفضليات ص ٥٥ ،
والاعلام ج ٢ ص ٥٣ .
(٢) الفضليات ص ٥٦ .

وَلَا تَقْعُدُوا وَيَكُفُّ مِنْهُ
 كَلَمَىٰ بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غَوْلًا
 وَحُشُّوا الْحَرْوبَ إِذَا أُوقِدَتْ
 رِيحًا طَوَّالًا وَغِيْلًا فُحُولًا
 وَمِنْ تَسْجِجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً
 تَرَىٰ لِلْقَوَائِبِ فِيهَا صَلِيلًا

...

فالشاعر يقول : أتانى خبر أن قوس قد أعددوا حدثا جديدا فرحلوا
 إلى ذى شويس فيها أيها الرسول إن هلكت ولم أفهم فأبلغ أعقل بنى سهم هذه
 الرسالة وقل لهم : اعلما أن قومكم خيروا طريقين إما محاربة غطفان وهم أصدقاء
 لهم ، أو اكتساء العار أبد الدهر بنقضهم الحلف الذى بينهم وبين الحرقة من جهينة
 وكلا الأمرين سواء فى سوء العاقبة ، ولكن إذا كان لابد من أحدهما فاركبوا إلى
 الموت غير خائفين ولا وجلين واستمعنوا بالصبر حتى تنتصروا أو تقتلوا قتلة شريفة
 وإياكم والقعود عن القتال وتركه وأنتم قادرون على خوض غماره خوف القتل والموت
 فإن النايما ستغثال الأحياء فى أى وقت وعلى أى طريقة ، وحضوا على إيقاد الحرب
 وزيدوا فى إشغالها باستمانتكم بالرماح الطوال التى تقتلون بها الأعداء ، والخيل
 العتاق السريعة التى تمنىكم على الكر والفر ، واستمعنوا أيها بالدروع المنسوجة
 حلفتين حلفتين التى تشبه السيوف القواطع عنها فلا تؤثر فيها ولا يمسح إلا
 صليلها .

وهند بنت النعمان ^(١) تحض عمرو بن ثعلبة الغيباني فى يوم ذى قار

(١) هند بنت النعمان بن النذر بن امرئ القيس اللخمية نبيلة فصيحة
 ولدت ونشأت فى بيت الملك بالحيرة ، تزوجها عدى بن زيد فلما قتل
 ترهبت ولبست المسوح وأقامت فى دير بنته عرف باسمها بين الحيرة والكوفة

على القتال وتحسه لذلك تقول (١) :

حَافِظُ عَلَى الْحَبِّ النَّفِيسِ الْأَرْقِ
يَدَّ جَجِينَ مَعَ الرِّيحِ الْفَرِ
وَصَوَارِمِ هِنْدِيَّةٍ تَهْقُولُ
بِسَوَاعِدِ مَوْصُولَةٍ لَمْ تَنْجِ
وَسَلَاهِبٍ مِنْ خَلِكُكُمْ مَعْرُوفَةٍ
بِالسَّبْقِ عَادِيَةٍ بِكُلِّ سَهْدَةٍ (٢)
وَالْيَوْمِ يَوْمِ الْفَصْلِ مِنْكَ وَنَهْمٍ
فَاصْبِرْ لِكُلِّ شِدْدَةٍ لَمْ تُدْفِعْ
يَا قَمَرُ يَا عَمْرُ الْكَفَاحِ لَدَى الْوَقْفِ
يَا لَهْتَ غَابَ فِي اجْتِنَاعِ الْمَجْجِ
أَطْهَرَ وَقَاءً يَا قَتَى وَعَزِيمَةً
أَنْفِيعُ مَجْدًا كَانَ غَيْرَ مُفْهِعِ
...

فالشاعرة تقول موجبة الخطاب لعمرو بن ثعلبة الشيباني حافظ على الحسب
الزكاي الرفيع وصنه ه ولا تفرس لأحد أن يدنسه ه فلا تخضع للفرس وتستسلم لهم
فيدنسوا الشرف بل قاتلهم بكل رجل شاكى السلاح شارب الرمح ه واضربهم بكل
سيف هندي باتر قد حمله رجل شجاع يضرب به ينة ويسره ه فلا ينب السيف من

ولما دالت دولة اللخمين ودخل خالد بن الوليد رضى الله عنه الحيرة
زارها في دبرها وعرض عليها الاسلام فأبت واعتذرت عن ذلك بكبر سننها ه
وزارها كذلك المغيرة بن شعبة وعبيد الله بن زهاد وهاني بن قبيصة ثم
الحجاج لما قدم الكوفة ه عبرت طويلا وعيت ه ماتت في دبرها حوالى
سنة ٢٤هـ انظر الأغاني ج ٢ ص ١٢٨ والأعلام ج ١ ص ١٨ وشاعرات العرب ص ٦٥

(١) شاعرات العرب ص ٦٧ تحقيق عبد البديع صقر ط الأولى سنة ١٣٨٧هـ نشر

المكتب الاسلامى دمشق .

(٢) المسبذع : الرجل الكريم الشريف الفجاع .

يبدءه ، واستعن بالخيل العتاق سريحة الجرى التى ركبها الرجال الأقوياء
 الفجيمان ، وأعلم أن اليوم هو يوم الفصل بينك وبين عدوك ، فاصبر عند الشدائد
 فأنت فتاها وفاتح الأعداء فى أرض المعركة فأنت اللبث عاديا على الأعداء ، وأظهر
 عزيمة قوية لحرب هؤلاء الفرس الغزاة ووفاء عظيم لآبائك وأجدادك بحفاظك
 على المجد الذى أورتوك إياه فكيف تضع مجدا حقه الرفعة وقد حافظ عليه من
 سبقك " وكان غير مضيع " .

والنمر بن تولب المكلبي يوصى المرء بالشجاعة ويحثه على الإقدام فى يوم
 الوغى لأن الموت سيصادف المرء أينما كان يقول (١) :

قَأْوِى الْفَتَى بِابْتِئَاءِ الْعُلَى
 وَأَنْ لَا يَخُونَنَّ وَلَا يَأْنَسَا
 وَيَلْمِسَنَّ لِلدَّهْرِ أَجْلَالَهُ
 فَلَنْ يَبْنِيَّ النَّاسَ مَا هَذَا
 وَإِنْ أَنْتَ لَا قِبْتَ فَمَنْ نَجَّدَ
 فَلَا يَتَهَيَّئَنَّكَ أَنْ تَقْدَمَا
 فَإِنَّ النِّيَّةَ مِنْ مَخْطِئِهَا
 فَمَنْ تَصَادَفَهُ أَيْنَمَا
 وَأَنْ تَنْخَطَّكَ أَسْبَابُهَا
 فَإِنَّ قَصَارَكَ أَنْ تَهْرَمَا
 ...

فأوصيك أيها الفتى أن تبنى لك مجدا وعزا وابتمد عن الخيانة والآثام التى
 تقلل من شأن المرء وتحط من قدره ، واستعد لكل حال من حالات الدهر بما

(١) شعراء إسلاميون ص ٢٧٨ .

ينبغي أن يستعد له، وحافظ على شرفك ومجدك فإنك إن ضيعته فلن تجد من يرد عليك وما هدمت بهدك فلن يبنه الناس لك .

واعلم أن من تمام العز والعرف الشجاعة والإقدام ، فإن أنت لاقيت قتالا فلا تنهيب خوفا غاربه وتقدم في الحرب ولا تخش المنية ، فإن الموت نازل بكل من وسأخذه في أي مكان كان سواء في حرب أم سلم ، وكيف تجبن وتخاف الموت لك بالمرصاد فإن تخطت أسبابه فالهم بانتظارك وينتهي بك إلى الموت ، فعليك أيها الانسان أن تكون رابط الجأش قوى المعزيمة ذابا من شديدي المعارك والحروب .

أما ضرار بن الأزور (١) فإنه يحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله لكسب مرضاته سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول (٢) :

أَلَا قَاخِلُوا نَحْوَ اللَّثَامِ الْكَوَاذِبِ
لِيُثْرُوا سُوقًا مِنْ دُمَائِ الْكَثَائِبِ
وَرَدُّوا عَنِ الدِّينِ الْمُعَظَّمِ فِي السَّوَرِ
وَأَرْضُوا إِلَهَ الْعَرَشِ رَبَّ الْمَوَاقِبِ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَتَّقِي عِقَقَ رَبِّهِ
مِنَ النَّارِ فِي يَوْمِ الْجَزَا وَالْقَارِبِ

(١) هو ضرار بن مالك (الأزور) بن أوس بن خزيمه الأسدي أحد الأبطال فسي الجاهلية والاسلام له صحبة فكان شاعرا - وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، وقد أبلى بلاء حسنا يوم اليمامة ، اختلف في موته فقيل استشهد باليمامة وقيل بأجناد بن وقيل إنه نزل بحران فمات بها .
انظر ترجمته في الإصابة ج ٣ ص ٤٨١ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٣٢٥ ، والاعلام ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) فتوح القام للوافدي ص ٢٦٨ قدم له عمر أبو النصر ط الأولى سنة ١٩٦٦م
نشر المكتبة الاهلية بيروت لبنان .

فَهَمِّلْ هَذَا الْهَدْمَ خَلَّةَ هَهْنٍ
وَبُرْهَيسَ رَسُولًا فِي الْوَرَى عَمْرُكَ كَانِي

...

فشدوا أيها المسلمون على هؤلاء الكفار الذين كذبوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتقتضوا عليهم وترووا سيوفكم من دمائهم ، وذودوا عن الدين الحنيف الذي نعظمه جميعا فإن قتال الكفار من أعظم القربات التي تقرب الانسان من الله وترضيه عنه ، فمن أراد منكم أيها المحاربون مغفرة الله سبحانه وتعالى وعقبة من النار في يوم الجزاء والحساب فليقاتل هؤلاء الكفار بقوة ورباطة جأش وليحمل عليهم بشجاعة كأنه أسد شار يهد الفتك بهم .

وخالد بن الوليد رضى الله عنه قائد الجيوش الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه يهيب بالمحاربين لئذل أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى يقول (١) :

هَبُّوا جِهَمًا إِخْوَتِي أَرْوَاحًا
نَحْوَ الْمَدُونِ نَهْنَسِي الْكَهَاحَا
نَرْجُو بِذَلِكَ الْغُزَى وَالنَّجَاحَا
إِذَا بَدَلْنَا دُونَهُ أَرْوَاحَا
وَهَرَزَقُ اللَّهَ لَنَا صَاحَا
فِي نَصْرِنَا الْغُدُوَّ وَالرَّوَاحَا

...

فخالد بن الوليد يوجه رجاله ويحثهم على القتال فيقول لهم : هيا يا إخوتي نهب أرواحنا في سبيل الله فنشد على الكفار ونقاتلهم ، ونخوض غمار الحروب بغية الغزى إما بالشهادة في سبيل الله ودخول الجنة ، أو النصر على

(١) فتح الشام ص ١٥٧ .

للعداء الاسلام • وكلا الأميين لن يحصلوا إلا إذا بذلنا دونهما أرواحنا وهي أغلى ما نملك واحتسبناها في سبيل الله • والله سبحانه وتعالى سيثيبنا على قتالنا للأعداء وسيجعل الدائرة لنا والنصر حليفنا في غدونا ورواحنا •

ونلاحظ الفرق في الحث على الشجاعة والقتال بين المعصمين الجاهلـيـيـن والاسلامى • ففي الجاهلية نرى أن نتيجة الشجاعة إما النصر والسيطرة على العدو أو الموت ميتة شريفة في ساحة المعركة •

أما في المصور الاسلامية فإن المجاهد سيفوز بأحد أمرين كل منهما غاية كل مسلم وهما الاستشهاد في سبيل الله ومغفرته ومرضاته ودخول الجنة أو الانتصار على القار ونشر الاسلام وبيانه للناس •

ويقول أحد أبناء الخنساء الشاعرة (١) يحث المجاهد بن على خوـيـه القتال للفوز بأحد الحسنين (٢) :

فبَادِرُوا الْحَرْبَ كَأَنَّ فِي الْعُدَّةِ
إِمَّا يَفْقُوزُ بِأَوَّلِ عِلْسِ الْكَبِدِ
أَوْ مَيِّتَةً تَوْرَثُكُمْ غَنَمَ الْأَبْدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغْدِ

...

أسرعوا أيها الأخوة إلى قتال الأعداء الكفرة في شجاعة ورباطة جأش • بعد أن تستعدوا بلبس عدة الحرب لكي تغوزوا بإحدى الحسنين • الانتصار على الأعداء انتصاراً يَبْهِجُ النفس ويسرى عنهما الغموم • أو الاستشهاد تحت ظلال

(١) لم أجد له ترجمة فيها بين يدي من المصادر •

(٢) شعر الدعوة الاسلامية في عهد النبوة ص ١٢٠ •

السيوف في أرض المعركة فتغنموا الغنيمة الأبدية التي لا تزول، غفران الله لكم ودخولكم الجنة الفردوس التي وعد الله بها عباده المتقين، فنهاية المعركة فس صالحكم إما الفوز والنصر وإما الاستشهاد وكل منهما أمر يرغب فيه كل مقاتل مسلم.

ويقول شبرمة بن الطفيل^(١) في الحث على القتال وعدم الخوف من الموت :^(٢)

لعمري لبيكم عند باب ابن مخرر
أغنّ عليه البارقان مرفوف
أحب إليكم من بيوت عيادها
سيوف وأزواج لهنّ حفيف
أقول لفتيان سرار أبوهم
ونحن بصحراء الطمان وقوف
أقيموا صدور الخيل إن نفوسكم
لهيات يوم ما لهنّ خلوف
...

فالشاعر يحث في أول أبياته بأناس فعدوا عن الحرب وتركوا الأخذ بالنار فيقول ساخرا منهم : لعمري إن مكونكم عند نساء كأنهن من ظبيات ابن مخرر صوتها أغن محلاة بالأساور والذهب أحب إليكم من خوف الممارك وترك البيوت المأمنة بالنساء الجميلات إلى بيوت الحرب التي عادها السيوف والرمح تسمع من خلالها أصوات الريح إذا مرت بها .

(١) لم أجد له ترجمة إلا ما نقله محقق الحماسة عن كتاب الجرح والتعديل أنه روى عن علي وعبد الله بن سمود وهذا يفيد أنه كان من التابعين .

انظر الحماسة ج ١ ص ٣٥٧ .

(٢) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٣٥٧ .

ولكن دعه من هؤلاء الصالحين وانظر إلى هؤلاء الفتيان الذين وقفوا في
ساحة المعركة للظمان والقتال وأبغضهم وصيتى هذه ه أكتبتوا أيها الأبطال في
ساحة القتال وأظهروا الصبر والجلد ولا تتلاعب فيكم أهواؤكم فتجنون وتغرون من
المعركة خوف الموت ه فإن لكل نفس كتابا مؤجلا لا تتقدمه ولا تتأخر عنه .

وأبو هلال العسكري^(١) بحث المرء على الشجاعة والإقدام وبزجره عن الجبن
خوف الموت يقول (١) :

لَا تَجْبَتَنَّ فَكَمْ جَبَانٍ مَحْجَمٍ
قَدْ مَاتَ مَوْتَ الْبَاسِلِ الْمَتَوِّبِ
وَلَيْتَنِي الْأَعْدَاءُ صُلْبًا صُلْبًا
وَلَيْتَنِي لِلْجُلَى لِقَابٌ قُلُوبِ
وَلَيْتَنِي فِي تَعَبٍ يَرُوحُ فِي رَاحَةٍ
إِنَّ الْأُمُورَ مُرِيحًا فِي الْمُتَعَبِ
...

فلا تنهيب أيها الانسان خوف الممارك وتجن خوف الموت أو القتل
فكم جبان هرب من أرض المعركة خوف الموت ولكنه له بالمرصاد فمات مثل الرجل
الكي البطل ه ولهلك منك الأعداء كل قتال شديد ه فاضربهم بالسيف الصفي
الذي قد شحذ حتى صار نافذا صاربا .

واسم أيها الانسان للمعالي بقلب بصير بتدبير الأمور وتقليبها ه واغد
إلى الأمور الجليلة التي لا تنال إلا بالتعب والمشقة لكن تصل إلى ذرى المجد
وتذوق طعم الراحة هناك فإن المرح من الأمور لا ينال إلا بالتعب والمجد .

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ه عالم أدب شاعر صاحب التصانيف
الشهيرة منها كتاب الصنائع ه الأوائل ديوان المعاني ه وله ديوان شعر مطبوع ه
توفي حوالي سنة ٤٠٠ ه . انظر ترجمته في : معجم الأدباء لهاوت الحموي ج ٨ ص ٢٥٨
وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) ديوان أبي هلال العسكري ص ٢١ ه جمعه وحققه جورج قناز ه المطبعة التعاونية
دمشق سنة ١٤٠٠ ه .

وبعد هذه الميرة مع شعر الوصايا الحربية في جانب الحث على خوض المعارك مع الشجاعة والإقدام والبعد عن الجبن والإحجام نرى أن الشعراء قد أوصوا القتالين بخوض الحروب دفاعاً عن النفس والعرض والشرف والسمعة، وأوصوهم بالاستعانة بأدوات الحرب مثل الدروع والسيوف الصقلية والخيول السريعة .

وأوصوا المرء الذي يصادف معركة أن يخوض غارها ولا يجبن ويهرب عنها خوف الموت لأن النجاة له بالمرصاد في أي زمان ومكان كان .

ولقد أوضح الشعراء الجاهليون للمحاربين أن نتيجة الشجاعة والافتدائهم هي الظفر أو الموت مهنة عزيزة في ساحة المعركة .

أما في المصور الإسلامية ^{فقط} تغيرت النظرة فبعد أن كانت غاية الحروب دينوية فقط ونتيجتها إما النصر والاستيلاء أو الموت بعيداً عن الذل والعار أصبحت غاية الحرب دينية ونتيجتها إما الفوز والظفر ونصر الإسلام وإما الاستشهاد في سبيل الله .

وقد أوصى الشعراء المجاهدين ببذل الأرواح في سبيل الله لإرضاء الله والدود عن الدين الخفيف .

وقد بين الشعراء للمقاتلين أن الموت لا يخطئ الجبان ويذهب إلى الشجاع بل الجميع سيوتون عندما تحين آجالهم لا يتأخرون عنها ساعة ولا يستقدمون .

قتال ونزال يحس في نهاية الأمر أنه ولد من جديد ولم يطر من عمره شيء .
وكبشة أخت عمرو بن معدى كرب (١) توصى قومها وتحشم على أخذ ثأرهم
من قتل أخيهما عبد الله وتنهاهم عن قبول الدية تقول (٢) :

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا حَانَ يَوْمُهُ
إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهُمْ دِيَّ
وَلَا تَأْخُذُوا بِهِمْ إِنَّمَا وَأَبْكَرًا
وَأَتْرَكَ فَيَبْتَ بَصْعَةً مَظْلَمٍ
وَدَغَ عَنكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مَسَالِمُ
وَهَلْ يَطْنُ عَمْرُو غَيْرِ مِثْرِ لِيَطْمَعَ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأْتُوا وَاتَّذَنْبْتُمْ
فَمَشُوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُسْلَمِ
وَلَا تَسْرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نَسَائِكُمْ
إِذَا ارْتَلَّتْ أَعْقَابُهُنَّ مِنَ الدَّمِ

...

فالشاعرة توجه الخطاب لقومها على لسان أخيها عبد الله فتقول : لما دنا
أجل عبد الله وقرب أرسل إلى قومه رسالة يوصيهم فيها بقوله : إياكم أن تأخذوا
بدل دي دية وعقلا فإن ذلك عار عليكم ، فكيف تأخذون دية وضبعة من صغار
الابل ولأبكار تبغون الغنى منها وأترك أنا في قبر مظلم ، فإن أخذكم بالثأر يسير
قبري ويضربه (٣)

-
- (١) كبشة بنت معدى كرب الزهيدى ، شاعرة صحابية وفدت على النبي صلى الله
عليه وسلم مع ابنها معاوية بن حديج ، وأبياتها هذه التي تحض فيها أخيها
عمرو قالتها في الجاهلية .
انظر الإصابة ج ٨ ص ١٢ والأعلام للزركلى ج ٥ ص ٢١٨ .
- (٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج ١ ص ٢١٧ تحقيق أحمد أمين ، وبعد السلام
هارون الطبعة الثانية ، طبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ
- (٣) هذا من اعتقاد انهم في الجاهلية . انظر شرح الحماسة للمرزوقى ج ١ ص ٢١٧

ودعوا عنكم أخى عمرا • فإنه سيرضى بالدية • ليستريح من الحرب والقتال
وأخذ الثأر وما أدرك كيف يقبل الدية ويأخذ تلك الإبل وبطنه لا يزهى عن شبيب
يمتلئ • بالنزر اليسير من الطعام •

وإن أنتم أيها القوم لم تقتلوا قاتلى وتغيدوه بدمى • فامضوا أدلاء مهانين
بآذان مجدوعة كأذان النعام • ولا تردوا المياه إلا بعد ورود نسائم لـ
واغتسالهن به من وضر الحيف والأذى وذلك نكابة بكم فليست بأهل للمكارم والرفعة
بل أنتم أهل للذلة والمهانة • وقد رضيت بها بقبولكم الدية •

ويقول • جعفر السبعمى ^(١) مخاطبا أحد ملوك اليمن وهو القيل زود
ابن يوسف يحثه على أخذ الثأر من قبيلة حرب بن ود لقتلها قتلين منهم ^(٢) :

فلا وأبيكُ سيف بن عمرو
كريم الخيم عمرو ذى كُبار
وعككنا يزهى أخى المعالى
إذا عدَّ المكارم للفخار
لئن يترك بنو حرب بن ود
على قنيل التهن والمزار
لنبتغين بحرب يوم غد
نرى فيه الكواكب بالنهار
فلا تقعد على ذل لملك
فإن الذل أكبر كل عار

(١) جعفر بن عرار بن مر بن السبيع الهذلي • لم أجد له سوى هذه الترجمة •
انظر شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٤٦ •

(٢) شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٤٦ جمع وتحقيق د / حسن عيسى
أبو ياسين • الطبعة الأولى • نشر دار العلوم بالرباط سنة ١٤٠٣ هـ •

فَمَلِكٌ قَبِيلَ مَلِكِكَ قَدْ تَوَلَّى
كَمَلِكِ الْقَبِيلِ مُحَمَّدَ ذِي مَقَارِ

...

فالشاعر يوجه وصيته إلى الملك فيقول له : إن أبائك ملوك كرام ذروا سجايا عظيمة يخشون الطهوف ويأخذون بالنار ، وكذلك عليك بهذا صاحب المعالي والعرف البرزخ ، وأنت أيها الملك سر على خطاهم ، واخذ بثأر هذين القتيلين ، المزيين وعرار .

فتريد حربا ضروسا نوقدها على بني حرب بن ود الذين قتلوهما ، يختلط فيها الليل بالنهار فيرون النجوم في الظهيرة من كثرة تطاير الغبار في السماء فيحجب نور الشمس ، وإياك والتواني أيها الملك عن أخذ الثأر فإن ذلك عار وذل لا يذهب أبدا .

واعلم أيها الملك أن سلطانك سينتهي ويؤول في يوم من الأيام مثل ما ذهب غيره ولن يبقى لك منه سوى المفاخر ، فلا تدنس ملكك بحار الجبن والمجز عن أخذ الثأر فيصير ذلك وصمة في جبينك إلى الأبد .

هذه النصوص السابقة جميعها من العصر الجاهلي أما في عهد صدر الإسلام فإننا نرى أن الشعراء قد أقلعوا عن هذا الأمر في الغالب ... ولعل ذلك راجع إلى التمسك المتين بالكتاب والسنة والابتعاد عن العصبية القبلية التي تذكى الحروب في غالب الأحيان ، والرضا بما يراه الوالي أو القاضي من قصاص أو عقاب .

ولكن لما قامت العصبية القبلية وأثيرت مرة أخرى رجع الشعراء إلى البحث على أخذ الثأر وعدم القناعة بالدية .

فهذا الفرزدق^(١) يحضى بني تميم لأخذ الثأر من بني أنس الذين قتلوا

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم التميمي ، عده ابن سلام في الطبقة الأولى من الإسلاميين في طبقاته ، وقد نسب الهجاء بينه وبين معاصره وابن قبيلته جرير بن عطية ، واختلف الناس في تقديم أحدهما على الآخر . مات سنة ١٦٠ هـ ويقال : إن سبب موته مرضه بسذا ت

أحد أفراد القبيلة يقول (١) :

يَا لَ تَيْسٍ إِلَّا لِلَّهِ أَمْسَكُمْ
لَقَدْ رُمِيتُمْ بِإِجْدَى الْمُصْطَلَاتِ (٢)
فَاسْتَقْبِرُوا بِثِيَابِ اللُّؤْمِ وَاعْتَرَفُوا
إِنْ لَمْ تَرَوْعُوا بَنَى أَنْصَى بِفَارَاتٍ
وَتَقْتُلُوا بِفَنَى الْفَتَيَانِ قَاتِلَهُ
أَوْ تُقْتَلُونَ جَمِيعاً غَيْرَ أَفْنَاتٍ
لِلَّهِ دَرَرٌ قَتَى مَسْرُوءاً بِأَمْلَأَ
بَهَقَمِ الْوَجْهِ مَكْسُورِ الشَّتَاتِ
رَاخُوا بِأَبْيَضٍ مِثْلَ الْبَدْرِ بِحُلْمِهِ
فَتَمُّ الْمُلُوجِ بِأَنْفَادٍ مُذِلَّاتٍ
...

فالشاعر يقول : يا بني تيمم هبوا من رقدتكم فقد رستكم بنو أنصى بداهية
دهية فقتلت أحد أفراد قبيلتكم ه ظلمنا وبغينا ه فوحدوا صفوفكم ه وشنوا الغارات
على بني أنصى وروعوهم لكي تأخذوا بثأركم وتقتلوا وانتركتم ه أو تهلكوا جميعاً
فتسلموا من العار والذلة .

وإن لم تأخذوا ثأركم وركبتم إلى الكمل ورضيتم بالدية ه فالبسوا ثياب اللؤم
واعترفوا بعجزكم عن أخذ الثأر .

ويحرض الشاعر في أبيات أخرى ه بني نيمر على أخذ الثأر ويحضهم على
قتال باهلة حتى يتم لهم ذلك ويحذوهم من قبول الدية لأنها رمز للذلة والمهانة

= الجنب .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٩٨ ه الشعر والشعراء ج ١ ص ١٧٨
والأنحاش ج ١ ص ٣٢٤ .

(١) ديوانه ج ١ ص ١٨٠ ضبطه وشرحه إيليا حاوي ه الطبعة الأولى ١٩٨٣ م ه دار
الكتاب اللبناني بيروت ه لبنان .

(٢) المصطلات : الدواهي .

يقول (١) :

أَجِيبُوا صَدَى جَلْدٍ إِذَا مَا دَعَاكُمْ
بِحُرِّ تَمَائِيں التَّلْجِيں فُحُولَهَا
عَلَيْهَا حُمَاةٌ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ
تَعَادَى بِهَا مَسْبَانُهَا وَكُفُولَهَا
أَتَقْتَلُكُمْ فَسَ عَجَزَ جَرْمٌ عَمِيدُكُمْ
وَلَيْكُمْ رَوَائِيں عَامِرٍ وَفُحُولَهَا
فَإِنَّ الَّتِي بَأَيْ الْأَسِيرِ عَلَيْكُمْ
لِقَاعِدَةٌ لِلْحَقِّ ضَاعَ سَبِيلُهَا
فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُ أَبَا عَمْرٍ تَفْتَرَى
بُوكِي وَلَا سُودًا تَصِحَّ فُحُولُهَا (٢)
وَأِنْ تَقْتُلُوا بِالْفَأْسِ يَحَى قَتِيلُكُمْ
وَأِلَّا فَإِنَّ الْفَأْسَ عَارَ قَتِيلِهَا

...

فالفرزدق يوجه هذه الوصية إلى بنى نمير فيقول لهم : من الواجب عليكم أن تجهبوا صدى فتاكم «جلد» الذى قتله باهله ، فأعملوا الحرب عليهم ، وتواثبوا على الجرد المسومة لى تأخذوا ثأركم وتقيدوا من وانترك فبأى حق تقتلكم باهله وهى فى مكانة العبيد بالمقابلة لعزكم وهزركم .

واعلموا أن هناك أسبابا كثيرة واضحة تمنعكم من قبول الدية وأهمها عزكم وفضائلكم وأباؤكم للضم ، ومن صور إباء الضيم أخذ الثأر ، فإياكم والرضى بالدية ، فإنكم لستم بحاجة إلى ابل تشتري منكم بضمن بخص أو مال كثير يوتى به إليكم وبعضه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) السود : المال الكثير .

رائف ، ولكن افعلوا القاتل بالقتل واستخدموا الأداة التي قتل بها فتاكم فإني
تقتلوه بالفساد يحيا قتلكم ويمسك صدى هاتمه . . وان لم تفعلوا ذاك فإن قتل
الفساد عار وخزي عليكم .

ويتواصل الحث على أخذ النار فعبد الرحمن بن مسافع^(١) يومئذ بنى عكل
على أخذ ثأرهم من بني أسد لقتلهم أحد أفراد قبيلتهم وكان المقتول نديما
للشاعر يقول^(٢) :

ويا راكباً إما عَرَضْتَ قَبِيلَتَيْنِ
على نَأْيِهِمْ يَتَى الْقَبَائِلِ مِنْ عُكْلٍ
بِأَنَّ الذِّى أَمْسَتْ تُجْمِعُهُمْ فَعَمَمَ
إِسَارٌ بِلَا أَسْرِ وَقَتْلٌ بِلَا قَتْلِ
وكَيْفَ تَتَأَمُّ اللَّيْلُ عُكْلٌ وَلَمْ تَتَلَّ
رَبِّى قَوْدٌ بِالسَّمْهَرِ وَلَا عَقْلٍ
فَلَا صُلَحَ حَتَّى تَنْحِيطَ الْخَوْلُ فِي الْقَنَا
وَتَوْفِدَ نَارُ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ
وَجُرْدٍ تَعَادَى بِالْكَأَةِ كَأَنَّهَُا
تُتْلَحِظُ مِنْ غَمَظٍ بِأَعْمِهَا الْقُبْلِ
عليها رجال جالدوا يومَ مَنَعِجٍ
ذوى الكُأَجِ فَرَأَبُو الطُّوكِ عَلَى الْوَهْلِ

(١) هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة شاعر اسلاى كان نديما للسهمري العكلى
اللى فلما قبض عليه وقتل بعد طول حبس أخذ يحرق عكلا على بني أسد
لأنها هى التى أخذته وبعثت به إلى السلطان ومنها الأبيات السابقة .
انظر الاغانى ح ٢٦ ص ٢٣٠ .

(٢) الاغانى ح ٢١ ص ٢٣٢ .

بشربٍ يزيلُ الهَامَ عن مُسْتَقَرِّهِ
وطمئِنِّ كَأَنَّهُ المَرْجَّةُ الهَدْلُ
...

فأخبر أيها الغادى إن مررت بنى عكل وصيتى هذه وقل لهم : اطمئنا أن
قتل فقمس للمبهرى ظلم وبغى فهى أسرته من غير مسوغ للأسر وقتلته من غير
جرم اقترعه ، فكيف تتامون هاتى البال قهرى الأعمى وإنتم لم تأخذوا بنار فتاكم .

وأيامكم وأخذ الديرة ولا يمكن بينكم وبينهم صلح بل أوقدوا نار الحرب
وأذكوها بالحطب الجزل ، وبالخيل السريعة التى قد وشب عليها الكنازة الأبطال
ذوى الخبرة الطويلة فى الكروا الفر ، فأضربوهم بالسيوف على رقابهم ، واطعنوهم
بالرمح لتصيبوا المقاتل وتصيب الدم من جراحهم كأَنَّهُ القرب المهدلة .

ثم يواصل الشاعر وصيته هذه الى بنى عكل ويصاثلهم لماذا يطبل دم
قتيلهم ، ويحذرهم من مغبة الكمل والتوانى فى أخذ النار يقول (١) :

عَلَامَ تُفَسِّى فَقَمَسَ بِدِمَائِكُمْ
وَمَا هِيَ بِالْفَرَعِ الْخَيْفِ وَلَا الْأَصْلِ
وَكُنَّا حَسِبْنَا فَقَدَمًا قَبْلَ هَذِهِ
أَذَلَّ عَلَى وَفَّعِ الْهَوَانِ مِنَ التَّغَلِّ
فَقَدْ نَظَرْتُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَسَلَّمْتُ
عَلَى النَّاسِ وَانْخَاضَتْ بِخَيْضٍ مِنَ الْمَحَلِّ
رَبِّ اللَّهَ نَى أَكْبَادِكُمْ أَنْ نَجْتَ بِهَا
فِعَابُ الْفَنَانِ مِنْ ضَعِيفٍ وَمِنْ وَغَلِّ

وإن أنتم لم تَنَازَرُوا بِأَخِيكُمْ
فَكُونُوا نِسَاءً لِلْخَلْقِ وَلِلْكُهْلِ
وَيَمِمْوا الرَّدِينِيَّاتِ بِالْحَلِيِّ وَاقْعُدُوا
عَلَى الذِّلِّ وَابْتَاعُوا الْمَغَارِلَ بِالنَّبْلِ
...

فما الأمر الذي سوغ لفقمس أن تذهب بدم قتلهم بلا قود ه وأنتم قبيلة
مهيبة وهى قبيلة وضيفة ضئيلة لا تمد شيئا بين القبائل .

وقد افترخت عليكم حين وترتكم ، وكانت قبل ذاك ذليلة مهينة ، فهى أول
على وقع الهوان من النهل * وصار لها سمعة بين الناس وذكر خصب بعد أن كانت
محللة مقفرة من المغاخر .

فهبوا جميعا يا بنى عكل وخذوا ثار صاحبكم فشدوا الحرب عليهم ولا
تجعلوهم يفرّون منهم ويتحصنون بأعلى الجبال والحصون النعمة فيمجزونكم .

وإن لم تستطيعوا أن تأخذوا بشاركم فليستم برجال ولا تستحقون صفات
الابطال وعليكم أن تصيروا حينئذ كالنساء اللاتي لا يصلحن للحرب والقتال
وإنما للكحل والطيب ه واستبدلوا برماحكم الردينية حلى تلبسونها على أعناقكم
تفشيها بالنساء لضعفكم ه واصبروا على الذل وأبدلوا سهامكم بمغازل تعملون بها
مثل نسائك .

وقصد الشاعر من وراء ذلك تنبيه أخذ الدية وبها نذلتها ومهانتها ه
وأنه لا يرضى بالدية بدل الثأر إلا الضعيف الجبان .

وبعد.. هذا ما استطعت جمعه من شعر الوصايا العربية فى جانب
الحث على أخذ الثأر ونرى أن الشعراء قد حثوا قبائلهم أو من يوصونهم على

قتال وانتهى بهم ليقنطروا منهم ويأخذوا بثأر مقتولهم • ونرى الصمراء يهتفون
على من يقبل الدية فيبرونهم بأقبح الصفات التي تنبئ عن ذلتهم ومهانتهم •
وانهم ليسوا أهلا للفخار والمعالى •

وقد بين الصمراء كذلك أن الدية مهما كرت فهي قليلة حقيرة
لأن المال ينفى وذكر العار يبقى أبدا الدهر •



٣ - الانذار من اقتراب العدو والحث على الاستعداد للمعركة :

حث الشعراء قبائلهم على الاستعداد لمواجهة العدو وأخذ الحذر منه ، وأندروهم من اقتراب عدوهم لكن يجمعوا أمرهم لمحاربتة واتخاذ كافة الوسائل التي تقطع الطريق على العدو، وبعض الشعراء قدم نصائح قيمة لقومه تعينهم على قتال العدو والانتصار عليه فلقيط بن يعمر الإيادي ^(١) يحذر قومه إبادة من كسرى ويخبرهم أن كسرى قد جمع لهم جيشا عظيما يقول ^(٢) :

سَلامٌ في الصَّحِيفَةِ من لَقِيطٍ
إلى من بالجزيرة من إبادةٍ
يَا نَّ اللّٰهَ كَيْتَرَى قَدْ أَتَاكُمْ
فَلا يَهْشِكُكُمْ سَوَى النِّقَادِ
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُّونَ أَلْفًا
يَهْجُونَ الْكَاتِبَ كَالْجَرَادِ
عَلَى حَنَقٍ أَتَيْنَاكُمْ فَهَذَا
أَوَانُ هَلَاكِكُمْ كَهَلَاكِ عَادٍ
...

فالشاعر يقول : إنني أفرقكم السلام يا إبادة وأحذركم من كسرى فقد أعد لكم العدو فلا تتشاغلوا عن حربه بجمع الماشية والمال ، فإنه قد جمع لكم جيشا عظيما تعداده ستون ألفا كالجراد لا يقع على شيء إلا أهلكه ، وقد عزم كسرى

(١) هو لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي شاعر جاهلي قديم مقل لا يعرف له شعر إلا قصيدته التي مطلعها : " يا دار عمرة من محتلبها الجوعا " وقطع أخرى من الشعر قليلة ، كان يحسن الفارسية فاتصل بكسرى فصار من كتابه ومترجميه المظلمين على أسرار دولته فلما أرسل بقصيدته السابقة إلى قومه قطع كسرى لسانه ثم قتله .
انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٠٥ والاعاني ج ٢٢ ص ٣٥٥ والموصل في
والمختلف ص ١٢٥ .

(٢) ديوان لقيط بن يعمر ص ٣٥ تحقيق د / عبد المعين خان .

على إهلاككم فهو حائق عليكم حنقا شديدا فخذوا حذرکم منه حتى لا يبيدکم
عن بكرة أبيکم فتهلكوا كما هلك عاد .

وللشاعر قصيدة طويلة أرسلها إلى قومه يوصيهم فيها بأخذ الحذر من
كسرى ويحضهم على قتاله ، وهى تعد من عيون الشعر العربى وقد ضمنها معانى
عديدة من أهمها بيانه صفات القائد الذى يجب أن يولى قيادة الجيش .

ويفتح الشاعر قصيدته هذه بقوله (١) :

يا دار عمرة من مُحتَلَّها الجرعا
هاجّت لى الهمّ والأحران والوجعا
وبعد مقدمة القصيدة يوجه الخطاب لقبيلة إباد فيقول :

بل أيها الراكبُ المُرَجِسُ على عجلٍ
نَحْوَ الجَهِيرَةِ مُرتاداً وَتُتَجَمَعَا
أَبْلَغُ إِياداً وَعَلَّلْ نَفْسَ سَرَاتِبِهِمْ
أَنْتَ أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قَدْ نَصَمَا (٢)
يا لَهْفَ نَفْسٍ أَنْ ثَانَتْ أُمُورُكُمْ
فَقَى وَأُخِمْ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالِكُكُمْ
أَنْمُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الذِّبَى سُرْمَا (٣)
أَبْنَاءَ قَوْمٍ تَأَوَّزُكُمْ عَلَى حَنَقِي
لَا يَفْعُرُونَ أَفْضَرَ اللَّهِ أَمْ نَفَعَا

(١) ديوانه ص ٣٦ .

(٢) خلل : خصص .

(٣) الذبى : صفار الجراد .

أحراراً فارس أبناء الطوك لهم
 من الجبوع جوع تزد هي القلما
 فهم سراج إليكم سمن ملتقيط
 شوكا وآخر يجني الصاب والعلما
 لو أن جمعهم راموا يهدتية
 ثم القمايح من ههلان لاندعا
 في كل يوم يمتون الحراب لكم
 لا يجمعون إذا ما غافل هجما
 لا الحرث يفتلهم بل لا يرون لهم
 من دون يفتكم رها ولا يبعما

...

فالشاعر يقول : فيها أيها الراحل بإبله ناحية الجزيرة تطلب الكلا أبلغ
 أماد ا هذه الوصاة وخص بها أشرافهم : فإني أوصيكم يا فارس بأن تأخذوا
 حذركم فإني أرى شرا قد اقترب منكم فاجمعوا أمركم ولا تتفرقوا ، فإن الفرس قد
 اجتمعت لقتالكم ، وكيف تختلفون وكسرى وقومه قد جمعوا لكم جموعا عظيمة كأنها
 الدبى في كثرتها . . . وقد عربوا على قتالكم لا متلاء قلوبهم حنقا ونظما عليكم
 واعطوا أنهم قوم لا دين لهم فلا يراقبون الله ولا يخافون منه ، وجميعهم
 تستخف بالصخور العظام على ضخامتها لكثرة عددهم وقوة بأسهم ، واعلموا
 أنهم قد أكلوا استعدادهم لقتالكم فهم بين رجل شاكى السلاح مستعد للنزال
 وبين آخر يمد السم ، فهذا الجمع صر على إهلاككم ، فلو أرادوا بجمعهم هذا
 أن يهدوا شهلان لا نصدع فكيف بكم أنتم ؟ ١١ .

وزيادة على ذلك فهم يمتون حرابهم ويحدونها في كل يوم ليمتوا
 استعدادهم لكم ولا ينامون إذا نام الغافل فلا هي يلهيهم عن حركم لاحت
 ولا تجارة ، بل إنهم يرون رزقهم في اجتثاث أصلكم من أساسه .

وبعد أن صور الشاعر لقومه قوة جيوش كسرى واستعدادهم لقتالهم أخذ يلفت أنظارهم إلى ما هم فيه من غلبة يقول (١) :

وَأَنْتُمْ تَحْرُثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفَمٍ
فِي كُلِّ مَعْتَلٍ تَبْفُونَ مَوَدَّعًا
وَتُلْقِيهِمْ حِيَالَ الْقَوْلِ آوِيَةً
وَتُسْتَجْمُونَ بِدَارِ الْقُلْعَةِ الرُّبْعَا
وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِكَةً
لَا تَفْرَحُونَ وَهَذَا اللَّيْثُ قَدْ جَمَعَ (٢)
أَنْتُمْ فَرِحَانِ هَذَا لَا يَقُومُ لَهُ
هَضْمُ اللَّيْثِ وَهَذَا هَالِكٌ صَفَا
وَقَدْ أَظْلَكَكُمْ مِنْ مَطَرٍ تَفَرَّكُمْ
هَوْلٌ لَهُ ظُلْمٌ تَغْفَاكُمْ قِطْمًا
مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فَرَسٌ بِلَهْنَيْفٍ
وَقَدْ تَرَوْنَ سِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعَ

...

يقول : ومع أن كسرى وقومه قد جمعوا لكم تلك الجيوع ولم يشغلهم شغل
عن حربكم أراكم في سفاهة وضلال من أيركم فتحثون الأرض في كل مكان يصلح
للعمل ، تهدون موضعا للزرع ، وتلقحون إناث الإبل تهدون نتائجها ، وتظهرون
الأسن فكانكم لستم خائفين من حرب أو عدو ، وكسرى قد جمع الجيوش لقتالكم ،
وبهادة على ذلك قد افترقتم إلى فرقتين فرقة لا تستطيع القيام بمقارعة الأبطال ،
وفرقة أخرى ساكنة لا تعمل شيئا من هول الصدمة تنتظر الموت وكأن صاعقة

(١) ديوانه ص ٤٢ .

(٢) هذا البيت ليس في الديوان وهو موجود في مختارات ابن الجبري ص ١١

أصابها فلا تستطيع بعدها حراكا ه فيها سراء إباد انتبهوا لأمركم فقد اقترب منكم هول عظيم يخشاكم على فترات عديدة متقطعة ه وإن أراكم غافلين عما يدبر لكم ويحاك ضدكم ه ساد رين في رخاء العيش ولينه وكأنكم لم تسمعوا بكسرى وقومه .

ثم بحث الشاعر قومه على الاستعداد للعدو بحشد الجيوش وجمع السلاح وإصلاحه يقول (١) :

فاسقُوا غَلِيلِي بِرَأْيِ مَنْكُمْ حَسْبُ
يَصْبِحُ فَوَادِي لَهُ رِيَانٌ قَدْ نَقَمَا
وَلَا تَكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَنِمًا
إِذَا يُقَالُ لَهُ افْرَجْ عَنْهُ كَمَا (٢)
يَسْمَى وَخَسِبَ أَنْ الْمَالَ مُخْلَدٌ
إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيفًا زَادَهُ جَفَمًا (٣)
فَانْصَرُوا جِهَادَكُمْ وَاحْمُوا ذِمَارَكُمْ
وَاسْتَفْعِمُوا الصَّبْرَ لَا تَسْتَفْعِمُوا الْجُرْعَا
صُونُوا جِهَادَكُمْ ه وَاجْلُوا سُوءَ فِكْكُمْ
وَجَدُّوا لِلْفَيْسِ النَّبْلَ وَالْقُرْعَا
وَاحْمُوا تِلَادَكُمْ فِي حَرَرِ أَنْفُسِكُمْ
وَحَزْزِ نِسْوَتِكُمْ لَا تَهْلِكُوا هَلَمَّا
وَلَا يَدْعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِئَابَسَ
كَمَا تَرَكْتُمْ بَاعِلِي بَيْهَنَةِ النَّهْمَا
...

(١) ديوان لقيط ص ٤٤ .

(٢) مكتع مختع ذليل ه وكع انقبس .

(٣) هذا البهت والذي بعده لهما في الديوان وهما في مختارات شعراء العرب لابن الفجرى ص ١٣ .

فها بنى قوس اطفئوا ما بجوفى من حرارة الغيظ والحزن لما سيمصكم من كسرى برأى محكم تسمرون فى ظلاله وتجمعون أمركم لمحاربة كسرى وقومه ، وإياكم واستشعار الذل والهوان فإن ذلك ما يقضى عزائكم ، فلا تكونوا كن صارذليلا مختشما لا يدفع الظلم عن نفسه فهو راض بذلك، وإذا دعى إلى أمر عظيم ليخرج فيه أو يدفع مصيبة كبح وانقبض ذلا وجبنا همه فى هذه الحياة جمع المال فمضى ما حصل على مال طريف ازداد شحنا وطمعا بحسب أنه سيخلده ، ولكن استعدوا لهذا العدو والغاشم فدربوا خيلكم على الحرب وخوض المعارك واحموا شرفكم وأموالكم وأرضكم وما يجب عليكم حفظه وليكن الصبر هو الغالب عليكم واحذروا من الجزع فلا يكن من طمعكم ، وصونوا جهادكم وحدوا سيوفكم وأصلحوا نسيكم بتجديد النبل والأوتار لها لكى تساعدكم على حرب كسرى فتكثروا القتل فيهم ، وصونوا أموالكم وإرثكم القديم ونساءكم فى قلوبكم وضنوا بها على الأعداء وابذلوا دنسها النفوس ولا تهلكوا جزعا وخوفا من الأعداء .

ويستمر الشاعر فى نصحه ووصيته لقومه بالاستعداد لكسرى وجميعه ويحثهم على أخذ الحذر والبعد عن اللهو والطمع يقول (١) :

أَذْكُوا الْعُيُونَ زَرَاءَ السَّيْحِ (٢) وَأَخْتَرُوا
حَقِّ تَرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعًا (٣)

(١) ديوانه ص ٤٦ .

(٢) فى الديوان " السيج " والتصحيح من مختارات شعراء العرب ص ١٥

(٣) ويهد بعد هذا البيت فى مختارات شعراء العرب لابن الهجرى ص ١٥

فإن غلبتم على حسن بداركم ■ فقد لقيتم بأمر الحازم الفزع
لا تلبسكم إبل ليست لكم إبل ■ إن العدو يحطم منكم قسرا
لا تشمروا المال للأعداء ■ إن يظهرها يجتوكم والتلاد مما
هيبت لا مال من زرع ولا إبل ■ يترجى لغا بركم إن أنفكم جدعا
والله ما انفكت الأموال مذ أهد ■ لأهلها إن أصهروا مرة تبعا
ما قوم إن لكم من إرث أو لكم ■ مجد اقد اغتقت أن يغنى وينقطعا
ماذا يرد عليكم عز أولكم ■ إن ضاع آخره أو ذل وانضمعا

فَلَا تَفَرُّتُكُمْ دُنْيَا وَلَا طَمَعٌ
لَنْ تَعْفُوا بِزِيَاغِ ذَلِكَ الطَّمَعِ
يَا قَوْمَ بِهِتْكُمُ لَا تُفْجَعَنَّ بِهَا
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْإِزْلَامَ الْجَذْعَا
يَا قَوْمَ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمْ غُرَبَاءُ
عَلَى نَسَائِكُمْ كَسَرَى وَمَا جَمَعَا
هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَصْلَكُمْ
فَمَنْ رَأَى يَثْلَ ذَا رَأْيًا وَمِنْ سِمَا
...

فالشاعر يقول : فخذوا حذركم من كسرى وأرسلوا الميئون والطلائع
لاستكشاف العدو ومعرفة قوته وجهته حتى تؤوب الخيل من مهمتها رجيمة شامرة
لسرعة عدوها • وإياكم أن تلهيكم الدنيا والأموال وتصرفكم عن التهيؤ للحرب فإن
الطمع لن ينفعكم فحافظوا على أصلكم لا تفجعوا به فإنني أخاف عليكم من الدهر
وغدرة • واحفظوا نساءكم من كسرى وجهته فإنه قد أعد العدة لاجتثاث أصلكم
من أسسه إن استطاع أو وجد ثغرة ينفذ منها لكم • فخذوا حذركم منه • فهل
أجد أحدا يرى مثل رأيي أو يسمعه فيعمل به ؟ ليهتني أجد ••

ثم يعطى الشاعر لقومه صفات الرجل الذي يقودهم في الحروب ويرجعون
إليه في أمورهم يقول (١) :

فَقُلُّوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرَكُكُمْ
رَحْبَ الدَّرَاجِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُظْلِمًا
لَا مَتَرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ
وَلَا إِذَا عَنَى مَكْرَهُ بِهِ خَفَعَا (٢)

(١) ديوانه ص ٤٧ •

(٢) في الديوان (لا مترفًا) •

- لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَمَعْنَهُ
 هَمْ يَكَادُ سَنَاهُ يَغِيْمُ الظُّلَمَا (١)
 مَسْهَدَ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُفَوِّرُكُمْ
 يَسْرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ يَطْلَعَا
 مَا انْفَكَ يَخْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَفْطَرَهُ
 يَكُونُ مُتِمًّا طَوْرًا وَمَتَمًّا
 حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى قَرْزٍ مَرِيئَةٍ
 مُسْتَحْكِمِ السَّنِ لَا قَحْمًا وَلَا خَرَمًا (٢)
 وَلَيْسَ يَشَغْلُهُ مَالٌ يُمَثِّرُهُ
 عَنَّمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْبِيْ لَهُ الرِّقْعَا
 كَمَا لِكَ مِنْ قَنَانٍ أَوْ كَهَاجِيهِ
 زَيْدُ الْقَنَا يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثِيْنَ مَمَّا
 إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ
 دَنْتُ لِحَنِّكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُخْطَجَمَا (٣)
 فَسَاوَرُوهُ قَالَفَنُوهُ أَخَا عَلِيٍّ
 فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرَّثِيَالُ وَالسَّبْعَا
 عَجَلَ الذَّرَاعِ أَبَيْتَا ذَا مُوَابَنَسَمِ
 فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا يَكْمًا وَلَا وَرَمَا
 مُسْتَجِدًّا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ
 لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحَابِيهِمْ قَرَعَا
 لَقَدْ بَدَلْتُ لَكُمْ نَحْيِيْ بِلَا دَخَلِ
 فَاسْتَيْقَظُوا إِنْ خَوَّرَ الْعِلْمُ مَا نَفَعَا

(١) هذا البيت ليس في الديوان - مختارات الشعراء العرب ص ١١
 (٢) في الديوان مؤخر عن ما بعده
 (٣) في الأصل فقلت لموا التصحيح من الهامش رقم ٦ في الديوان ص ٤١
 ومختارات شعراء العرب ص ٢١

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمِنْ سَمِعَا

...

فالشاعر يقول : قولوا أمركم رجلا شجاعا عظيم القوة عند الشدائد عالما بأسرار الحرب يحسن الكر في موضعه ويجهد الفر في وقته ، لم يعرف الترف والكمال إليه سبيلا حتى في حال يسره ولم يجد الخوف والخضوع إلى قلبه سبيلا حتى مع نزول الشدائد عليه وعلى الزمان له ، قليل الرقاد لم يذق للنوم العميق طعما لاهتمامه بأمركم واشتغاله بشأن ثغوركم يبحث عن فجرة في أحد ثغور العدو ، ليباغتهم من خلالها .

وليكن هذا القائد رجلا خبيرا مجربا قد عركته العنود ومرت عليه ضروب من الخير والشر فاستحكم أمره وقويت شكيمته وحسن رأيه فليس برأى شيخ مهتر ولا رجل ضعيف جبان ، وليس له مال يلهيه ويغفله عن أمركم أو ولد يطلب له العز والرفعة .

وليكن هذا القائد مثل مالك بن قنان الرجل الشجاع صاحب الرأي والفكر معا فقد انتقصه بعض الرجال فرد عليه بقوله أحسن الاستعداد للأمر قبل الوقوع فيه ، فوائتبه فوجدوه رجلا خبيرا بالحروب أجا ورد في الحرب مرة بعد مرة ، شجاعا مقداما يصيد السباع والأسود قوى الساعد ذا مدافعة وعراك وذا إباء للضيم والذل غير عاجز عن القتال ولا جباناً يخاف الموت .

هذا .. واعلموا أني قد بذلت لكم نصحي جهدي طافقي وأخلصت لكم فيه فانتهبوا لأمركم واستيقظوا من نومكم واعملوا بما أعلمتكم به فان خير العلم ما نفصح صاحبه .

وهذا فهم بن مسعود الشيباني ^(١) يوجه وصية الى قومه عندما قبل عليه كسرى يحذرهم منه ويقول ^(٢) :

أَلَا لَيْتَنِي أَرَشَوُ سِلَاحِي وَبَغَلَتِي
لَمَنْ يُخَيِّرُ الْأَبْنَاءَ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ
فَأَوْصِيَهُمْ بِاللَّهِ وَالصَّالِحِ بَيْنَهُمْ
لَيْتَنِي مَعْرُوفٌ وَبَزَجَرُ جَاهِلٍ ^(٣)
وَصَاةَ أَمْرِئٍ ۚ لَوْ كَانَ فِيكُمْ أَعَانَكُمْ
عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ فِيهَا الْغَوَائِلُ
فَيَأْكُمُ وَالطَّفَّ لَا تَقْرُبَنَّاهُ
وَلَا الْبَحْرَ إِنْ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ وَاصِلٍ ^(٤)
وَلَا أَحْبَسَنَكُمْ عَنْ بِنَا الْخَيْرِ إِنِّي
سَقَطْتُ عَلَى شِرْطَامَةٍ فَهِيَ أَكْبَلُ

...

فالشاعر يقول : ليتني أقدر على مكافأة من يبلغ وصيتي هذه قوس أبناء بكر بن وائل فأوصيكم بتقوى الله وإصلاح أمركم وأجمعوا كلمتكم واتحدوا حتى تتمكنوا من الأخذ بنصيحة المعروف وزجر الجاهل ۚ ولو كنت فيكم لأعنتكم على صروف الدهر وتقلباته ۚ وخذوا حذركم من كسرى فلا تقربوا الحدود المتاخمة لبلاده ولا البحر

(١) هو فهم بن مسعود بن فهم بن خالد بن عبد الله ذي الجدين شريف فاضل ۚ كان عاملاً لكسرى على الطف وقد ضمن له أحداث بكر بن وائل فتعبث بكر بأصحاب كسرى فحبسه حتى مات .
انظر الأغاني ج ٢٤ ص ٥٤ ۚ ومعجم الشعراء ص ٣٢٤ والأعلام ج ٥ ص ٢٠٨ .

(٢) الأغاني ج ٢٤ ص ٥٨ .

(٣) نصاً : أخذ بنصيحته .

(٤) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

لأنه سهل إليكم إن علم بكم • ولا يمشلكم شأني وصيري عن شئون حياتكم
وابتغائكم الرزق فإني وقعت بين برائته فهو آكفي لا محالة •

والأُسُفُع الأُرْحَبِي (١) يحذر قومه من حِمَيرٍ وأحلافها فقد يقدرون بهم
ليقتلونهم يقول (٢) :

لَا تَتْرُكُكُمْ ذُو رَعِينٍ وَسَكَمَكُ
وَلَا مِنْ سَكُونٍ بَيْتِ سَعْدِ بْنِ عَامِرٍ
وَلَا ذُو الْكَلَّاحِ الطَّالِبُونَ بَنَاتِهِمْ
إِذَا أَنْكَتَهُمْ وَنَبَتْهُ التَّقَاصِيرُ
وَلَا يَفِجُ تَفْجِيسٌ وَلَا هِيَ تَرْغُمُ
وَمِنْ ذِي نُوَابِسٍ كُلِّ أَنْبَلَجٍ وَغَيْرِ
...

فالشاعر يقول : إن قبيلة حمير ومن حالفها من كدة لن يدعوكم أو ينفلوا
عنكم فهم يترصون بكم ويتحينون غلة منكم ليثبوا عليكم وثبة تهلككم • وقد جمعوا
لقتالكم الجيوش العظيمة فخذوا حذركم واحموا أهلكم وذماركم • ولا تغفلوا فهتدر
بكم •

والفرزدق يوجه وصية إلى الخليفة الأموي وآل بيته من آل مروان يبين
لهم فيها ضياع الثغور واقترب العدو من تلك الجهة ويحثهم على صيانة الثغور
وتعزيز جيوشها وأخذ الحذر من العدو المترص يقول (٣) :

-
- (١) الأُسُفُعُ بن الأُوْبَرِ بن عوذ بن علوي الأُرْحَبِي البكيلي سيد شريف شاعر وفارس
انظر شعره دنان في الجاهلية والاسلام ص ٢٣٤ •
- (٢) شعره دنان في الجاهلية والاسلام ص ٢٣٦ •
- (٣) ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٥٥ •

يَا قَاتِلَ اللَّهِ لَيْلًا كَتَّ أَحْرُسُهُ
 لَدَى الْخُرَيْبَةِ مَا يَمْضِي فَيَنْحَسِرُ
 يَا آلَ مَرْوَانَ إِنْ الثُّغُورَ فَاَنْتَبَهُوْا
 قَدْ ضَاعَ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَنْكُمُ لَهُ غَيْرُ
 لَا يَصْلَحُ الثُّغُورَ الْاَكْلَ مَحْتَنَكُ
 ضَخَمَ الدَّسِيمَةَ أَوْصَامُهُ ذَكَرُ

...

فالشاعر يقول : ما أطول هذا الليل الذي يشه في هذا المكان الخريبة
 فقد أبى أن يذهب فكلمنا توهمت أنه مضى رجع مرة أخرى لشدة خولى ورهبتى
 فهو موضع غير آمن .

فانتبهوا يا آل مروان لهذه الثغور فإنها قد ضاعت وضعفت شوكتها
 وستفقدونها إن لم تنبهوا لنجدتها وتغاروا عليها وتوجهوا إلى هذه الثغور
 فإلّا شجاعا يصلح شأنها ويحافظ عليها من الأعداء إن هتأوا بالإغارة عليها
 ولتعدوا للجنود العدة اللازمة للقتال فالثغور لا يصلحها إلا البطل الكس
 المغوار ، والسيف القاطع الباتر .

وبعد هذا ما توصلت إلى جميعه من الوصايا التى وجهها الشعراء فى
 جانب الإنذار من اقتراب العدو والاستعداد للمعركة ، فنرى أن الشعراء قد
 حذروا أقوامهم من دنو الأعداء لبلادهم وحثوهم على أخذ الحذر والاستعداد
 لمواجهة ومحاربتهم ، وترك اللهو وجميع المال وزرع الأرض ، كما بين بعضهم
 صفات القائد التى يجب أن يتصف بها من بلى أمورهم ويقودهم فى الحروب كما
 حذر بعضهم الخلفاء من ضياع الثغور الإسلامية وأوصاهم بإصلاحها واسناد أمرها
 إلى رجل شجاع ليعصها الأعداء ، واعداد العدة الحربية للجنود من سيوف
 ودروع وغيرها .

الفصل الثاني
في الوصايا الإلهية

١. الحق على الصلوات والإيمان والتمسك بالله
٢. الحق على معاملة الإخوان والمسلمين والإغنياء والفقراء
٣. وصايا العلاقات الاجتماعية الخاصة.

الوصايا الإخوانية

للسداقة والأخوة منزلة عظيمة في نفوس العرب فلذلك كثروا حديثهم عنها
وقد ألفت كتب تتحدث عن الصداقة والصديق ومعاملة الإخوان واصطفائهم وأهمها
وأعظمها شهرة كتاب " الصداقة والصديق " لأبي حيان التوحيدي .

وقد مر بنا في الفصل الأول من هذا البحث حديث عن الصداقة وذلك
عندما بحث الشعراء على اصطحاب الأخيار واجتناب اللئام ، وكذلك في الفصل
الثاني عندما أوصى بعض الشعراء أبناءهم بمعاشرة الفضلاء والبعد عن السفهاء
وفي هذا الفصل سأفرد الحديث عن شعر الإخوانيات .

وأقصد بالوصايا الإخوانية الشعر الذي يوصى به الشاعر المرء على اتخاذ
الإخوان واصطفائهم والحرص على مواعاة الأخيار والبعد عن اللئام ، وكذلك
يوجهه إلى المعاملة المثلى للأخوان والأصدقاء وعدم إدامة العتاب لهم ، لكس
يدوم ما بينهم من ود ومحبة .

وبدخل تحت هذا القسم أيضا الوصايا التي يوجهها الشاعر إلى أحد
إخوانه أو أصدقائه قاصدا من ذلك نصحه وتوجيهه أو عتابه .

١ - الحث على اصطفاة الإخوان وحسن اختيارهم :

لقد حث الشعراء على اتخاذ الإخوان ومعاشرتهم سواء كانوا من الأقرباء في النسب أو البعداء لأن الأخوة الصادقة عقد للمرء وساعد له يقويه على مواجهة ما يعترضه من مصائب ومشكلات في هذه الحياة وقد بين الشعراء من الرجل الذي يستحق الأخوة ويكون سنداً وعضداً لأخيه في وقت الشدائد ويتطابق فعله قول الشبل العربي " رب أخ لك لم تلده أمك " (١) .

فمسكن الدارسي (٢) يوصي الإنسان باتخاذ الإخوان ، ويرى أن حاجة المرء للأخ مثل حاجة الطائر للجناح يقول (٣) :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّمَا لَا أَخَا لَهُ
كَسَّاعٍ إِلَى الْهَهْجَا بَغِيرِ سَلَاخٍ
وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَأَغْلَمَ جَنَاحُهُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بَغِيرِ جَنَاحٍ
...

أى عليك أيها الإنسان أن تعرض على موأخاة إخوانك وملازمتهم ولا تكن فرداً واحداً لا أخ لك لأن الإنسان الذي لا صاحب له ولا صديق كالمرء الذي يشد الخطأ إلى أرض المعركة وهو أعزل السلاح .

(١) مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارسي ومسكن لقب غلب عليه ، شاعر أموي شريف ، سيد من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كف عنه ، وكان صديقاً ليزيد بن معاوية ، وكان يزيد يوثقه .
انظر الشعراء والشعر ج ١ ص ٥٥١ ، الأغاني ج ٢ ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٧ لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط الثانية نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧١ م .

واعلم أيها الرجل أن ابن عمك هو ساعدك الأيمن وجناحك الذي تعتمد عليه فهل رأيت بازها نهش واستطاع أن يطير بغير جناح .

وبعد ذلك يضيق الشاعر برسا بالذي ينقلب على صديقه وينكره فيدعو عليه يقول (١) :

لَحَا اللَّهُ مِنْ بَاعِ الصَّدِيقِ بِخَيْرِهِ
وَمَا كَلَّ يَبِيعُ بَعْتَهُ بِرَبِّهِمَا
كَفَسِدِ أَدْنَاهُ وَهَلِيمِ غَيْرُهُ
وَلَمْ يَأْتِزْ فِي ذَاكَ غَيْرُ صَلَاحٍ
...

يقول الشاعر : فَبِحَ اللَّهِ وَلَعِنْ مِنْ أَفْسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَدِيقِهِ وَبَاعَ مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ لَا يَسْتَحِقُّ الْوَدَّ وَلَا الْأُخُوَّةَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَيْعَ لَيْسَ بِرَاجِحٍ بَلْ هُوَ بَيْعٌ خَاسِرٌ غَادِرٌ ، وَهَذَا الْبَائِعُ صَدِيقُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَفْسِدُ نَفْسَهُ وَلَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِهَا وَلَكِنَّهُ يَصْلَحُ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ وَهُوَ لَمْ يَشَاوِرْ فِي ذَلِكَ رَجُلًا عَاقِلًا ، بَلْ اقْتَصَرَ عَلَى رَأْيِهِ وَمَشُورَةِ عَقْلِهِ .

والشاعر عبد الله بن معاوية يطلب من المرأة أن يحرص على أخوة وصاحبة الثقات والفضلاء يقول (٢) :

عَلَيْكَ يَا خَوَانَ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ
قَلِيلٌ فَيُصْلِحُهُمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ
وَمَا الْخِدْنَ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُّهُ
وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) شعر عبد الله بن معاوية ص ٣٠ .

فاحرص أيها الانسان على أخوة الثقة وصاحبهم ، وافض حوائجهم
وصِلهم ونفِّلهم على جميع أصحابك لأن الثقة من الناس قلائل فلا تفرط
فيهم .

وما صاحبك أيها المرء إلا من أضى لك المودة وأخلص لك فيها ونصح لك
وإن كنت غائبا .

وفي بيتين آخرين يطلب الشاعر من المرء أن لا يصاحب إلا رجلا كريما
مطيحا له يقول (١) :

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَا جِدَّا * ذَا عَفَايَ وَحَيَايَ وَكَسَمِ
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ (لَا) إِنْ قُلْتَ لَا * وَإِذَا قُلْتَ (نَعَمْ) قَالَ نَعَمْ

...

فإذا صحبت أحد أ أيها الرجل فاصحب الفاضل ذا العفة والحياء والبذل
والكرم المطيع لك الذي لا يخالف رأيك رأيتك تعنتا فإذا قلت في شيء لا أجاب مثلك
وان قلت نعم قال بها فلا يخالفك ولا يتعنت ويصر على رأيك الذي يراه .

وللشاعر بيتان آخران - أيضا - يطلب فيهما من المرء أن يختبر الرجال قبل
مواخاتهم يقول (٢) :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ
وَتَوَسَّعَ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدَ
فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا الْعَفَافَةِ وَالشَّهَى
فَبِهِ الْهَدْيُ - قَبْرَ عَيْنٍ - فَاشْدُدْ

....

(١) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

فالشاعر يقول : عليك أيها المرء أن لا تصاحب أى إنسان إلا بعد أن تهلوه
وتختبره ، وتتفقد أحواله وأموره . فإن رأيت أنه صاحب عقل راجح ورأى سديده
ودنو غفة ، وحياه ، فاشدد يدك عليه والزمه فهذا هو الذى تقر به عين المرء
ويحسبه على أموره . وما يعتره من حوادث فى هذه الحياة .

وأبو محمد الزهيدى كذلك يطلب من الانسان أن لا يصاحب إلا رجلا
فاضلا ، وعليه أن يتبين أحواله قبل مواعاته له يقول (١) :

أَلَا إِنَّ إِخْوَانَ الثَّقَاتِ قَلِيلٌ
فَهَلْ لِي إِلَى ذَاكَ الْقَلِيلِ سَبِيلٌ
فَمَنِ النَّاسَ تَعَرَّفَ غَشَّيْمٌ مِنْ سَمِينِهِمْ
فَكُلٌّ عَلَيْهِ شَاهِدٌ وَدَلِيلٌ
...

يقول الشاعر : إن الأخوان الثقات الذين يخلصون لصاحبهم ويصنون له
المودة قليلون فى هذا الزمن ، وليت شعرى . هل من سبيل يوصل المرء إلى
هؤلاء الثقات القلائل ليقتارنهم ويحرف نفسه بهصاحبه إياهم .

وعليك أيها الانسان أن لا تصاحب أحدا إلا بعد أن تتحنه وتقيس
أخلاقه بمقاييس فاضلة لكى تعرف الفاضل من الرجال وتميز بينه وبين اللئيم ، لأن
كل إنسان عليه شاهد من أخلاقه ودليل على إحسانه أو إساءته ، فإذا عرفت
الصالح من الطالح فالزم صاحب الأخلاق الفاضلة وليكن هو أخاك وصدقك .

أما دعلج بن على الخزاعى فانه يوصى المرء أن لا يوافق إلا الثقة العاقل
يقول (٢) :

(١) شعر الزهيدى ص ٦٤ .
(٢) ديوان دعلج ص ١٠٨ .

وَلَا تُعْطِ وَدَّكَ إِلَّا الثَّقَاتَ
وَصَفَوِ الْمَوَدَّةَ إِلَّا لَبِيبًا

فلا تواع إلا الرجل الثقة الفاضل وابتمد عن اللئيم الخائن لأنه لن يدوم لك على ود ، ولا تصف المودة إلا لماقل يرى حقوقها ويحافظ على المودة ويبادلك بها .

والبحترى يبين للرجل العاقل طبيعة بعض الأخوان وهي التصنع ففى المودة البنى على النفاق فيحت المرء بالابتعاد عنهم ويأمره بالحرس على أخوة الرجل الصادق صاحب النهج السوى يقول (١) :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تَنْكِرُهُ ■ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بُسْرِ
تَصْنَعُ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ ■ يَلْقَاكَ بِالْزُخْبِ وَالْبُشْرِ
يُطْرِى الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءُ وَيَلُ ■ حَقَّ الْغَدْرُ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرُ
فَإِذَا عَدَا وَالذَّهْرُ ذُو غَبِيرٍ ■ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْتَضَ بِإِجْمَالٍ أَخُوهُ مَنَّ ■ يَقْلُ الثَّقْلَ وَيَحْقُقُ السُّقْرَى
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالِهِ وَاحِدَةٌ ■ فِي الْهَسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْعُسْرِ
لَا تَخْلُطُنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ ■ مَنْ يَخْلُطُ الْعَقِيَانَ بِالصَّفْرِ

...

يقول الشاعر : كثير من الإخوان والأصدقاء يدنو منك أيها المرء إذا كنت صاحب ثروة ومال عظيم ، ويتصنع لك المودة ، وإذا رآك رحب بك وهش ففى وجهك ، وتجد أكثر حديثه عن الوفاء وصاحب الوفاء ويهدى إعجابه بذلك ويغنى الغدر والغادر ويقلبه ، ولكن إذا انقلب حالك إلى سوء وغاك إلى فقر انقلب مع الدهر وصار عوناً له عليك وابتمد حك وهرب ، فعليك أيها المرء أن تحذر من

(١) ديوان البحترى ج ٢ ص ١١٠٤ .

هو لاء اللقا ذوى الأطماع المادية الذين يودون صاحب المال ويقدرونه ويغضون
المقل الفقير ويهينونه ، وارغض أخوتهم ومصاحبتهم ، ولكن احرص على مواعاة
الرجل الفاضل الذى يسير على منهج واضح وحالة ثابتة فهدنوك إن كنت
صاحب مال أو فقيرا فالأمر عده سببا لأنه لا ينظر إلى المادة والمال ويجعلها
سببا فى القرب والبعد ، ولا تخلط بين هذا صاحب الصادق وبين ذلك
المنافق صاحب الأطماع فهل رأيت انسانا خلط بين الذهب والنحاس .

وبعد هذه المسيرة مع شعراء الوصايا الاخوانية فى حشهم على اصطفا
الاخوان وحسن اختيارهم ، نرى أن الشعراء حثوا على الأخوة وبنوا أن الأخ
بالنسبة للمرء بمنزلة السلاح للمحارب ، وحثوا على أخوة الرجال الفضلاء الثقات
ذوى الأخلاق الحسنة وأوصوا المرء كذلك على اختبار الرجال قبل مواعاتهم لأن
الرجال الثقات فلائل والواجب على المرء أن يحرص على هؤلاء ، وأوصوا المرء
بالابتعاد عن أخوة الرجال المتقلبين مع الدهر ذوى الأطماع المادية وكذلك
أمره بالابتعاد عن أصحاب الأخلاق الدنيئة والمعوآت الفاسدة .

٢ - الحث على حسن معاملة الإخوان ومدايراتهم والافشاء عن هفواتهم :

لقد حث الشعراء على حسن معاملة الاخوان ، وأوصوا المرء بذلك وبينوا له أن من الواجب عليه أن يغض عن هفوات إخوانه وأن لا يدين العتاب لهم لأن ذلك مدعاة للفرقة والتنازع .

فالشاعر سابق البربري يبين للمرء أن ادامة العتاب للاخوان يسبب تفرقهم عنه ويصير وحيدا لا صديق له يقول (١) :

إِذَا مَا كُنْتَ طَالِبَ كُلِّ ذَنْبٍ
وَلَمْ تَحْصُلْ أَغَاكَ مِنَ الْعِتَابِ
تَبَاعَدَ مِنْ تَبَاعَدَ بَعْدَ قُرْبٍ
وَصَارَ بِكَ الزَّمَانُ إِلَى اجْتِنَابِ
...

فإن كت إليها الانسان ستقف عند كل زلة يقع فيها أخوك وتعاتبه عليها وتغضب من أجلها تفرق عنك أصحابك وغلانك وابتمدوا عنك بعد أن كانوا ملتفين حولك ، وأعقبك دوام العتاب حسرة وندامة ، وستقعد في آخر الأمر وحيدا يتحاشى اقترابك الناس لكثرة ما توجهه من لوم وعتاب وكثرة حساب ، فعليك أن تغض عن أخطاء إخوانك لكي تضمن بقاء ودهم واستمراره .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فإنه يوصي الإنسان ألا يزهده في أخيه لمجرد خطأ اقترفه يقول (٢) :

لَا يَزِيدُ نَفْسِي أَحْ ۞ لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلَّةً
مَا مِنْ أَحٍ لَكَ لَا تَعِبْ ۞ بَ وَلَوْ حَرَصْتَ عَلَيْهِ خَلَّةً

(١) شعره ص ٩٣ .

(٢) شعره ص ٧٣ .

فلا يزهّدك في أخيك أيها الرجل خطأ واحد يخطئه أو زلة غير مقصودة منه ولكن اصفح عنه وسامحه ، لأنك لن تجد لك أخا لا يخطئ ، أبداً فكل في نفسه خصلة ، غير مرضية فالنقص من طبائع النفوس البشرية لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى .

والشاعر المغيرة بن حنينة ^(١) يوصي المرء كذلك بالصفح عن أخطائه الصديق وعدم إدامة العتاب له يقول ^(٢) :

خُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُ
وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تُعَاتِبُهُ
فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مَهْذَباً
وَأَيُّ امْرِئٍ يَنْجُو مِنَ الْعَيْبِ صَاحِبُهُ

اصفح أيها الإنسان عن زلات صديقك واعتقر خطاياك التي تسمى "إليك وتصلك عاقبتها ولا تكن كثير اللجاج والمعاتبة لأخيك ، لأن معاتبتك له في كل صغيرة وكبيرة تؤدي إلى فساد الأخوة فيما بينكما ، واعلم أنك لن تجد أخاً مهذباً خالصاً من كل العيوب لأن كل إنسان فيه خصلة غير حميدة ، ولن ترى إنساناً له صديق كامل خالص من العيوب .

أما الشاعر سالم بن وابصة فيرى أن الصفح عن زلات الصديق من المهم

(١) هو المغيرة بن حنينة وحنينة لقب أمه واسمها ليلى - فهو المغيرة بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف التميمي - ويكنى "أبو عيسى" شاعر أموي أنفذ شعره في مدح المهلب وبنه وخلد مآثرهم وذكر حروبهم للأزارقة ، وكان بينه وبين زهاد الأعجم - مناقضات ، مات قتيلاً .
انظر الشعر والشعراء - ج ١ ص ٤١٣ ، والأغانى - ج ١٣ ص ٨٤ ، ومعجم الشعراء - ص ٣٦١ .

(٢) الأماشي لأبي علي الفاي - ج ٢ ص ٢٥٦ .

الكرام ومن أخلاق الفضلاء فيوصي المرء بأن يتصف بها يقول (١) :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَدْعَى كَرِيماً مُكْرَماً
أَدِيباً ظَرِيفاً عَاقِلاً حُوراً
إِذَا مَا أَتَيْتَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُخْتِلاً لِزَلَّتْ عُدْرَا

فالشاعر يوصي المرء ويقول له : إن أردت أيها الانسان أن يشار إليك بالبنان من قبل الناس جميعاً ، لحسن أخلاقك وأدبك الجم وعقلك الراجح فاعف عن زلات أخيك ولا تعاتبه عليها، واحتل في إيجاد عذر لزلة لك تحملها عليه ، فان هذه الخصلة من أهم الصفات التي توهمل المرء للمعز والمجد .

أما بشار بن برد فإنه يحذر المرء من كثرة العتاب للأصدقاء لأنهم سيفقدونهم جميعاً في هذه الحالة وسيغضبونه لسوء خلقه يقول (٢) :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَدَى
ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَفَارِقُهُ

...

فإن كنت أيها المرء ستعاتب أخاك في كل أمر يعمل به وهو لا يرضيك سواء أكان صغيراً أم كبيراً ، أبغضك أخوانك ، وابتعدوا عنك فتصير فرداً لا أخ لك ولا صديق

(١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٥٢١ .

(٢) ديوانه ج ١ ص ٣٢٦ .

فأرض بهذه النتيجة الحتمية واقع بها • أو حسن خلقك وصل اخوانك وألن جانبك لهم ولا تكثر معاتبتهم • لأجل أن يكثر حولك الاخوان •

واعلم أن أى صديق لك سيفترق ذنباً فى يوم من الأيام • وستجده يبتعد عنه فى مرة أخرى فهذه بتلك ولا تؤاخذ من جانب الإساءة وتتحس جانب الإحسان •

وتدبر هذه الحكمة واجعلها نصب عينيك • وهى إن لم تشرب الماء الكدر مرات عديدة ستظلم فى يوم من الأيام لعدم وجود الماء الصافى النقى دائماً ومن الرجل الذى تصفو مشامره فى هذه الحياة الدنيا على الدوام • فعلى ذلك • اقبل إساءة صديقك بصدر رحب واحتملها منه مرات عديدة فإنك إن لم تقبل ذلك منه تفرق الناس عنك وابتعدوا منك لعدم تحملك لهم •

ومحمود الوراق^(١) يوصى المرء بأن يغفل عشرات صديقه ويصنع عن زلله يقول^(٢) :

لَا يَزِ أَعْظَمُ مِنْ مَّسَاعِدَةٍ « فَأَشْكُرُ أَخَاكَ عَلَى مَسَاعِدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا فَأَقْلَبُهُ هَفْوَتَهُ « حَتَّى يَعُودَ أَخَاً كَعَادَتِهِ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ « أُنْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ

...

اعلم أيها المرء أن من أعظم وجوه البر مساعدة الصديق صديقه • فإذا ساعدك أحد أصدفائك فاشكر له هذا العمل النبيل ولا تنس فضله ومعروفه عليك •

(١) هو محمود بن الحسن الوراق الشاعر • شاعر عباسى • أكثر شعره أمثال وحكم ومواظ وأدب وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس • توفي حوالى سنة ٢٣٠ هـ •

انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٦٦ • وتاريخ بغداد ص ١٢٣ ص ٨٧

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٣ •

وإن هفا هفوة أو اخطأ عليك فاصنع عنه ، واسترطه حتى يعود إلى أخلاقه الحسنة التي عرفتها منه فالصنع عن أخطأ صدقك وزلاته وإن شق عليك خير لك من معاندته ومعابته التي قد تؤدي بكما إلى اللجاج والمعاندة فيصير أمركما وودكما إلى الفقرة والتباعد .

وللشاعر سعيد بن حميد ^(١) وجهة نظر في معاملة الإخوان مغايرة لما سبق حيث يقول ^(٢) :

إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبٌ مِنْ خَلِيلٍ
فَقِفْهُ بِسِنَّ وَصَلِيٍّ وَاجْتَنِبِ
وَأَنْظِرْهُ ، فَلَا يَسَامِ حُنُومٌ
بِذَلِكَ كُلِّ مَا عَنِ الْعَزْمِ نَابِسِ
وَعَاتِبَهُ ، فَكَمْ أَبْدَى عِتَابٌ
جَلِيلَةً مُفَكِّلٍ بَعْدَ ارْتِمَابِ
وَبِحِ النَّفْعِ فِي الْإِعْرَافِ عَنْهُ
إِذَا أَخْفَقْتَ مِنْ نَفْعِ الْعِتَابِ
وَرَاجِعُهُ بِتَفْعِكَ حِينَ يَشْنِي
عَنَانًا لِلرَّجْزِ أَوْ الْإِهَابِ
فَإِنَّ الْعَفْوَ عَنْ ذِي الْحَزْمِ أَوْلَى
إِذَا قَدَرْتَ هَذَاكَ عَلَى الْعِقَابِ
فَإِنَّكَ وَاجِبٌ لِلْحَقِّ ذَنْبًا
وَتَعْدَمُ ذَنْبٌ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ

- (١) سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر ، يكنى بأبي عثمان ، من أولاد الدهاقين ، أصله من النهروان ، شاعر عباسي ، وكاتب مترسل ، حسن الكلام ، عذب الألفاظ ، قدما في صناعته . انظر ترجمته في الأغاني ج ١٨ ص ١٥٥ ورونيات الأعيان ج ٣ ص ٨٠ .
- (٢) الصدقة والصديق ص ١٤٥ شرح وتعليق على متولى صلاح نشر مكتبة الآداب القاهرة مصر .

يقول الشاعر موصيا المرء : إذا كثرت زلات صاحبك وخطاياها ، فلا تتعجل معاقبته وعذله ، وكن وسطا بين وصله وهجره ، وأمهله قليلا حتى ينكشف لك أمره وتبين حقيقته فالإيام قليلة بذلك ، وعاقبه عتابا رقيقا ، فكم أوضح العتاب حقائق كانت خافية أو مشكوكا فيها ، وإن لم ينفع معه العتاب ، وبات محاولتك بالاخفاق فاعرض عنه لعل الإعراض يجدى معه ويجعله يروى إلى رشده ، فإن رأيت منه ليئا وميلا نحو مودتك ورغبة صادقة في ذلك فقابل ذلك منه بالصنع عما بدر منه تجاهك من إساءة .

واعلم أن العفو والمغفرة عن إساءة الآخر عند القدرة على العقاب أولى وأجدر ولا يصنع ذلك إلا الرجل الفاضل الحليم ، واعلم أيها أنك ستجد لجميع الأخياء ذنوبا ومساوي ولن يخلو إنسان حي من هذه العيوب والذي يخلو من الذنوب والمعائب إنما هو الميت المدفون في قبره .

أما البحتى فإنه يوصى الانسان أن يقبل اعتذار أخيه مهما كانت الحال يقول (١) :

اقْبَلْ مَعَانِي بَرٍّ مِنْ يَمَانِيكَ مُعْتَذِرًا
إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ أَرْضِكَ ظَاهِرُهُ
وَقَدْ أَضَلَّكَ مِنْ بَعْضِيكَ مُسْتَعِثِرًا
خَيْرُ الْخَلِيلِينَ مَنْ أَغْنَى لِصَاحِبِهِ
وَلَوْ آرَادَ انتِصَارًا مِنْهُ لَانْتَصَرَ

...

فعليك أيها الانسان أن تقبل اعتذار صديقك إذا ما اعتذر عن خطأ اقترعه في حقك سواء أكان صادقا في اعتذاره أم كاذبا ، فما دام قد أتى اليك معتذرا

(١) ديوانه ج ٢ ص ١١٠٥ .

فاقبل عذره ولا تَدِمْ هجرك وعتابك له ، لأن من أتى يسترضيك ولو في الظاهر فهو مطيع لك وسيدوم وده لك ومن عصاك وأساء اليك في الخفاء فليس بأخ لسك وسيبتعد عنك في لحظة من اللحظات .

واعلم أن خير الخليلين هو الذي يخفى عن زلات صاحبه ويضع عنها مع قدرته على الانتصار منه ، ولكنه يؤثر الصنع على الأخذ بالنار والمعاملة بالمثل لحسن خلقه وتام فضله .

أما أبو هلال العسكري فانه يوصي المرء أن لا يكثر من ذكر مثالب إخوانه حتى يسلوا له ولا يعتمدوا عنه يقول (١) :

لَا تَعْتَدِ نَفْسَ الْعَيُوبِ وَبَشَّهَا
يَنْلَمَ لَكَ الْأَخْوَانُ وَالْأَصْحَابُ
وَاعْدِدْ بِدَهْنِكَ بِمَا يَقِلُّ مَعَابُهُ
مَا فُهِمَ مِنْ لَيْسَ فِيهِ مَعَابُ
...

فاجتنب أيها الانسان فضح عيوب إخوانك وبشها بين الناس وإشاعتها لهم لكي يدوم لك الخلان والأصدقاؤه ويستمروا في اخوتهم لك ، ويبقى الود بينكم .

واشدد يدك على الأخ القاهل صاحب العيوب القليلة ، فليس هناك أح أو صديق إلا وفيه عيوب ولكن المرء يحرص على من قلت عيوبه وكرت مناقبه .

(١) ديوان أبي هلال العسكري ص ٥١ .

وفى أبيات أخرى يطلب الشاعر من الإنسان أن يدارى صاحبه ويغضض
عن بعض أخلاقه السيئة يقول (١) :

أَلَا إِنَّ خِلَانَ الْفَقَى إِنْ عَدَدْتَهُمْ
كَثِيرٌ وَلَكِنَّ أَيْنَ خِلٌ مُوَافِقٌ
فَقَطَّ عَلَى قَبْحِ الْمِرَاةِ مِنْهُمْ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مُرَارٌ مُنَافِقٌ
أَلَمْ تَرَنِى صَادَقْتُ كُلَّ مُدَاهِنٍ
فَإِنْ لَمْ أَصَادِقْهُ فَمَنْ ذَا أَصَادِقُ

...

يقول الشاعر : إخوانك أيها الإنسان وخالنك كثيرون ، ولكن لو بحثت بينهم
عن خل يوافق هواك أو أخ ناصح لتعذَّر عليك وجوده بيسر وسهولة ، فعليك
أن تغضض عن قبح مرأتهم وتتغاضى عن ذلك ، لأنَّ غالب الأصدقاء قد وقع
فى هذه الصفة القبيحة - صفة المرااة والنفاق - ولو اجتنبتهم المرء بسبب هذه
الخصلة لم يجد من يصاحبه ويصادقه ، وانظر إلى حالى فإنى قد قبلت ورضيت
صحبة كل منافق ومداهن لانعدام الأخ الصادق الناصح الذى يحرس المرء على
موأخاته ولو لم أصاحب هؤلاء لقعدت وحيدا ليس لى صاحب أو خليل ، وهذه
نظرة مليئة بسوء الظن والتشاؤم من الناس وكأن الشاعر يرى أنه الوحيد الخالى
من الميوب والنفاق .

وبعد هذا العرض لشمير الوصايا الإخوانية فى جانب الحق على حسن
معاملة الإخوان ومداراتهم نرى أن الشعراء قد أوصوا المرء باجتناب كثرة العنايب ،
لأن ذلك يهدم الأخوة ويفسد الود وأوصوا المرء أن لا يهجر أخاه لمجرد زلة واحدة

(١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

وبينوا أن الصغ والعفو عن زلات الصديق من صفات الكرام الفضلاء ، كما أنهم
حنوا على مداراة الصديق واحتمال بعض العيوب التي يتصف بها ، لانعدام
الرجل الكامل الخالي من العيوب ، وأوصوا المرء كذلك بالبعد عن إنشاء عيوب
إخوانه وإشاعتها بين الناس حتى يسلم له الإخوان .

وبعضهم أوصى الانسان الذي ابتلى بأخ كثير الزلات أن يكون في موقف
وسط بين هجره ووصله ، وأن يمهل به بعض الوقت حتى تنكشف له حقيقة ، وأن
يعاتبه عتاباً رقيقاً لعل ذلك يجدى معه ، فإن لم ينفع فليهجره وليبتعد عنه
فإن أتى يعتذر إليه ورغب في وده فليصفح عن زلته ويغفر عن خطيئته فإن
العفو عند المقدرة من صفات الكرام .

٣ - وصايا العلاقات الاجتماعية الخاصة :

لقد وجه شعراء الوصايا الإخوانية إلى اخوانهم وأصدقائهم بعض النصائح التي تشتمل على معان سامية عديدة مثل الحث على التخلق بالأخلاق الفاضلة والبعد عن إخوان السوء ، وكذلك النهي عن اشغال الفتنة وإثارة الحقد في النفوس والحث على إباء الضيم ، وكذلك الوصية على حسن المعاملة مع أفراد القبيلة وعدم البعد عنهم وغير ذلك من المعاني التي سألينها فيما يأتي .

فالشاعر أوس بن حجر (١) يرسل لأحد إخوانه رسالة يحثه فيها على لزوم جماعة القبيلة وترك شتمها وسبابها يقول (٢) :

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْ
يَزِيدُ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَا أَنَا قَائِلُ
يَا بَيْتِ أَتَى لَمْ أَخُنْكَ وَأَنْتَ
سِوَى الْحَقِّ مَهْمَا يَنْطِقُ النَّاسُ بِاطِلُ
فَقَوْلِكَ لَا تَجْهَلْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
لَهُمْ هَرَبًا تَفْتَابُهُمْ وَتَقَاتِلُ (٣)
وَمَا يَنْهَى الْبَايَ بِخَيْرِ جَنَاحِهِ
وَلَا يَحِيلُ الْمَاسِيْنَ إِلَّا الْخَوَامِلُ

(١) هو أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله التميمي ، شاعر جاهلي مقدم ، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات الشعراء الجاهليين ، قال إنه نظم في الطبقة الأولى ولكنه اقتصر في كل طبقة على أربعة رهط ، وقال عنه أبو عمرو ابن العلاء كان أوس فعل مضر حتى نشأ النابغة وزيبر فأخلاه ، وكان أوس عاقلا في شعره كثير الوصف لمكاييم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحمر والسلاح ولا سيما القوس وقد سبق إلى تدقيق المعاني وأمثال كثيرة .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ص ٩٧ ، الشعراء والشعراء ص ٢٠٨
(٢) ديوانه ص ٩٩ تحقيق محمد يوسف نجم الطبعة الثانية نشر دار بيروت سنة ١٣٨٧ هـ .

(٣) الهرش : المائق الجاني .

ولا سَابِقُ الا يساق سليمة
ولا بَاطِشٌ ما لَمْ تُعْنَهُ الاثَامِلُ
إذا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْهُ عَنِ الْجَهْلِ والخَنَا
أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

...

فالشاعر يوجه نصيحة إلى أخيه يزيد بن عبد الله ويقول له اعلم أنى لم
أخذك حينما نصحتك وأرشدتك وأن جميع ما ينطق الناس به باطل سوى الحق فإنه
غير باطل وقولى الذى سأنصحك به من الحق فافهمه واتبع سبيله ، فلا تستخف
بقومك وتجهل عليهم ولا تكن جافيا لهم تغتابهم فى مجالسك وتناصبهم العداء ، فإنك
بأمر الحاجة لهم ، فاقرب منهم وصالحهم فإن بنى قومك هم ساعدك الأيمن الذى
يعينك إن أصابتك مصيبة وهم جناحك الذى تخلق فيه والدرع الواقى لك من الأعداء
فالسفر لا يستطيع الطيران من غير جناح ، وكذلك البشر لا يستطيعون السير
بخير أرجل تحملهم ، ولا يكسب الرهان فى السباق سوى الجواد السريع صاحب
الساق السليمة ، ولا يستطيع الانسان أن يبطش بيده ما لم تعنه أنامله ، فكل
محتاج إلى مساعد لتحقيق ما يريد ، فأنت محتاج ، إلى قومك لمساعدوك وبموثوك
فكن فردا منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم ، واعلم أنك إن لم تجتنب الجهل
والخنا والأخلاق الرديئة أصبت رجلا حليما بأسأتك إليه أو اعترض لك رجلا
جاهل فأصابتك بسوء ، فاحذر من ذلك وابتعد عن الأخلاق الرديئة .

أما أبو ذؤيب الهذلى (١) فإنه يرسل إلى أخيه معقل بن خويلد رسالة

(١) هو خويلد بن خالد بن محرز الهذلى شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلمه
وكان راوية لمساعد بن جؤمة ، وكان فصيحاً كثير الغريب متيناً فى الشعر
سئل حسان بن ثابت رضى الله عنه عن أشعر الناس قال حياً أو رجلاً فقيل
حياً قال أشعر الناس حياً هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب ، مات
وهو فى الغزو ناحية المغرب مع عبد الله بن الزبير .
انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٢٣ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٥٢ .

ينهاه فيها عن إشغال الفتنة والبهمة عن الكلام الذى يثير الأحقاد يقول (١) :

أَبْلَغُ لَدَيْكَ مَعْقِلَ بْنَ خُوَيْلِدٍ
 مَلَأَيْكَ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ هُدَاتُهَا (٢)
 عَلَى إِثْرِ أُخْرَى قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَتَتْ
 إِلَيْكَ قَجَاصَاتُ مُقْفَمِرٍ هَوَاتُهَا
 وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ سَهْدٌ
 وَأَنَّكَ مِنْ دَارِ هُدَيْدٍ حَصَاتُهَا
 فَلَا تُتْبِعِ الْأَقْعَى إِلَيْكَ تَنُوشُهَا
 وَدَغَهَا إِذَا مَا نَغَبَتْهَا سَفَاتُهَا
 وَأَطْفَى وَلَا تُوقِدْ وَلَا تَكُ مُخْفِيًا
 لِنَارِ الْعَدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا
 فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا هَوَى لَهَا
 إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللَّسَانِ انْفِلَاحُهَا
 وَمَوْفَعُهَا ضَخْمٌ إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ
 وَلَوْ كُفِّتْ كَانَتْ يَحْمِرُ كَفَاتُهَا (٣)
 وَلَمَّا تَطَبَّ نَفْسِي بِإِزْنِهَا لَكُمْ
 وَهَلْ يَنْفَعُنْ نَفْسِي إِلَيْكُمْ أَنَاتُهَا

...

فالشاعر يقول : يا أيها الفاسدى إلى صديقى وأخى معقل بن خويلد
 أبلغه هذه الرسالة التى أهديتها له ، وهذه الرسالة أيها الأعمى ليست الأولى التى
 أرسلتها لك إنما هى تالفة لأخرى أرسلتها إليك ، ولكك لم تنقلها قبولاً حسناً ولم
 تقع منك موقفاً طيباً ، وليس بخاف على أحد عرك وشرفك وأنت رجل عزيز شريف سيد

(١) ديوان شعر الهذليين ج ١ ص ١٦٦ نسخة صورة من طبعة دار الكتب ١٩٦٤م

نقد دار القومية - القاهرة .

(٢) ملائكة : رسائل .

(٣) كفت : حبست .

فالشاعر يقول : أبلغ أيها الراكب إلى منازل أبي سلى رسالة تفزعه وتنبهه إلى ما هو غافل عنه ، على ما بيننا من بعد الأمكنة وهذه الرسالة أيها الصاحب من رجل ناصح لك يبتغي لك الخير والصلاح ، فإن أراد هؤلاء القوم الذين حللت بينهم أن يهينوك أو يدنسوا عرضك فلا تطعمهم ، واخلع بعرضك وصنعهم ولا تقترب مما يحضونك على غشيانه من الأمور التي تدنس العرض ، وإن أنزلوك منزلاً غير لائق بك غليظاً غير وطني ، يدس ركب الأبل إن بركت به يهدون إذ لالك فلا تنزل به وتحول عنه ، وإن أجهدك ذلك ، واحذر مما يقدمون إليك من طعام وشراب فلا تأكل أو تشرب منه ، فإنهم وإن كانوا مظهرين لك القرابة والنصح يطعمونك السم المشمل الذي خلط به ما يهيج ويغويه لكن يسرع في هلاكك .

وبعد ذلك يقدم الشاعر لصاحبه دليلاً واضحاً على عداوتهم له ثم يبين له أنه إن لم يلب الفهم بعد هذه الدلائل فهو كالبحير الذي يستقى عليه يقول (١) :

أَبْعَدَ الْإِزَارِ مَجْسِدًا لَكَ شَاهِدًا
أُنِيتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَنْزَهَلِ (٢)
أَرَاكَ إِذَا قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا
يُقَالُ لَهُ بِالْفَرْبِ أَدْبَرٌ وَأَقْبَلِ (٣)
فَخَذَهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخَطِيئَةٍ
وَفِيهَا مَقَالٌ لَا مَرِيءٌ مُتَدَلِّل

...

فهل تريد شاهداً على مكرهم وغشهم بعد ظهور أمرهم وانكشاف حقيقتهم عندما أنته بقميص ابن عمك مخضبا بالدم قد يمس عليه فهذا أكبر شاهد وأعظم دليل على مكرهم ، فاحذرهم ولا تخالطهم وإن لم تسمع نصيحتي وتنفذ وصيتي فقد

-
- (١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٢٤٤ .
(٢) مجسداً : المجدد : الثوب المصبوغ بالزعفران وقصد الشاعر هنا الثوب الملطخ بالدم .
(٣) الناضح : البحير الذي يستقى الماء من البئر .

صرت مثل البعير الذى يستغى عليه فَيَأْمُرُ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وهو مطيع ينفذ ما ينطاط به • فهم يسمونك العذاب والهوان وأنت تتحملة وتتقبله •

وبعد • فإنى قد اعدت منك وولتتك إلى نفسك فارضى بما يكاد لك واعلم أن ذلك مما يجعل الرجل الذليل بطبعه يعمى على من اتصف بذلك فكيف بالرجل المنهز •

وأبو الأسود الدؤلى يوجه وصية إلى أخيه حوثر بن حكيم يحثه فيها على اجتناب مواخاة اللئام وعلى التخلق بالأخلاق الفاضلة يقول (١)

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي
عَالَه فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ
لَا تَوَاعِ الدَّهْرَ جِبْسًا رَاحِمًا
مُلْهَبَ الشَّدِّ سَرِيعَ الْمَرْعَةِ
مَا يَنْسِلُ مِنْكَ فَأَخْلَسَ مَعْنَمَ
وَهَرَى ظَرْفًا بِهِ أَنْ يَنْمَعَهُ
يَسْأَلُ النَّاسَ وَلَا يُعْطِيهِمْ
هَبْلَتُهُ أُمَّةٌ مَا أَجْمَعَهُ

...

فعليك يا أخى أن تتبعد عن مواخاة اللئيم الخائن سىء الخلق الجبان الذى لا يصبر على أقل زلاتك • فإذا ما بدر منك خطأ أسرع بالتهجم واللوم عليك فيوقعك فى جدال لا فائدة منه • وهذا الرجل اللئيم يحاول جاهدا أن يصبب منك أى مال وبعد ذلك من ألد وأطيب المغانم وإذا جثته تطلب حقوقك منه منع ذلك وأبى • وهرى أن يمنعه منك نظرفا منه ودماثة خلق • ومقصده من وراء ذلك الطمع

(١) ديوانه ص ٦٣ •

فليس فيه فائدة مرجوة • لأن في الحق لدى الحق سعة • والزم الصمت ما دام الصمت أولى ولم تكن هناك حاجة للحديث فإن الصمت راحة للعاقل • ومن سمعك عن سماع الفواحي والخنا • فرب إنسان يهذر بحديث لا فائدة منه • لا يضر المرء عدم سماعه بل ذلك خير لك وأصلح •

وللشاعر أبيات أخرى وجهها إلى أحد إخوانه بعد أن تغلذ شئون إمارة إحدى الجهات يوصيه فيها بحسن معاملة الناس والحفاظ على الأخوة والصدقاته يقول (١) :

إِذَا نِلْتَ الْإِمَارَةَ فَاسْمُ فِيهَا
إِلَى الْعَلْبَاءِ بِالْأَمْرِ الْوَثِيقِ
وَلَا تَنْكَ عِنْدَهَا حُلُومًا فَتَحَسِنَ
وَلَا تَمُرَّ فَتَتَقَبَّ فِي الْحُلُومِ
فَكُلْ إِمَارَةً إِلَّا قَلِيلًا
مُفَسِّرَةَ الصَّدِيقِ عَلَى الصَّدِيقِ
...

فإذا وليت الإمارة بما أختى فارفع من شأنها واسم فيها إلى العلما بالجد والإخلاص في العمل • وعامل الناس معاملة حسنة وكن وسطا في شدتك ولينك فلا تكن شديدا قويا فتأذى منك الناس ويعملون على إبعادك لسوء معاملتك لهم • ولا تكن ضعيفا متسامحا في جميع الأمور فيستخف بك الناس وتضع هيبة الإمارة فلا تستطيع أن تمسك بزمام الأمور مرة أخرى • بل كن حليما متسامحا في بعض الأمور ولكن فسر ساعة الجد كن أمدا كاسرا •

وحافظ على صداقتك لإخوانك ولا تغرط فيها بعد أن تلى الإمارة ولا تتمسك

إياهم فان الامارة في أغلب الاوقات تظهر الاخوان على بعض .

وعبيد الله بن قيس الرقيات ^(١) بوجه وصية إلى ابن هزيمة يحثه فيها على حسن معاملة بني قومه وعلى لزوم معشر قبيلته وهذه الوصية مشابهة لما سبق أن رأيناه في قصيدة أوس بن حجر يقول ^(٢) :

وقومك لا تَجْهَلْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
بِهِمْ هَرِمًا تَفْتَابِهِمْ وَتَقَاتِلُ ^(٣)
فَإِنْ أَسْرَأَ فِي مَعْقَرٍ غَيْرَ قَوْنِيهِ
فَمَعِيفَ الْكَلَامِ فَخَصَّ مَثَافِيلُ
إِذَا شَاءَ لَمْ يَسْطِ لِسَانًا وَلَا يَدًا
وَلَمْ تَنْبُ عَنْ ذِي صَفْحَتِكَ الْمَعَابِلُ ^(٤)

...

فعليك يا أخى أن تحسن معاملتك مع بني قومك ولا تكن رجلا مائثا خائثا تغتابهم وتناصبهم العداء . فإنك في أس الحاجة اليهم فالإنسان في غور بني قومه مستضعف ذليل لا يستطيع أن يقوم بأى عمل . فليس بمقدوره أن يتحدث بشئ أو يبدى رأيا لاستخفاف القوم له واحتقارهم إياه . ولا يستطيع أن يبسط لسانه ولا يده بشئ . ولم تخطئه الرماح المشرقة نحوه لعدم وجود المدافع عنه والمانع له من القوم والذل والهوان .

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة لقب بالرقيات لأنه كان يشيب بثلاث نسوة يقال لهن جميعا رقية والجمعى يقول إنما نسب إلى الرقيات لان جدات له توالين يسمين رقية . شاعر أموي كان زهير الهوي خرج مع صعيب ابن الزبير على عبد الملك فلما قتل صعيب وقتل أخوه عبد الله رضى الله عنهما هرب ولجأ الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره فأمنه وكان يعد شاعر قريش في الاسلام وعده ابن سلام في الطبقة السادسة من طبقات الاسلامين . انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٦٤٧ والصعراء ج ١ ص ٤٦٦ والأغانى ج ٥ ص ٧٣ .

(٢) ديوانه ص ٥١ تحقيق د / يوسف نجم نفردار صادر بيروت سنة ١٣٧٨ هـ .

(٣) نسب الى أوس بن حجر وأثبت في ديوانه ونسب إليها الى عبيد الله الرقيات .

(٤) المعابل : المعبل النصل المعربى الطويل .

وبعد . . . هذا ما حصلت عليه من شعر الرصايا الإخوانية في جانب
العلاقات الاجتماعية الخاصة ، ونجد أن الشعراء قد أوصوا إخوانهم بوصايا تضمنت
معاني عديدة ، فأوصى بعضهم أخاه بحسن معاملة أفراد القبيلة وعدم التفرّد
والانقطاع عنهم ، وحثه على لزومهم ومخالطتهم ، وكذلك أوصوهم بالابتعاد عن
الكلام الفاحش الذي يشمل الحروب ويحز في النفوس ، وأوصوهم بإيلاء الضيم ،
والنفور من الذل والهوان وكذلك أوصوهم بالصدق في الحديث والبعد عن
الكذب وعدم مخالطة اللئام والخونة . وحثوهم على الوفاء بالعهود ولزوم الصمت
في غير الحق ، وكذلك تضمنت الحث على السمو بالإمارة والحفاظ على الصداقة .

الوصايا الزوجية

من الاتجاهات التي اتجه اليها شعر الوصايا " الوصايا الزوجية " وهى تلك الأُشعار أو المقطوعات التي وجهها الشعراء لأزواجهم يوصونهم فيها بالكرم وقرى الضيف أو عدم الاقتران بعد وفاتهم - إن أردن الزواج - الأبرجل منهم كرم أو يوصونهم بالقناعة والكف عن طلب الزهادة فى النفقة .

وهذا الاتجاه فى شعر الوصايا قليل جدا ولم أعثر إلا على مقطوعات يسيرة سأعرضها فيما يلى ان شاء الله .

١ - الوصايا الزوجية في جانب الكرم :

لقد أوصى بعض الشعراء أزواجهم على الكرم وقرى الضيف وسرعة الاتيان به إليه وذلك راجع إلى سجيتهن في الكرم .

وتعد وصيتهن لأزواجهن بذلك حرصاً منهم على الكرم ومبالغة فيه ومغفرة لهم .

فعمارة بن عوف العدواني ^(١) يوصي زوجته بالكرم وبذل القرى للضيف ورعاية الجار والقيام بحقوقه يقول ^(٢) :

تَقُولُ لِي عَتْرَةُ مَا الَّذِي
تَهْدِي بِهِ وَالْمَرْ وَالْجَهْرِ
قُلْتُ لَهَا وَالْجُودُ مِنْ فِيمَنِي
أَتَزَكُّكُمْ فِي الْمَرْ وَالْمَرْ
بِضَيْفِكُمْ إِنْ لَهُ حُرْمَةٌ
فَأَقْرُوا ضَيْفِي فَقَدْ الْجَزْرِ
وَأَزْعُوا لِجَارِ الْبَيْتِ مَا قَدْ رَعَى
قَبْلَكُمْ ذَاكَ بَنُو عَمْرِو
قَوْمُوا لِضَيْفٍ جَاءَكُمْ طَارِقًا
وَجَارِكُمْ بِالنَّسْرِ وَالْخَمْرِ
وَذَبُّوا مِنْ رَامٍ جِيرَانَكُمْ
بِالسُّوءِ بِالْبُئْرِ وَالْمُتْرِ

(١) هو عمارة بن عوف العدواني ، ثم أحد بنى وابش ، كان كاهناً أدرك عمر بن الخطاب رضى الله عنه أول ما ولى ، وهو شيخ قد ذهب بصره وخرف وأولع بالهذيان يقول أقروا ضيفكم .

انظر المعمرون والوصايا ص ٣٨ .
(٢) المعمرون والوصايا ص ٣٨ .

وَاخْشَوْهُمُونِوَا فِي الْحَرْبِ إِنِ أُوْقِدَتْ
بِكُلِّ خَطْطِي وَذِي أَنْسِرِ
وَلَا تَهَيَّرُوا الْمَوْتَ إِنِ أَقْبَلَتْ
خَيْلٌ تَعَادَى سَنَنَ الدَّبْرِ
...

فالشاعر يقول لزوجته : أوصيك في حالة عسركم وبسركم بالقيام بحق الضيف وأداء واجبه فإن له حرية وواجبا ه فمجلوا بتقديم القرى له ه وليكن قراء الجزر السمينة العظيمة .

وارعوا جاركم فإن للجوار حقوقا كذلك ه وقد موا للضيف الطارق والجار الكرم اللحم غير النضيج من الإبل السمينة - مبادرة له بالأكرام - (١) والشراب المعتق من الخمرة ه ومن رام جاركم بسوء فاشموه من ذلك ولو بالسيوف والرماح ه وان أوقدت حرب فاركبوا أهوالها واخشوهمونا لها ه ولا تخافوا من الموت ان أقبلت خيل نحكم بل قاتلوا أهلها واقضوا عليها .

وواضح أن الشاعر لا يوصي زوجته فقط ه بل أنه يوصي أولاده كذلك ه وذلك من وصيته لأئهم ه لأن ركوب الخيل والحرب والقتال وحماية الجار من أعمال الرجال وليست من أمور النساء .

أما قميس بن عاصم فإنه يوصي زوجته بأن لا تقدم الطعام له الا بعد أن يجد رجلا صاحبها له في الأكل إما أحد جيرانه أو أحد الضيفان يقول (١) :

أَمَا ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةُ مَالِكٍ
وَمَا ابْنَةُ ذِي الْيُودَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ

(١) من عادة العرب أكل اللحم من غير إنشاج ومن ذلك قول الشاعر عبدة بن الطيب :

وردنا وأفقر لم ينهته طابخه ه ما غير الفلى منه فهو مأكول
المفضليات : ١٤١ .

(٢) رغبة الآمل من كتاب الكامل ح ه من ١٤٥ والابنيات ١ - ٢ - ٣ - ٦ فسي
الغانى مع اختلاف في الألفاظ ح ١٤ من ٧١ .

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِيسْ لَهُ
 أَكْثَلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 قَصِيًّا كَيْمًا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي
 أَخَافُ مَذَامَاتِ الْأَخَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَكَيْفَ يَصِغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ
 خَفِيفَ الْمَعْنَى بِأَدَى الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
 وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاغِيهِ
 يُمْلِحُظُ أَطْرَافُ الْأَكْثَلِ عَلَى عَدَدِ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعْفِ مَا دَامَ تَائِبًا
 وَمَا مِنْ خِلَالِي غَيْرَهَا شِمَّةُ الْعَبْدِ
 ...

فالشاعر يقول : إذا ما أردت تقديم الزاد لى فلا تأتيني به وحدى •
 ولكن ترقبى وصول ضيف طارق أو دعوة جار كهم سواء كان قريبا أم بعيدا ، فإننى
 لست ممن يأكل الزاد وحده بل لابد من مشاركة أحد لى فى طعامى فإننى أخاف
 على عرضى من الذم فى حياتى وبعد مماتى ، وكيف يأكل المرء طعامه ويستسيغه وله
 جار فقير قد أضر به الجوع ؟ إن ذلك ليس من العروة والعهامة •

واعلى أننى لست ممن يقوم بالنظر إلى مواضع أكل ضيفه • فهذه الخصلة
 من صفات البخيل • والموت أهون على الحر من زيارة رجل يخيل يرقب أكل ضيفه •

وإنى أيتها الزوج العزيزة لست بتذلل لضيفه وكأننى عبد لديه بأمرنى
 وينهائى • وهذه هى الخصلة الوحيدة التى اتصف بها من صفات العبيد •

والشاعر عوسجة بن نصر المريحي ^(١) يوصى زوجه بأن تعجل لضيفه القرى وأن

(١) هو عوسجة بن نصر المريحي • من معاوية بن قشير • شاعر جاهلى مقل اشتهر
 بكرمه • لم أجد له سوى هذه الترجمة نقلا عن شعراء بنى قشير ح ٣٢٦

لا تشغل بأى أمر حتى تقدم الزاد للضيف يقول (١) :

أَعْدَى فِرَى يَا أُمَّ نَصْرٍ فَعَجَلِي
لِمَنْ صَافْنَا نُسَمَّ افْرِقَى لِعِمَالِكِ
أَلَا إِنَّ جَدِّى كَانَ أَوْصَى بِمِ آبِى
قَدِيمًا وَأَوْصَانِى أَبِى بِثُلِّ ذَلِكَ

...

فإذا حل بنا ضيف فأسرى يا أم نصر بإعداد القرى له ولا تشغل بأى أمر قبل إعداد الطعام له حتى ولو كان ذلك العمل متعلقاً بأولادك ه فالضيف أولى من الأولاد فإذا أتممت صنع الزاد وقدمته له فالتفت لأولادك وشأنهم ه فإننا قد توأصنا بذلك منذ القدم فجدى أوصى أبى بسرعة تقديم القرى للضيف وأبى أوصانى كذلك فهذه سجيئتنا وهذا طبعنا .

فمن خلال ما سبق نرى أن الشعراء قد أوصوا أزواجهم بسرعة تقديم القرى للضيف والقيام بأمره ه وكذلك حسن المعاملة للجار وأوصوا أزواجهم كذلك بمسدة تقديم الطعام إلا بعد حلول ضيف أو إتيان أحد جيرانه لمشاركته أكل الزاد لأنه لا يستسبح أكل الطعام وحده لتعوده على الكرم .

(١) شعراء بنى قشير فى الجاهلية والاسلام حتى نهاية العصر الأموى ج ١ ص ٢٢٦
د / عبد العزيز محمد الفهمل

٢ - الوصايا الزوجية في جانب الحث على القناعة وحسن المعاملة :

من أهم المشكلات الزوجية شرادة بعض النساء وطلبهن للنفقة الكثيرة • وقد لا يكون بمقدور الزوج تقديم كل ما تطلبه منه زوجه • وكذلك إدامتها العتاب • وإنكار الجميل للزوج • ولذلك فقد أوصى بعض الشعراء أزواجهم بالقناعة والرضا بالمعيش والكفاف وأوصوهن كذلك بحسن المعاملة لهم وعدم إدامة العتاب •

فعبيد بن الأبرص يوصي زوجه بالقناعة وعدم الشرادة وطلب منها أن تشوب الى رشدها وقد غدت كبيرة في السن وهو لا يحفل بطلاقها من عدمه بقول (١) :

يَلِكْ عِرْسِي غَضَبِي تُرِيدُ زَهَالِي
أَلَيْسَ تَرِيدُ أَمْ لِيَدَالِ
إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الْفِرَاقَ فَلَا أَحَدَ
فَلْ أَنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الْجَمَالِ
أَوْ يَكُنْ طِبُّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي
سَالَفِ الدَّهْرِ وَاللَّيْلِ الْخَوَالِ
ذَلِكَ إِذْ أَنْتِ كَالْمُهَاجِرَةِ وَإِذْ
أَتَيْكَ نَفْسَانُ مُرْغِبَا أَذْنَابِي
فَدَعَيْ مَطَّ حَاجِبَيْكَ وَيَهْمِي
مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالْكَأَمَالِ
زَمَمْتُ أَنْبِي كَبَرْتُ وَأَنْبَسِي
قَلَّ مَالِي وَهَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
وَصَحَا بِاطْلَاسِي وَأَصْبَحْتُ مَهْمُغَا
لَا يُوَانِي أُنْثَاهَا أُنْثَالِي

أَنْ رَأَيْتَنِي تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مِنِّي

وعلا الشهب مفرقسي وقد ألسي

فَارْتَفِيسِ الْعَاذِلِينَ وَأَقْنُ حَبَاءً

لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ حَطًّا مِثَالِ

وَيَحِطُّ مَا نَعِمِشَ فَلَا تَنْدُ

هَبْ بِكَ التَّزَمُّعَاتُ فِي الْأَهْوَالِ

...

فالشاعر يوصي زوجه ويقول لها : إن كنت بغضبك على تهديدن فراقسي
فإني لا أحفل بذلك ولا أرتاع له ، فإن شئت فاذهبي واعطفي صدور جمالك ،
وإن كنت مدلة على بطلبك للفراق وتهديدن معرفة منزلتك عندى فليس هذا أوانه
لقد فات الوقت المناسب للاختبار فلو كنت في ريعان شبابك وأنت كالمهابة وأنا
فتى جلد لكان لك الحق في ذلك ، ولكك قد كبرت وتقدمت بك السن فاتركسي
الزراية على ، ودعى هذه النظرة الهازئة لقلة مالى وعيشى معى على الرجاء والأمل .

وقد زعمت أنني قد كبرت وقل مالى وبخل على أصدقائى وجيرانى بالمواساة
والمساعدة لأنه قد ذهب ما يستفاد منى وأصبحت كهلا لا يوافق أمثالك مثلى ، فهل
هذا راجع إلى أنك رأيت تغير لون شعرى وانقلب السواد منه إلى بياض . . فاعصى
العذال ولا تلقى بالاً لأقاربهم ولا تجعلهم مثلاً تقتدى بهم ، والزم حياءك ،
وصونى عرضك وعيشى معى على الكفاف ولا بأسر غلك الأباطيل والترهات .

أما أبو الأسود الدؤلى فإنه يوصي زوجه أن لا تغلظ عليه في القول حين
غضبه لكى تكسب مودته ويدوم لها الصفاء يقول (١) :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَمْتَدِّ بِمِيسِ مَوَدَّتِي

وَلَا تَغْلِظِي فِي سَوَرِي حِينَ أَغْضَبُ

فَبَاتِيَ وَجَدْتُكَ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَدَى

إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ

...

فيا زوجي العزيزة إن أردت أن تدوم مودتي ومحبتى لك ، فاعلى ما يرضيني واجتنبى ما يسخطنى ، وإياك ورفع صوتك فى وجهى حين اشتداد الغضب بسى فإن ذلك ما يسبب الهمضا ، ويغضب الحليم ، واعلى أن الحب والأدى إذا اجتمعا فى صدر امرئ ، وأتى ما يسبب النفرة والفرقة والهمضا فإن الحب يرحل سرهما ، لاختفاء العاطفة والمقل عند سورة الغضب .

ويزيد بن حنناء (١) يكتب وصية لزوجته أم عاصم يحثها فيها على ترك لومه لعدم ارساله الهدايا لها لأنه لم يقدر على تحقيق ذلك لانغصاله عن الدنيا بالجهاد وترك أخذ المغانم يقول (٢) :

دَعِيَ اللَّوْمُ إِنَّ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِسٍ
وَلَا تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ يَا أُمَّ عَاصِمِ
فَإِنْ عَجَلْتَ يَنْكَرِ الْمَلَأَمَةُ فَاشْمَعِي
مَقَالَةً مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمِ
وَلَا تَعْدِلِينَا فِى الْهَدِيَّةِ إِنَّمَا
تَكُونُ الْهَدَايَا مِنْ فُضُولِ الْمَغَانِمِ
فَلَيْسَ بِهَدِيٍّ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ
جَلَادًا وَيُنْسِ لَيْلُهُ غَمْرًا نَائِسِ

(١) هو يزيد بن عمرو بن ربيعة الحنظلى التميمى من شعراء العصر الأموى ، كان من الخوارج ، خارجيا من الأزارقة .
انظر الاعلام ج ٨ ص ١٨٦ .

(٢) ديوان شعر الخوارج ص ٩٩

٣ - الحث على اختيار الزوج الكف بعد موت الزوج عنها :

أوصى بعض الشعراء أزواجهم عند ما أحسوا بالموت أن لا يتركهن بعدهم إلا الرجال الأفضل الأنقاء لهم إن أردن أن يتزوجن .
كما أنهم حذروهن من اللثام وأوصوهن بالبعد عنهم وذلك شفقة منهم على أزواجهم .

فابروء القيس بن مالك ^(١) يوصي زوجه هند بأن لا تنكح بعد ماته - إن أرادت الزواج - الرجل المتشائم ، الأحق يقول ^(٢) :

يَا هِنْدُ لَا تَنْكِحِي بُوَهَّهً ■ عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْمَصُهَا
مُرْسَمَةٌ وَسَطُ أَرْبَاعِهِ ■ بِرِ عَسَمٍ يَنْتَفِيسُ أَرْبَعًا
لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَعْبَتَهَا ■ حَذَارَ النِّبْتَةِ أَنْ يَغْطِبَهَا

...

فالشاعر يقول لزوجه : إن أنا هلكت وأردت الزواج بعدى فلا تنكحي رجلا أحق لديها متشابها يخاف الموت وملاقاة الأبطال ، يبحث عن نيمة يعلقها على كعبه رجاء وتفاؤلا ، ولكن اقترنى برجل شجاع كريم صاحب صفات حسنة مغامرة لصفات ذلك الرجل اللئيم .

أما حسان بن ثابت فهو يوصي زوجه بأن لا تقترن بعد ماته برجل لئيم حقود يحسد عشيرته ويناصبها العداوة يقول ^(٣) :

فَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي ■ خَذُولَ الْعَفِيرَةِ حَسَادَهَا

(١) هو ابروء القيس بن مالك الحميري لم أجد له ترجمة سوى هذا الاسم .

انظر الموءتلف والمختلف ص ١٢ .

(٢) الموءتلف والمختلف ص ١٢ .

(٣) ديوانه ص ١٠٣ .

يَرَى مِدْحَةً شَتَمَ أَغْرَاضَهَا • سَفَاهًا وَيَبْغِي مَنْ سَادَهَا
وإن عَاتَبْتَهُ عَلَى مِرَرَةٍ • وَنَابَتْ مَبِيتُهُ زَادَهَا

...

فلا تنكحى يا زوجى بعد مائتى رجلا لئلا يسوء الأخلاق حتى مع قومه
وبنى جلدته • يذمهم ويشتم أغراضهم • ويرى ذلك مدحا وفخرا • وإن أتى اليه قومه
بماتونته على سوء خلقه لعله يبرعوى عن غمه أو نابتهم بصيبة فجأة زادهم من
السب والشتم فبدل مساعدتهم يحين عدوهم عليهم • فإياك والافتتان بهذا الرجل
اللثيم ولكن كونى حليلة لرجل كريم صاحب خلق رفيع مناصرا لقومه سندا ودرعا
واقيا لهم من الأعداء •

والشاعر هديبة بن خشم المذرى (١) يقدم وصية لزوجته يحثها فيها بالصبر
على الصيبة وأن لا تفترق بعد مقتله برجل حقير بخيل ولكن إن أرادت الزواج فمن
رجل كريم يقول (٢) :

أَفْلَى عَلَى اللَّوَمِ يَا أُمَّ بَوَزَعَا
وَلَا تَجْزَعِي يَمَا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
وَلَا تَنكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
أَغَمَّ الْقَطَا وَالْوَجُو لَيْسَ بِأَنْزَعَا
كَلِيلًا سِوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ هَرَمِي
أَكْبَيْدَ مِيطَانِ الْمَعِيَّاتِ أَرْوَعَا

(١) هو هديبة بن خشم بن كرز من بنى عذرة • شاعر أموى فصيح مقدم عند بادية
الحجاز • كان راوية للحطيفة • قتل قصاصا فى المدينة المنورة لقتله زبادة
المذرى فى قصته المشهورة فى أيام خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله
عنه •

انظر ترجمته فى الشعر والشعراء • ٦١٥ ص ٢١ والأغانى • ٢٥٤ ص ٢١

(٢) الأغانى • ٢١ ص ٢٦٦ •

ضَرَبًا يَلْحِقِيهِ عَلَى عَظْمٍ زَرِيرٍ
إِذَا النَّاسُ هَمُّوا لِلْفِعَالِ تَفَتُّوا
وَهَلَّى بِذِي أَكْرَمَةٍ وَحَيْثُ
وَحَبَّرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَنَّا فَأَوْجَمَا

...

فالشاعر يقول : أيا زوجتي العزيزة لا تجزعي على ما آل إليه أمرى وأصبرى وتحملى ذلك ، ولا تنكحى بعد تفريق الموت بيننا وندهابى - ان أودت النكاح - رجلا لثيما جيانا بخيلا ، لا يطعم أحدا ولا يضيف طارقا لا يهتم إلا بنفسه فلا ينتفع أحد من ورائه ، وإذا أسرع الناس لفعل الخير والمعروف تغافل وتعامى عن ذلك ولكن حلى بذى أكرمته صاحب حسب ونسب غيور على محاربه تتأجج فى صدره الحمية صبور على الدهر ونوائبه .

وبعد هذا ما استطعت الحصول عليه من شعر فى هذا الجانب ونجد أن الشعراء ركزوا فى وصاياهم السابقة لأزواجهم على البعد عن الاقتران - بعد مساتهم - بالرجال اللثام الجبناء البغلاء ذوى الأحقاد والغفينة ولكن عليهن أن يخترن الرجال الكرام ذوى الحسب والنسب الرفيع الدين لا يخافون من المصائب إن حلت بل يقابلونها وتحملونها ، يحافظون على أزواجهم ويرعون حقوقهن . . وهذه الوصايا منهم هى من دلائل حبهم لهن ، كأنهم يخشون غدر الحياة والناس بهن من بعدهم فيرسوا لهن الطريق الذى يجدن فيه الأمن والملاذ .

الباب الثاني

الحفاة في الغنية في شعر الوصايا

الفصل الأول : الحفاة في الغنية شعر الوصايا في جانب الشعر

الفصل الثاني : الحفاة في الغنية شعر الوصايا في جانب المنهج

الفصل الأول
الحمد لله الغني السعير الوهاب في جانب اليمين كل

اولا : في الاغلاظ والنمل الكيب .

ثانيا : في الالوان البيضاء .

ثالثا : في القوم والصوب .

رابعا : في البناء الفنى .

الخصائص اللغوية للمعمر الرصاها في جانب المسك

أولا : في الألفاظ والتراكيب :

أ - الألفاظ :

للعمل الأدبي أدوات عديدة ولكن أهم أداة يحتاج إليها الأديب هي الكلمة ، فالكلمة المفردة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها العمل الأدبي فمنها (تكون العبارة وتكون الصورة الأدبية ويتخلق أسلوب الأديب الذي يعرف به وينسب إليهم الكلمة تتكون الموسيقى اللفظية) (١) .

فأول ما يقوم به الأديب اختيار الألفاظ وانتقاؤها ظهبت كل كلمة بحسن استخدامها ولكن اللفظة المعبرة النصيحة هي التي يجب أن تستخدم في العمل الأدبي .

ونصاحة الكلمة مشروطة بأمور إذا توافرت فيها فإنها تكون كلمة جميلة نصيحة فمن جمال الكلمة ونصاحتها أن تكون مألوفة لا استعمال وأن تهتمد عن الغرابة والوحشية حتى (تكون استجابة السامع للشاعر سريعة) (٢) لأن الكلمة السهلة التي لا يحتاج فهم معناها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة هي التي تؤثر في السامع وتجعله يتفاعل مع النص ولا ينقطع عنه ليهيئ عن معنى كلمة أو فهم جملة .

(١) في ميزان النقد الأدبي د / طه أبو كريشة ص ٢١ طبع سنة ١٣٩٦ هـ - القاهرة .

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد بدوي ص ٤٥٨ نشر دار نهضة مصر ، القاهرة .

فعلى الأديب أن يختار الألفاظ القريبة المأخذ وأن يعتمد عن الوحش المتوهم ولقد عاب النقاد على - سبيل المثال - بيتا لتأبط شرا لورود كلمة وحشية غريبة فيه وهو قوله :

يظل بموصاة ويسى بغيرها

جحيشا ويمرورى ظهور المسالك

فلفظه جحيش من الألفاظ المنكرة ومعناها " فريد " وفريد لفظه حسنة رائقة ^(١) وليس الوحش من الكلام هو الذى يكرهه السمع ويثقل به النطق إنما هو الغريب الذى يقل استعماله ^(٢) .

ومن شروط فصاحة الكلمة أن تكون فصيحة غير مبتذلة ولا عامية .
وفصاحتها (أن تكون الكلمة مسبوقة عن العرب الفصحاء مفردة كانت أو مضافة إلى غيرها) ^(٣) وكذلك يجب أن تكون سائرة على (قواعد النحو والصرف والاشتقاق) ^(٤)

أما أنها غير مبتذلة ولا سوقية فإن هناك كلمات ولو أنها فصيحة إلا أنها أصبحت مبتذلة لأن عامة الناس قد أنهكتها فى الاستعمال حتى برد معناها وذهب رونقها ^(٥) .

ومن الأمور التى يجب توافرها فى الكلمة لى تصبح فصيحة جميلة خلوها من تنافر الحروف وهو (وصف فى الكلمة بوجوب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج) ^(٦) .

(١) انظر المثل السائر لابن الاثير ج ١ ص ٢٧٠ تحقيق د / أحمد الحولى ود / بدوى طبائنه ط الثانية سنة ١٤٠٣ هـ نشر دار الرفاعى الرياض .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) أسس النقد الأدبى عند العرب ص ٤٦٣ . (٤) المرجع السابق ص ٤٦٤ .

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٢٦٢ .

(٦) جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديح لأحمد الهماس ص ٨ ط الثانية عشرة نشر دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان .

ولقد عيب على امرئ القيس كلمة " مستشزرات " في بيته :

غداثه مستشزرات إلى العلا • تَفِئُ الدداری فی شنی ومرسل

وذلك لثقل النطق بها ^(١) لتقارب مخارج الحروف بعضها من بعض ونفور السمع منها • فذلك من الواجب على الأديب أن يحسن اختيار الكلمات السهلة الرائقة ذات النغم الموسيقي التي تبعث في نفس السامع أو القارئ الارتياح وتفتح في قلبه أحسن موقع وذلك لأن (للألفاظ نغمة لذيدة كغمة أوتار • وصوتنا منكرا كصوت حمار •••••) ^(٢) .

وسا يجب أن يراعى في اختيار الكلمة المفردة في الفعل الأدبي دقة أدائها للمعنى المراد وذلك (أن يختار الشاعر من الكلمات أدقها في أدائها المعنى الذي يجول في نفسه فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى ولكن بعضها أدل على احساس الشاعر من بعض) ^(٣) .

وقدرة الشاعر ومدى ثقافته وحسن اختياره هي التي تهديه إلى اختيار الكلمات الدقيقة وذلك عمل ليس بالميسور لأن (تمييز الألفاظ هديداً) ^(٤) .

ومن فصاحة الكلمة وجمالها أن تكون ملائمة للموضوع الذي استخدمه فيها الشاعر فيه غير بعيدة عن روح العمل الأدبي وألفاظ المدح ليست كألفاظ الرثاء ••• الخ ونرى ذلك يقول القاضي الجرجاني :

(•••••) أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك

-
- (١) المثل السابق ج ١ ص ٣٠١ .
- (٢) الصدر السابق ج ١ ص ٢٥٦ .
- (٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٤٥٢ .
- (٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٦٨ تحقيق علي البجاوي • ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الأولى سنة ١٣٧١ هـ ، دار احياء الكتب العربية القاهرة .

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة

سبوح لها منها عليها شواهد (١)

وعلى الأديب أن يبعد عباراته عن المعاطلة المعنوية فلا (يكون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد غاء وتفكير طويل) (٢) .

ومن أجل ذلك عاب النقاد على أبى تمام قوله :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا

خه فلم يتخون جسمه الكمد (٣)

...

وسا يتصل بجمال العبارة وبلاغتها أن تكون متلائمة النسخ متناسبة مع بقية أجزاء العمل الأدبى فلا تكون قلقة نابية بل تكون قارة فى موضعها الذى لو أبعدت عنه لاختل المعنى ولفسدت الصياغة ، وذلك ما أطلق عليه الإمام عبد القاهر الجرجانى النظم يقول (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف شأهجه التى نهجت فلا تنهخ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشئ منها) (٤) .

وسا يكمل جمال العبارة وفصاحتها أن لا يسير العمل الأدبى على وتيرة واحدة من حيث التقديم والتأخير والتعريف والتذكير ، والذكر والحذف ، والفصل

(١) المثل السائر ج ١ ص ٤٣٦ .

(٢) جواهر البلاغة للهاشمى ص ٢٤ .

(٣) الموازنة للأمدى ج ١ ص ٢٩٦ تحقيق السيد أحمد صفوط الثانية سنة ١٣٩٢ هـ نشر دار المعارف القاهرة .

(٤) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٨١ تحقيق محمود شاكر نشر مكتبة الخانجي - القاهرة .

والوصل ه بل على الأدب أن يغير في الأسلوب فيحذف الخبر أو المبتدأ وغيرهما متى ما كان الحذف أبلغ وينكر إذا كان التذكير أدق في أداء المعنى وأبلغ وهكذا ٠٠٠٠ فإن الأدب الجيد المتمكن بصيرته الثاقبة وثقافته الواسعة هو الذى يستطيع أن يوظف قوانين النحو وأصوله في عمله الأدبى فيختار من الأساليب أدقها وأبلغها في أداء المعنى ه وفى ذلك يقول الامام عبد القاهر الجرجاني في تعليمه على أبيات للبحترى :

(فإذا رأيته قد راقتك وثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد فانظر في السبب واستقص في النظر ه فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر ه وعرف ونكر ه وحذف وأضمر ه وأعاد وكرر ه وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التى يقتضها علم النحو فأصاب في ذلك كله ه ثم لطف بوضع صوابه وأتى ما تى يوجب الفضيلة (١) .

تلك مقدمة مختصرة عن دراسة الألفاظ في العمل الأدبى عموما ه أما من حيث ألفاظ شعر الوسايا فإنها في الغالب ألفاظ واضحة سهلة لا يحتاج فهم معانيها إلى كد وعناء كبيرين أو بحث وتقيب في المعاجم فهى ألفاظ سهلة ه واضحة ه يفهم معناها جميع أفراد المجتمع على اختلاف ثقافتهم .

فلو نظرنا في قصيدة عبد قيس بن خفاف في وصفه لابنه لم نجد فيها ألفاظا غريبة أو وحشية بل تتناز بالسهولة والوضوح مع رفعتها يقول (٢) :

أجبل إن أباك كارب يومه
فإذا دعيت إلى العظام فاعجل

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢) الفضليات ص ٣٨٤ ومعه الباب الأول ص ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ .

أوصيك ايها امرئ لك ناصح
 طين بربب الدهر غير مغفل
 الله فاتقه وأوف بنذره
 وإذا خلقت ماربها فتحلل
 والضيف أكرمه فإن مبيته
 حق ولاتك لعنة للنزل
 واعلم بأن الضيف مخبر أهله
 بسبت لهاته وإن لم يسأل
 ودع القوارص للهديق وغيره
 كي لا يروك من اللثام العزل
 وصل البواصل ما صفا لك وده
 واحذر حبال الخائن المتهدل

...

فالشاعر يوصي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ويحثه على إكرام الضيف
 والحمد عن النعمة ، ويوصيه كذلك بإيلاء الضيف ، وعفة النفس وغيرها من الأخلاق
 والشم الكريمة ، وقد استخدم الشاعر في وصيته ألفاظا سهلة واضحة تبعث فسي
 النفس الارتياح وتتناز بالرفقة والعذوبة والحمد عن الحوشية والغربة مع البعد عن
 الاسفاف والابتذال وذلك مثل الضيف ، الكرم ، المبيت ، الهديق ، اللثام
 القوارص ، محل السوء ، دار الهوان ، الفقر ، الخشوع ، الفنى ... الخ .

ولكن ما السبب الذى حدا بالشاعر لأن يختار هذه الألفاظ السهلة
 ذات المعانى الواضحة .

لعل موضوع القصيدة أمله عليه ذلك فهو يريد أن يوصي ابنه لكن بمثل
 بما أوصاه به فلذلك لا بد أن يختار الكلمات التى يفهمها الابن بسهولة وكذلك حتى

يستطيع حفظها وتمثلها في كل حين .

ونرى سهولة الألفاظ ووضوح معانيها مع رونقها وحسن إيقاعها في قصيدة
مسكون الدارس في التحذير من الأحمق الذي يقول فيها (١) :

اتق الأحمق أن تصعبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رفعت منه جانباً
حركته الريح وهنا فانغرق
أو كصدع فس زجاج فاحش
هل ترى صدع زجاج يتفق
وإذا جالسته فس مجلس
أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نهته كس يروى
زاد جهلاً وتماذى في الحمق
وإذا الفاحش لاقى فاحشاً
فهنا كم وافق الفن الطبقي
إنما الفحش ومن يعتاده
كغراب السوء ما شاء نطق
أو حمار السوء إن أشبعته
رجح الناس وإن جاع نهق
أو غلام السوء إن جوعته
سرق الجار وإن يبيع فسق
...

(١) خزائن الأدب ج ٣ ص ٦٩ .

فالشاعر يوصي المرء بالابتعاد عن الأحمق لسوء خلقه وصوره تصويراً دقيقاً من أجل أن يعرفه الإنسان فيبتعد عنه ، فهو قليل المروءة لا يعرف للمجالس آداب ولا يسمع نصيح أحد إذا نصحه ليرعوى عن غبه فهو كحمار السوء إن شيع روحه ، وإن جاع نهق أو كثر أب أو كثر أب دائم النهيق ، وقد استخدم الشاعر في وصيته ألفاظاً واضحة المعاني ليست غريبة على آذان الناس ، بل إن الشاعر قد اقتبس الألفاظ من واقع الحياة اليومية لعامة الناس ولكنه ارتفع بها عن الابتذال .

فالألفاظ التي استخدمها الشاعر . . الأحمق ، الثوب الخلق ، الريح ، الوهن ، انخرق ، مجلس ، الفاحش ، الجهل ، الغراب ، الحمار ، الغلام ، . . . الخ ألفاظ يعرفها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ليس فيها غريبة ولا وحشية بل سهلة واضحة المعاني لا تحتاج إلى أعمال الفكر . . . ولعل الشاعر يريد من وراء ذلك تعريف جميع الناس بصفات الأحمق لكسب اجتنابه .

ونلاحظ سهولة الألفاظ ووضوح معانيها في أبيات بشار بن برد التي يوصي فيها المرء بحسن معاملة الصديق يقول (١) :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
نعمش واحداً أو صل أخاك فإنسه
مفارق ذنب مرة ومجانبه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٢٦ والباب الأول ص ٢٥٨

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظلمت وأى الناس تصفو مشاريه

...

فالشاعر يوصى المرء بعدم إدامة العتاب للصديق وحينئذ على حسن
المعاملة ولين الجانب .

وقد جمع الشاعر في أبياته بين سهولة الألفاظ ووضوح المعنى ، والبعد
عن الغرابة والابتذال .

وكما قلت في أول الموضوع فإن سهولة الألفاظ ووضوح معانيها هي السمة
الغالبة على شعر الوصايا ولعل المرء في ذلك : هو أن الشعراء يقصدون من
أشعارهم التوجيه والإرشاد لجميع فئات الناس على اختلاف مستوياتهم من الفهم
فلذلك استخدموا الألفاظ السهلة التي يفهم معناها جميع الناس .

وكذلك يمكن أن يكون قصدهم أيضا من أشعارهم أن تكون مثالا يحتذى
عليه وأن يتمثلها الناس في كثير من شؤونهم ، فلذلك اختاروا من الألفاظ أسرها
لكي يسهل حفظها ومذاكرتها ، وليست سهولة الألفاظ مقبولة في كل حين فلو كان
سهلة ولكنها لا تلائم لغة الشعر ذات الإيحاء فيكون النص أقرب إلى النثر منه إلى
الشعر ومثال ذلك قول عبد الله بن معاوية في وصيته على اجتنب المزاج ^(١) :

خل عنك المزاج مجتنباً * إنه يدنى لك العطباً
رب من كانت منيته * نسي مزاج هاجه لعباً

فهى ألفاظ سهلة ولكنها بعيدة عن لغة الشعر .

وكذلك قول عبد الله بن المبارك ^(٢) :

(١) شعره ص ٣٤ والباب الأول ص ١٠٢
(٢) ديوانه ص ٤٦ والباب الأول ص ٩٧

غاية الصبر لذيق طعمها
وردي الصبر منها كالصبر
إن في الصبر لفضلا بيننا
فاحمل النفس عليه تصطبر
...

فالفاظ الشاعر ألفاظ شائعة واضحة المعاني ولكنها بعيدة عن الشعر
وعذوبته قريبة من النثر ، وسهولة الألفاظ الشديدة مع شيوعها جعلتها تنحدر
إلى العامة والابتدال .

ومع أن الألفاظ في شعر الوصايا مأنوسة غالبا إلا أن هناك بعض الألفاظ
الغريبة على الأذن لقلة استخدامها . . . ولكن لا تصل إلى حد تعمية المعنى ومن
ذلك قول حميد بن ثور الهلالي (١) :

فلا تأمنن ببيات النسون
وكن حذرا حد أظفارها
فإن النومة ما أسارت
من القوم عادت لأسأرها
...

فإن كلمة (أسارت) بمعنى أيقظ وهي غريبة لا يفهم معناها
كثير من الناس مع ثقلها على السمع فلواستخدم الشاعر كلمة غيرها لكسان أبلغ
وأخف على السمع .

ونلمح بعض الألفاظ الغريبة ذات المعاني الصعبة في قصيدة لقيط بن
يعمر الابهادي في مثل قوله (٢) :

(١) ديوانه ص ١٦ والباب الأول ص ١٩٢ .
(٢) ديوانه ص ٤٤ " " " " ص ٢٤٠ .

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا

إذا يقال له اصرح غة كما

فمكتنع ٥ وكنع في البيت من الألفاظ التي لا يفهم معناها من أول وهلة
- فالمكتنع : الذليل وكنع : انقبض - لأنها ليست شائعة في معجم الشعر الجاهلي .
والألفاظ في شعر الرصايا تتنوع بين القوة والجزالة مع السهولة ووضوح المعنى
وبين الرقة والمذوبة ٥ فإن كان الغرض من الشعر الحث على الكرم وإياء الضيم
وتقوى الله فإننا نجد الألفاظ الرائقة السهلة التي تتعاب في الأدب انسيابا ٥

أما إذا كان القصد من الشعر التحسيس وغرس القوة والشجاعة في نفوس
البناء أو المجتمع فإننا نجد جزالة الألفاظ وفخامتها ٥

فدو الأصبح المدواني لما أوض ابنه أسيد على الكرم ومصاحبة الأخيار ٥٥
وغيرها من الأخلاق الفاضلة استخدم الألفاظ السهلة المذوبة ٥ فما قاله :

أأسيد إن مالا ملك ٥ ست فسر به سيرا جميلا
آح الكرام إن استطع ٥ ست إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإن ٥ شربوا به السم الثمينا
أهن اللثام ولا تكن ٥ لاخائهم جملا ذلولا
إن الكرام إذا توا ٥ خيهم وجدت لهم فضولا ٥٥٥ الخ
...

فالشاعر يوصي ابنه ويحثه على مصاحبة الكرام ويرغبه فيهم والبعد عن
اللثام ويحذره منهم كما يوصيه على البذل والانفاق والكرم ويبين له بعض آداب

السفر ويوصيه كذلك بمواصلة الثرام وزيارتهم ، وقد استخدم الشاعر في هذه الوصية ألفاظا عذبة سلسلة رائقة لا نرى فيها أى لفظة نابية أو غليظة في اللسان أو نابية في السمع .

وفي مقابل هذه الألفاظ السهلة العذبة الرقيقة نرى الألفاظ الجزلة القوية عندما أوصاه بالشجاعة وحنه على خوفا الممارك فمن ذلك قوله : (١)

وإذا القسوم تخاطرت ■ يوما وأرعدت الخصيل
فأهصر كهصر الليث ■ خَضَبَ من فرسته التلجلج
وانزل إلى الهيجا إذا ■ أبطلها كرهوا النزولا
...

فالألفاظ : أرعدت ، الخصيل ، أهصر ، خضب ، انزل ، الهيجا ...
الفاظ جزلة فخمة تنبى عن القوة والشجاعة وتتلاءم معها ، فالقوة والشجاعة لا تصلح لها إلا مثل هذه الألفاظ .

ولو نظرنا إلى ألفاظ شعر الوصايا من ناحية الخاصة والابتدال لوجدنا أن الألفاظ في أغلب الأحيان ترتفع عن الابتدال وتسمو إلى لغة الشعر مع سهولتها ووضوح معانيها ، فسلیمان ذو الدمنة بحث على الكرم ويوصى المجتمع بذلك مستخدما ألفاظا ليست بالصعبة البعيدة النال وليست بالسهلة التي تصل إلى حد الابتدال يقول (٢) :

إذا المرء لم يستر عن الذم عرضه
يلغى ضيف أو بحاجة قاصد

(١) المصدر السابق ح ٣ ص ١٠٠ والباب الأول ص ١٢٠
(٢) شعر هندان في الجاهلية والاسلام ص ٢٥١ والباب الأول ص ٤٠

فما المال إلا مظهر لمعيبه
وداع إليه من عدو وحاسد
وما البرء محمودا على ذى قرابة
كفاه مهملون نفع الأباعد
ومن لا يواتيه على الجود وجده
فإن جميل القول احدى المحامد

...

فالشاعر يوصى المرء على الذم والبدل ويخبره أن إسكك المال مظهر
للمعيب ، ويحثه على نفع الأباعد فى النسب والأقارب على حد سواء ، ويعطس
الشاعر للإنسان الغفير طريقا آخر للجود وهو الرد الحسن بالقول الجميل وطلاقة
الوجه والبشر .

والفاظ الشاعر التى أوضح بها تلك المعانى ألفاظ سهلة راقية واضحة
المعانى معروفة لدى أفراد المجتمع على اختلاف مداركهم وفهمهم وهى ليست
غريبة عن الأذان أو بعيدة عن الواقع ، فتفهم معانيها من قراءة الأبيات أو سماعها
لأول مرة ، ولكنها مع بساطتها ووضوحها وسهولتها ليست مبتذلة ولا ساقطة
وقد هيا الشاعر لها السمو والارتفاع عن ذلك ببعده عن الألفاظ الركيكة .

وهذا سابق البربرى يزهى الناس فى الدنيا ويذكرهم بالموت ويوصيهم
للمعمل لما بعده يقول (١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن
والله يا هذا لرزقك شامس

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣ .

تعنى بما تكفى وتترك ما به
 تعنى كأنك للحوادث آمن
 أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها
 فاعمل ليوم فراقها بما حائن
 واعلم بأنك - لا أبالك - فى الذى
 أصبحت تجمعه لغيرك خازن
 يا عامر الدنيا أتممر منزلا
 لم يبق فيه مع النية ساكن
 الموت شئ أنت تعلم أنه
 حق وأنت بذكره متهاون
 إن النية لا توامر من أنت
 فى نفسه يوما ولا تستأذن
 ...

فالشاعر يوصى الإنسان بعدم التكالب على الدنيا وعمرانها واللهث وراء
 كسب المال فالله هو الرازق ، ويحث المسلم على العمل ليوم الحساب ويخبره بأن
 ما جمعه من أموال ليست له لأنهم سيهوت ويذهب عنها فالموت للإنسان بالمرصاد .

وقد أفصح الشاعر عن معانيه هذه بألفاظ تتناثر بالركة والبساطة ووضوح
 المعانى فهى من الألفاظ التى يفهمها عامة الناس ولكن مع ذلك فقد سمت عن
 الابتذال والاسفاف وعن الألفاظ العامة التى قد أنهكت استخداما حتى ذوت
 وبرد معناها وذهب رونقها .

وإذا قلت أن ألفاظ شعر الوصايا بعيدة عن الابتذال والعامة فليس معنى
 ذلك خلوهذا الشعر تماما من هذا العيب ، فقد ورد فى شعر الوصايا بعض

الكلمات المبتذلة البعيدة عن روح الشعر وعذوبته ومن ذلك قول عبد الله بن معاوية (١) :

لا تفنى سرا إلى غير اللبيب ولا الـ
خرق المشيع له يوما إذا غضا
قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه
حق يكون إلى تورطه سببا

...

فمع أن الألفاظ البيتين غير متلائمة النسيج مع بعدها عن النغم الموسيقى فقد استعمل الشاعر في البيت الثاني كلمة (تورطه) وهى كلمة صحيحة لكنها مبتذلة ، وهذه الكلمة أهنأ ليست كلمة شاعرية فهى بعيدة عن الاستخدام فى الشعر فكيف بالشعر !!

ومن الألفاظ المبتذلة ما استعمله عبد الله بن المبارك فى وصيته لأحد أصحابه على الزهد فى الدنيا والبعد عن دور الأمراء يقول (٢) :

كل من الجاروش والسرز * ومن خبز الشمير
واجعلن ذاك حلالا * تتج من نار الصمير
والتمس رزقك من ذى الـ * عرش والرب القديم
وانأ ما اسطعت هداك الـ * له عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها * انها شر مزرور
توهن الدين وتدنيه * لك من الحوب الكبير
فبسل أن تمقط يا منـ * سرور فى حفرة بـير

...

(١) شعره ص ٣٢ والباب الأول ص ٩١ .

(٢) ديوانه ص ٤٨ والباب الأول ص ٢٠٩ .

فألفاظ البيت الأول (الجارون) (السرز) (الشعير) من أبعد الألفاظ
عن لغة الشعر فهي كلمات مبتذلة لا تصلح أن تستخدم في الشعر وكذلك قوله في
البيت الأخير (حفرة بير) كذلك من الألفاظ العامة .

أما من حيث تناثر الحروف فألفاظ شعر الوصايا - على العموم - بعيدة
عن التناثر الذي يثقل النطق في الكلمة ، بل أنها ألفاظ سهلة كل حرف فيها
يتلاءم مع ما بعده من غير تصادم ولا تناثر تتناسب في الأذن انسياها من غير
توقف أو نشوز في السمع أو تعثر في اللسان فطرفة بن العبد يوصي المرأة باستشارة
العقلاء ويحثه على التمسك بأداب الحديث والمجالس مستخدماً ألفاظاً سهلة غير
متنافرة يقول (١) :

إذا كنت في حاجة مرسلاً
فأرسل حكيماً ولا توصه
وإن ناصح منك يومئذ دنأ
فلا تتأخذه ولا تنصه
وإن باب أمر عليك التوى
فشاور لبيباً ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقم حقه
فإن القطيعة في نفسه
ولا تذكر الدهر في مجلس
حديثاً إذا أنت لم تحصه
ومن الحديث إلى أهله
فإن الوثيقة في نصه

(١) ديوانه ص ١٦٢ والباب الأول ص ٢٢٠ .

ولا تحرصن قرب امرئ

حريص مضاع على حرصه

...

فالشاعر يوصى المرء بالاستعانة بذوى العقول والحكمة وأن لا يشاور إلا
العقلاء والفضلاء كما يقدم الشاعر بعض التوجيهات في آداب المجالسة والحديث
وقد استخدم الشاعر في إبراز معانيه تلك اللفاظ لينة سهلة ذات جرس موسيقى
متوازن تتناسب في الأذن انسيابا وتجرى في اللسان من غير تعثر .

ونغم اللفاظ الموسيقى وتلاوهم حروفها واضح وذلك لتزاج الحروف
بين الجهر والهمس في أبياته مثل :

إذا كنت في حاجة مرسلا

فأرسل حكيمًا ولا توصه

وإن ناصح منك يوما دنا

فلا تنأ عنه ولا تقصمه الخ

فحروف اللفاظ متزاوجة بين الجهر والهمس لا نجد كلمة خلت حروفها
من الهمس أو كلمة حروفها مجهورة أو مهموسة فقط .

وهذا التزاوج وعدم تقارب مخارج الحروف تقاها يصعب معه نطق
الكلمة ببسر وسهولة ، أضفى على اللفاظ عذوبة ونغما موسيقيا .

ونلمح رقة اللفاظ وحسن تلاوهم حروفها في أبيات المقنع الكندي الذي
يقول فيها (١) :

(١) شعراء أمويون ص ٢١١ والباب الأول ص ٦٢ و ٤٥ .

وإذا رزقت من النوازل شروة
فامنع عشيترك الأذى ففعلها
واستبقها لدفاع كل ملومة
وارفق بناشئها وطاوع كهلها
واحلم إذا جهلت عليك غوايتها
حتى ترد بفضل حلمك جهلها
واعلم بأنك لا تكون فتاهم
حتى ترى دمك الخلاق سهلها
...

فالشاعر يطلب من المرء أن يحد على بنى قومه وذويه وأن يحسن معاملتهم
وأن يكون دمك الخلق لين الجانب ه وقد استخدم الشاعر في معانيه تلك الفاظا
غريبة ذات حروف متلازمة لم تتراكب على بعض ولم تتقارب مخارج حروفها .

ومع أن ألفاظ شعر الرصايا في الغالب بعيدة عن تناثر الحروف أو تقارب
مخارجها فقد نلاحظ صعوبة النطق في بعض الكلمات وتكثر اللسان بها في مثل
قول أبي تمام (١) :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لديها جته فاعترى تتجدد
فانى رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليمت عليهم بصرد
...

فلفظة (لديها جته) لا تنطق بسهولة متناهية فالقارى يحس صعوبة في

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص ١٠٩

نطقها • ولعل ذلك راجع إلى طول الكلمة ولكن هذا نادر في شعر الوصايا حسب ما ظهر لي •

أما الدقة في أداء اللفظ للمعنى المراد فإن ألفاظ شعر الوصايا دقيقة في أدائها للمعنى الذي يتخذه الشاعر من وصيته فكل كلمة تؤدي معنى من المعاني أبلغ من غيرها لو حلت محلها •

فلو نظرنا إلى أبيات عبد الملك بن مروان التي يوصي فيها أبناءه باجتماع الكلمة والتواصل والتراحم لوجدنا دقة أداء اللفظ للمعنى يقول (١) :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم
عند المنيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم
إن مد فسي عمري وإن لم يمدد
ولمثل رب الدهر ألف بينكم
بتراحم وتواصل وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم
لمسود منكم وغير مسود
إن القداح إذا جمعن فرامها
بالكسر ذو حنق وبطش أهد
عزت فلم تكسر وإن هي بددت
فالوهن والتكسير للمتبدد
...

(١) المعمرون والوصايا ص ١٦١ والباب الأول ص ١٤٦ •

فالشاعر يوصي أبناءه باجتماع الكلمة والتآلف والتواحم • وقد استخدم
الفاظا دقيقة في اداء المعنى مثل قوله (انفوا) حيث توحى هذه الكلمة للأبناء
بالابتعاد عن الضغائن نهائيا حتى لا تعرف طريقا إلى قلوبهم وكلمة (انفوا)
التي توحى بالأمر الصارم أبلغ وأقوى في الدلالة من لوقال (دعوا) مثلا •••
وكذلك قوله (الضغائن) على صيغة الجمع وذلك أبلغ من الأفراد وهذه كلمة
أدق من كلمة (الأحقاد) في اداء المعنى • وكلمة (تلين) لها وقع تأثيري في
النفس لأن القلب لا يلين إلا إذا امتلأ حبا ونفى جميع الأحقاد والضغائن • وكذلك
قوله (ذو حنق) (وبطش) و (أهد) تصوير دقيق لشدة بأس ذلك الذي يريد
كسر الرماح ومدى قوته وجبروته •

وقوله (عزت) تصوير دقيق للامتناع والقوة ولم يقل امتنعت ولكن عزت
وارتفعت وكأن أحدا لم يمسه بشئ • والشاعر يريد من أبنائه أن يكونوا مثلها فسي
الاجتماع والتآلف وأن يترفعوا عن أرادهم بسوء بالتآلف والتأزر • فكلمة (عزت)
أدق في ادايتها للمعنى وأبلغ من أى كلمة أخرى •••

وكلمة (الوهن) في الشطر الأخير من البيت الأخير تصوير دقيق للضعف
والتهالك وكلمة (وهن) أدق في التعبير من (الضعف) والشاعر يريد أن يبين
لأولاده نتيجة الفرفة وهي شدة الضعف •
ونرى دقة التعبير في كلمة (نبا) في قول البستي (١) :

إذا نبا بكرم موطن فلـه
وراءه في بساط الأرض أوطان
وقوله في البيت الآخر :

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٤١ وص ٤٢ والباب الأول ص ١١٠ • ١١١ •

وإن (نبت) بك أو طان نشأت بها

فأرحل فكل بلاد الله أو طان

فالنبو أدق في التعبير وأقوى في الدلالة في أداء المعنى من (الضيق) كما أن الكلمة توحى بشئ الوطن له أو عدم رغبة هذه البلدة فيه فلذلك استخدمها الشاعر وهي أدق من لو قال وإن (ضاق) أو وإن (ضاقت) فالضيق قد يكون له فرجة أما النبو فإن البلد نفاه وأخرجه ولن يوافق مرة أخرى فليس هناك فرجة من هذه الكربة إلا السفر والرحلة .

وقد نرى دقة الكلمة في أدائها للمعنى في قول عروة بن الورد (١) :

خاطر بنفسك كي تصيب غنمة

إن القعود مع العيال فيبـ

المال فيه مهابة وتجلة

والفقر فيه مذلة وفـ

...

فلفظة (خاطر) توحى بصعوبة الأمر وبعد مثاله وفيه إهدار للنفس فالمخاطرة لا تكون إلا بالنفس فاذلك استخدم الشاعر هذه الكلمة وهي أدق من كلمة (جازف) لو استخدمها لأن المجازفة لا تكون إلا بالمال فحسب ه وقد صدر الشاعر أبياته بهذه الكلمة لأن كسب الغنمة ليس بالأمر الميسور .

وكلمة (مهابة) توحى بالجاء والعزة والمنزلة العظيمة للمال وصاحبه ه

وكلمة (مذلة) توحى بالانكسار والذل والضعف والمنزلة الوضيعة للفقير والغفـ

(١) ديوانه ص ٢٠٠ . والباب الأول ص ٢٤٠ .

وأما ملازمة الألفاظ للأغراض العامة فإن الألفاظ شعر الوصايا مناسبة للمعنى حسب ما يبتغيه الشاعر من قصيدته أو شعره .

فإذا كان القصد من الشعر التوجيه والإرشاد إلى نواح اجتماعية مثل الوصية بحسن معاملة الأصدقاء أو الحث على البذل والإنفاق وإكرام الضيف أو الحث على اجتناب السفهاء فإننا نجد الألفاظ الخاصة بذلك مثل : الكرم ، الغنى ، البخل ، الاقتار ، الضيف ، الجار ، الود ، اللطام ، البذل ، الخ وغيرها من الألفاظ التي تستخدم في الحث على كرم الفعال وحسن الخلق واجتناب الأخلاق المشينة .

فترى مثل هذه الألفاظ في قصيدة يزيد بن الحكم الثقفى التي يوصى بها ابنه والذي منها (١) :

يا بدر والأشبال يضربها لذي اللب الحكيم
دم للخيل يود ، ما خير ود لا يدم
واعرف لجارك حقه ، والحق يعرفه الكريم
واعلم بأن الضيف هو ، ما سوف يحد أو يدم
والناس مبتهان محسوس ، البناءة أو ذميم
واعلم ببنى فأنه ، بالعلم ينتفع العليم
أن الأمور دقيقتها ، ما يهيج له العظيم
...

فالشاعر يوصى ابنه بدوام الحب لصاحبه والقيام بحقوق الضيف والجار ويوصيه كذلك بالبعد عن الحسد والظلم والبنى كما يحثه على الإنفاق والبذل والكرم .

(١) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٦١٢ والباب الأول ص ١٥١ ، ١٥٢ .

والفاظ الشاعر التى استخدمها فى وصيته هذه موافقة للمعانى التى يريد ها ،
فألفاظه الخليل ، الود ، الحق ، الجار ، الكريم ، الخ ، تبرز
المعنى الذى أراد الشاعر وتوضح عنه من غير إغراق، وكذلك الفاظ " ما خير ود
لا يدوم ، والحق يعرفه الكريم ، ويحد ، ويلوم ، محمود البناية أو ذمهم ، كلها
الفاظ تبعث فى نفس الابن الاستجابة لما أوصاه به والده وذلك لتحريكها ومشاعره
بشكل مباشر ، فإذا سمع " ما خير ود لا يدوم " سأل نفسه ما خيره ؟ وما فائدة
هذا الود ؟ والجواب ليس هناك فائدة من الود إذا لم يدم فلذلك يحرص على
إدامة الود للصدق ، وإذا سمع والحق يعرفه الكريم " أثارت هذه الكلمات هذه
مشاعر النخوة والكرم والمروءة فحرص على رعاية الجار ومعرفة حقوقه ، وكذلك
إذا سمع قوله : محمود البناية أو ذمهم " بعثت هذه الافات فى نفسه ومشاعره الحرس
على المجد والذكر الحسن والبناية المحودة .

أما إن كانت الوصية دينية تزهى فى الدنيا وبها رجها الزائفة وتذكر
بالآخرة وتحث على عمل الواجبات والطاعات فإننا نجد الافات المناسبة لهذه
المعانى فتكثر الافات الاسلامية مثل الصوم ، الصدقة ، الصلاة ، العبادة ،
تقوى الله ، الموت ، الجنة ، التوبة ، الندم ، الطهارة ، الخ وغيرها من
الافات التى تدور حول هذه المعانى .

ف نجد مثل هذه الافات فى أبيات أبى تمام التى يقول فيها (١) :

تطهر وألحق ذنبك اليوم توبة
لملك منه إن تطهرت تطهر
وشمر فقد أبدى لك الموت وجهه
وليس ينال الفوز إلا المشمر

(١) ديوانه ج ٤ ص ٥١٥ والهاب الأول ص ١٩٩ .

فهذى الميالى موفدناك بالهلى
تروح وأيام بذلك تبكر
وأخلص بذا لله صدرا ونهية
فإن الذى تخفيه يوما سيظهر

...

فألفاظ الأبيات السابقة ألفاظ دينية مناسبة للغرض الذى يريده الشاعر
من قصيدته وهو التزهيد فى الدنيا والحث على سرعة التوبة والندم على ما فات
فألفاظ تطهره والذنب والتوبة كلمات تحت المرء على سرعة التوبة والاقلاع عن
الذنب مباشرة وتجعله يقف عدها متأملا مستشعرا معانيها .

وكذلك ألفاظ أبدى لك الموت وجهه ه وهذى الميالى موفدناك بالهلى
كلها ألفاظ تخوف المرء المسلم من الموت وتجعله يتفكر فى حاله وما سيؤول إليه
مصيره فينعكس أثر هذا التفكير على نفسه فيزهد فى الدنيا الفانية ويقطع عن الذنوب
والمعاصى .

أما إذا كان الغرض من الرصية هو الحث على خوفا المعركة والشجاعة
وأخذ الثأر فإننا نجد الشعراء استخدموا الألفاظ الحربية التى تدل على تلك
المعانى .

فهند بنت النعمان لما أوصت عمرو بن ثعلبة على القتال استخدمت ألفاظا
حماسية حربية تلهب المشاعر تقول (١) :

حافظ على الحسب النفس الأرفع
بمدججين مع الرماح الفرس

(١) شاعرات العرب ص ٦٢ والباب الأول ص ٢١٨ .

وصوارم هندية مصفولة
 بمواعيد موصولة لم تنفع
 وسلاهب من خيلكم معروفة
 بالسبق عادية بكل سيدع
 واليوم يوم الفصل منك وشهم
 فاصبر لكل شديدة لم تدفع
 يا عمرو يا عمرو الكفاح لدى الوغى
 يا لث غاب فى اجتماع المجمع
 أظهر وفاء يا فتى وعزيمة
 أتضيق مجدا كان غير مضيع

...

فألفاظ الأبيات تنبئ عن القوة والياس فلاحظ كلمة المدججين ، فهى تصور
 الرجال وقد لبسوا لامة الحرب إلى أخص اقدامهم وتوحى بالقدرة والقتال ، وكلمات
 الرماح ، الصوارم ، الخيل من الألفاظ التى تستخدم فى شعر الحرب ، وأيضاً
 كلمات الحسب النفيس الأرفع ، وفاء ، يا فتى ، مجدا ، غير مضيع ، كلها كلمات
 تثير حفيظة المحارب وتبعثه على الإقدام وتحمسه على منازلة الأبطال ومقارعتهم
 وتشجعه على مواصلة الحرب حتى النصر والظفر .

ب : الغريب :

بعد أن تحدثت عن خصائص اللفظة المفردة في شعر الوصايا ، أفد هنا عند خصائص الألفاظ إذا تلامت مع بعضها وكونت عبارات متصلة في محيط عمل أدبي واحد .

فالعبرة في شعر الوصايا - كثير من الأحيان - فصحة جميلة وذلك لبعدها عن المعاطلة اللفظية الناتجة من تكرار حرف أو تكرار لكمة ، لأن التكرار في الغالب مما يفسد العمل الأدبي ويثير السآمة والطلل لدى المتلقى لنبو الذوق عن سماع ألفاظ مكررة متتابعة بعضها .

فلو نظرنا في أبيات للعباس بن مرداس التي يوصي فيها أحد إخوانه بإياه الضيم لوجدنا خلو عباراتها من المعاطلة اللفظية الناشئة من التكرار يقول فيها (١) :

أبلغ أبا سلى رسولا يروعه
وإن حل ذا يدور وأهل بعسجل
رسول امرئ مهدي إليك رسالة
فإن معشر جادوا بعمرنك فابخل
وإن بوؤك مبركا غير طاعل
لذيذا فلا تنزل به وتحول
ولا تطعمن ما يملفونك إنهم
أتوك على قرياهم بالمشول
أبعد الإزار مجسدا لك شاهد
أنيت به في الدار لم يتزهل

(١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٢٤٤ والباب الأول ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .

أراك إذا قد صرت للقوم نايحاً
يقال له بالغرب أدبر وأقبل
فخذها فليست للعزير بخطبة
وفيها مقال لأمري متذلل

...

فالشاعر بحث أحد إخوانه على إياه الضيم ويوصيه بأخذ الثأر وعدم احتمال
الذل والهوان وقد استخدم ألفاظاً فخمة جزلة معبرة كونه عبارات سلسلة متتابعة
كل كلمة تسلك إلى أختها من غير تعثر ولا ملل ه فكل كلمة من الكلمات مرتبطة
بما بعدها ارتباطاً وثيقاً ولا يمكن أن يستغنى عنها وإلا لاضطرب المعنى ولاختل
السبك .

ونحن سلامة العبارة من المعاطلة اللفظية وبعدها عن التكرار الذي يخل
بجمالها في وصية لقيط بن يعمر الإيادي لقومه والتي يقول فيها (١) :

فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلماً
لامترفاً إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا غش مكروه به خشعاً
مسهد النوم تعنيه ثغورك
يروم منها إلى الأعداء مطلعاً
ما انفك يحلب هذا الدهر أمطره
يكون متبعاً طورا ومتبعاً
وليس يشغله مال يشره
عكم ولا ولد يهني له الرفعاً

(١) ديوانه ص ٤٧ والباب الأول ص ٢٤٢ .

حتى استمرت على شزر مبرته
مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا

...

فعبارات الأبيات وتراكيبها واضحة لا غبوض فيها ، فكل كلمة متلائمة مع
أختها فليس فيها تكرار من أى نوع كان ، يخل بجمال العبارة وبسائها .

ومع أن عبارات شعر الوصايا بعيدة عن المعازلة اللفظية فقد ورد بعض
الأبيات التى فيها تكرار أخل بجمال العبارة وأضعف قوتها مثل قول عدى بن
زيد العبدي (١) :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
فقد كرر الشاعر فى الشطر الثانى ثلاث كلمات متشابهة متوالية ، وإن
اختلفت الثانية فى المعنى إذ معناها الهلاك ومعنى الكلمتين الأخيرين سنو
الأخلاق وردائها ، وهذا التكرار أخل بجمال العبارة وحسن سبكها .

ومن خصائص التراكيب فى شعر الوصايا خلو العبارات من المعازلة
المعنوية أو ما يحرف بالتعقيد المعنوى الناتج من التقديم أو التأخير فى غير
محلّه أو تداخل العبارات بعضها فى بعض وذلك لأن معانى العبارات واضحة
وكل كلمة فى بيت الشعر لها مدلولها الخاص بها من غير تعقيد .

فلو نظرنا الى عبارات أى نص من شعر الوصايا لوجدنا هذه السمة أعنى
خلو العبارة من التعقيد المعنوى واضحة جليلة .

(١) ديوانه ص ٢٠٨ والباب الأول ص ٤٩

فمن ذلك وصية الفرزدق التي يحث فيها بنى نعيم على أخذ النار وعدم قبول الدية يقول (١) :

أجيبوا صدى جَلْدٍ إذا ما دعاكم
بِجُرْدٍ تَسَامَى المَلَجِينَ فحولها
عليها حماة من نعيم بن عامر
تعدى بها هبائها وكحولها
أقتلكم في غير جرم عهدهم
وفيكم رواي عامر وفضولها
فإن التي يأبى الأسير عليكم
لقاصدة للحق خاض سبيلها
فلا تقبلوا منه أباعر تشتري
بوكس ولا سودا تصح فصولها
فإن تقتلوا بالفأس يحيا قتلكم
وإلا فإن الفأس عار قتلها
...

فعبارات الشاعر واضحة خالية من التعقيد المعنوي لم تتراكب على بعضها بل كل جملة قائمة بنفسها من حيث معناها مع تلاومها مع بقية أجزاء البيت .

ومن خصائص عبارات شعر الوصايا حسن تلاومها مع بعضها وتناسيها مع بقية أجزاء البيت وما ذاك إلا ليعبرها على قواعد النحو وسلامتها من المشكلات الإعرابية .

وبسبب تلاومها مع بعضها لا نرى جملة فلفه أو عبارة نابية لهبت فسى مكانها الصحيح .

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢١٦ والباب الأول ص ٢٣١

ومن ذلك قول النابغة الذبياني الذي بحث فيه المرء على الجد وترك
الكمل في طلب الرزق يقول (١) :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
وصار على الأذنين كلا وأوشكت
صلات ذوى القربى له أن تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى
عشى ذا يسار أو توت فتمذرا
وما طالب الحاجات في كل وجهة
من الناس إلا من أجد وعسرا
ولا تفر من عيش بدون ولا تنم
وكيف ينام الليل من بات معسرا

...

ف عبارات الأبيات السابقة وجعلها تميز على نسق معين ليست خارجة عن
قواعد النحو ولذلك تناسبت الجمل وتلاصقت مع بعضها وتراپطت فيما بينها ارتباطا
داخلها مشوها السير على قواعد النحو وأصوله .

ولم تسر العبارة في شعر الوصايا على وتيرة واحدة من حيث التقديم
والتاخير والتعريف والتشكير ، بل إن الشعراء أحسنوا استخدام هذا الجانب مما
أعطى العبارة تنوعا في الأسلوب وإغناء للمعنى ، وجعلها أكثر تأثيرا في النفوس .
فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي في الحث على حفظ السر (٢) :

(١) لياب الأداب ص ٢٢ والباب الأول ص ٢٥

(٢) شعراء أمويون ص ٥٨ والباب الأول ص ١٠

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة

فاطو الأمانة للضمير الداخل

فقد نكر كلمة أمانة في الشطر الأول وعرفها في الشطر الثاني مما زاد في معناها وكساها حلة جديدة أبعدتها عن التكرار الملل ، وأفاد التذكير الشمول والتعميم حيث أن الشاعر يريد أن يقول وإن أحد انتنك على أمانة كبيرة كانت أو صغيرة فلا تضيقها وأطوها في ضميرك ولا تجعل أحدا يطلع عليها ، واستخدم الشاعر الإظهار في الشطر الثاني في كلمة (الأمانة) مكان الإحصار ليؤكد على ما توجيه الأمانة من الحفظ والصون لأنها ليست بالأمر البعير فأراد أن يقيس صداها ماثلا في الأذان دون أن ينجب في لحظة واحدة .

ومن التذكير الذي أفاد التعميم قول دعامة بن المسيب (١)

لاتقطعن مقالةً في مجلس

لا تستطيع إذا مضت ادراكها

فنكر الشاعر كلمة (مقالة) ليعم جميع الكلام حتى ولو كانت تلك المقالة التحدث بها هزلة أو صاحبها ليس ذا شأن وذلك لكي يتعمد المرء على الانصات الجيد حرصا على الفائدة .

ومن التذكير الذي أفاد معنى التعظيم قول العباس بن مرداس في وصيته لأحد اخوانه (٢) :

أبلغ أبا سلس رسولاً يرؤعه * وإن حل ذا مدر وأهل بعسجل
رسول امرئ مهديك رسالة * فإن معشر جادوا بعرضك فابخل

..

(١) شعراء طي في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٥٩١ والباب الأول ص ٨٠ .
(٢) الحماسة لابن تمام ج ١ ص ٢٤٤ والباب الأول ص ٢٦٨ .

فقد نكر الشاعر كلمة (رسالة) للتعظيم أى رسالة قيمة عظيمة ونكر كلمة (معشر) امعانا منه بالسخرية والاستهزاء فيهم وتحقير شأنهم وبهان وضاعتهم .

ومن التذكير الذى أفاد معنى التذكير قول ابن دارة (١) :

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل
وجود تعادى بالكأمة كأنها
تلاحظ من عين بأعينها القبل
عليها رجال جالدوا يوم ضمعج
ذوو التاج ضرابوا الملوك على الوهل
بضرب يزيل الهام عن مستقره
وطمن كأفواء المفرجة الهدل

...

فقد استخدم الشاعر التذكير فى قوله " وجود " وضرب " وطمن " مما أغنى المعنى وركزه " فأفاد تنكير (جرد) التذكير لأن المعنى المراد (وجرد كثيرة) .

وأفاد تنكير " بضرب " التهويل والتعظيم حيث يريد الشاعر بضرب عظيم وذلك فى كلمة (طمن) لأن المعنى المراد (وطمن شديد) .

ولما أحسن شعراء الوصايا استخدام التذكير كذلك أجادوا فى استخدام التقديم الذى يفيد معنى من المعانى فعندما أراد مسمر بن كدام أن يشدد نفس تنغير ابنه من المزاح والمرأ اللذين لا فائدة فيهما قدمهما ليبين لابنه مدى

(١) الأغاني ح ٢١ ص ٢٣٢ والهاب الأول ص ٢٣٢ .

اهتمامه بهذا الموضوع وحرصه على ترك ولده لهما يقول (١) :

أكدام انى قد محضت نصيحتى
فاسمع لقول أب عليك شفيع
أما المزاحمة والمراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
...

ومن خصائص التراكم فى شعر الوصايا المزاجية بين الأسلوب الإنشائى والأسلوب الخبرى ، فإذا أراد الشاعر أن يوجه وصية إلى أحد يحثه فيها على عمل أمر حسن ويرغبه فيه أو ينهى عن اقتراف عمل سيء ويحذره على تركه ، فإنه يستخدم الأسلوب الذى يناسب هذا المقام وهو الأسلوب الإنشائى ، بما يحمله فى طياته من معانى الطلب والأمر والنهى .

وعادة ما يشفع الشاعر وصيته بإشفاق وبيان الدافع أو السبب الذى جعله يوصى بعمل هذا الأمر أو الابتعاد عنه والأسلوب الذى يناسب هذا المقام الأسلوب الخبرى .

ونرى هذا التزاوج فى وصية الحارث بن حلزة البشكري لابنه التى يحثه فيها على الكرم والذى يقول فيها (٢) :

قلت لعمرو حين أبصرته * وقد حبا دنوها عالج
لا تكسح الشول بأغارها * إنك لا تدري من الناتج
وأحلب لأضفائك ألبانها * فان شر اللين الوالج
...

(١) الحياصة للبحترى ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٧ .

(٢) الفضليات ص ٤٣٠ والباب الأول ص ١٢٠ .

فقد استخدم الشاعر النهى وذلك فى قوله «لا تكسح الشول باغباهلا»
وهو أسلوب إنشائي لأن المقام يقتضى ذلك فهو يريد أن ينهى ابنه عن عمل هذه
الصفة نهيا مطلقا بحيث ينعكس أثر هذا النهى على نفس الابن مباشرة فإذا أراد
أن يكسح الابل تردد صدق ذلك النهى فى أذنيه، وتشمل وصية والده فابتعد
عن ذلك .

أما فى الشطر الثانى من البيت فالأسلوب الذى استخدمه الشاعر
أسلوب خبرى لأنه أراد أن يخبر ولده عن علة نهيه عن كسح الابل وهى أنه لا يعلم
من الذى سيأخذ نتاج هذه الابل هل سيأخذه هو أم غيره ؟ ونرى الشاعر قد
أكد هذا الخبر بـ «وك» وهو (إن) مع أن ابنه ليس منكرا ولا مترددا فى صحة
هذا الخبر ولكن الشاعر أنزل ابنه بمنزلة المتردد أو المنكر له ليوكد له حقيقة هذا
الخبر ويشد انتباهه إليه .

وفى البيت الثالث يأمر الشاعر ابنه بحلب اللبن للأضياف وذلك فى
قوله (واحلب لأضيافك ألبانها) والأمر من أساليب الإنشاء ، والمقام يقتضيه
لأنه مقام توجيه وإرشاد ، والأمر أقوى من غيره فى الحث والطلب . وقد استخدمه
الشاعر ليجب على ابنه عمل الأمور به على الدوام ، وفى الشطر الثانى نرى الشاعر
يستخدم الأسلوب الخبرى مرة ثانية ، وذلك فى قوله (فإن شر اللبن الوالج)
مصحوبا بـ «وك» حيث أن الشاعر قد نزل ابنه بمنزلة المنكر أو المتردد فى صحة الخبر
وذلك لتأكيد حقيقة الخبر وتنبيهه فى ذهنه وزهاده فى تقبيل اللبن الوالج
فى ضرم الناقة مما يجعل السامع يشتر من عمل ذلك الأمر ويعتمد عنه .

ونرى هذا التزاوج بين الإنشاء والخبر فى بعض أبيات أبى الأسود
الدؤلى التى وجهها إلى أحد إخوانه التى يقول فيها (١)

(١) ديوانه ص ٦٤ والباب الأول ص ٢٢١ .

لا يكن برقك برقاً خلباً
 إن خير البرق ما الخير معه
 لا تشوبن بحق باطلا
 إن في الحق لدى الحق سمع
 أطل الصمت إذا ما لم تسئل
 إن في الصمت لأقوام دعم

...

فالشاعر يوصي صاحبه بوصايا عديدة فينهاه عن الوعد بالمواعيد الكاذبة ،
 والنهي أسلوب انشائي ، وفي البيت الثاني ينهاه أيضا نهيا موهكا عن الخلط بين
 الحق والباطل .

وفي البيت الثالث يأمره بإطالة الصمت ولزوم السكوت إذا لم يكن هناك
 موجب للكلام والأمر أسلوب انشائي .

فأسلوب الانشاء هو المناسب لهذا المقام لما فيه من معان طلبية مناسبة
 للمقام وموذية للغير الذي يريد الشاعر أن يفهم عنه ، ولما فيه من تحريض
 للعواطف حتى تكون في حالة ملائمة للقبول والإذعان .

وقد عقب الشاعر بعد كل إنشاء بخبر لكي يبين لصاحبه علة نهيه أو أمره
 وقد استخدم الشاعر الخبر الموهك بموهك واحد وكأنه أنزل صاحب منزلة المنكر أو
 المتردد وذلك لثبت المعنى في قلبه ويقويه عنه .

فلما نهاه عن الوعد الكاذبة بين له السبب فقال " إن خير البرق ما
 الغيث معه " فخير الوعد ما كان حاضرا غير موهجل .

ولما نهاه عن خلط الحق بالباطل بين له العلة في ذلك فقال " إن في

الحق لذى الحق سعة * فأخبره أن فى الحق شمع وسجال لمن أراد به يفتنى عين الباطل .

ونراه فى البيت الثالث يأمره بإطالة الصمت والسكوت عند عدم الحاجة للكلام ثم يخبره عن سبب ذلك وهو " إن فى الصمت لأقوام دعه " فالصمت راحة للماقل فى أكثر الأوقات .

بعد ذلك يمكن القول أن شعراء الرصايا استخدموا الأسلوب الإنشائي فى المقام المناسب وهو عندما يكون الموقف موقف حث وتوجيه وإرشاد واستخدموا الخبر عندما يكون المقام فى حاجة إلى الانتهاء والتأكيد . وقد يخرج الإنشاء عن غرضه الأصلي إلى معنى آخر يستفاد من السياق مثل قول عبد قيس بن خفاف (١) :

واترك محل السوء لا تحلل به
وإذا نسا بك منزل فتحول
دار الهوان لمن رآها داره
أفراحل عنها كمن لم يرحل
...

فجملة أفراحل عنها ... جملة انشائية خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى آخر يفيد التساوى وهو نفي مشوب بالإنكار على من لم يرحل ورضى بالبقاء فى دار الهوان وعلى هذا الإين أن لا يكون من هؤلاء .

ومنه أيضا قول بشار بن برد (٢) :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربـه

(١) المفضليات ص ٣٨٥ والباب الأول ص ١٥٨ .

(٢) ديوانه ج ١ ص ٢٢٦ والباب الأول ص ٢٥٨ .

فالاستفهام في قوله " وأى الناس تصفو مشاريه " ليس على حقيقته إنما هو للنفي أى لا يوجد أحد خلص من العيوب ه والقصد من ذلك اتناع السامع بتخفيف المعاتبة لغيره من أصدقائه إذا زل وأن يتفانى عن كثير من أمور لا يرضاهها وإلا فإنه سوف يظل وحيدا طول حياته مما يعود عليه بالضرر الكثير كهذا الذى طلب خلوص الماء من كل شائبة فكان نصيبه دوام الظلم .

ثانيا : نس الصور البهائية :

يشكل الخيال جانبا مهما من الشعر فهو (الفناء الذى ينتقل الفكر خلاله بحرية واسعة ليلتقط ما يبتكره من صور فيض متناثرها ويعمل فيها هذه الغنية حتى تعود خلقا جديدا (١)) فالخيال هو المهدان القسم الذى ينطلق فيه الشاعر ليهصور عواطفه وأحاسيسه ويبين عما يكمن فى نفسه من انفعالات ويجعل المتلقى يشاركه فى هذه الأحاسيس والمواطف، ولن يكون تأثيره فى المتلقى متناثرا إذا من الخيال انفعالاته مسا (فخفض من جفاف الفكر وأجرى ماء ياب من صلابة العقل وجانب ذلك فإن للخيال دورا فى إبراز الغنى وكشف الأستار والحجب وتشخيص المتخيل وتجسيم المتوهم وإحضار الغائب ماثلا للحس والعيان قطعا لحجة من يمارى ويشك وتفريها للقارىء نحو دائرة التسليم والإقناع (٢) .

فمن أجل ذلك كانت الصور الأدبية من تشبيه واستعارة وكناية مما يفيض على العمل الأدبى سوا وجلا ودقة فى التعبير يجعل المتلقى يستشعر مواطن الجمال فيتفاعل مع الأدب ويتأثر بانفعالاته وعواطفه .

وإذا عرضنا دور الخيال والصور البهائية فلا نتمجب من الإمام عبد القاهر الجرجاني عند ما قدم الاستعارة وجعلها أبلغ من الحقيقة وذلك فى قوله (وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها وتستوفى جملة جمالها) (٣) .

وبين الإمام عبد القاهر قيمة الصور البهائية فى تأدية المعنى وتوضيحه وزهاده تأثيره فيقول عن الاستعارة (ومن خصائصها أنها تعطيكم الكثير من المعانى بالمسير

(١) الصورة بين البلاغة والنقد ص ١٧ أحمد بسام ساعى نشر دار النارة ، دمشق ط الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) فى ميزان النقد الأدبى ص ٣٠ د / طه أبو كرهه .

(٣) أسرار البلاغة ص ٣٢ .

من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر ٠٠٠ وإنك لترى الجباد بها ناطقا ، والأعجم نصيحا ، والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جليلة ٠٠٠٠ إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جمعت حتى رأتها الميئون وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألف إلا الظنون (١)

ويقول عن تشبيه التشثيل وتأثيره في النفس (اعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التشثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كماها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس ودعا القلوب إليها واستثار لها من أفاصي الأئدة صباية وكلفا وفسر الطباع على أن تعطيتها محبة وشفقا (٢) .

ويقول عن أسباب قوة تأثير التشثيل وعلته النفسية (٠٠ وأنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكثي ، وأن تردّها نفس النفس تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشائه أعلم ونقبتها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ومما يعلم بالفكر ، إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة في غاية التمام (٣) .

فهذه النصوص تدل على رفعة منزلة الصور البهانية وعلو قدرها عند الإمام عبد القاهر وذلك لما تضمنه على النص من معان مبتكرة وأخيلة رائعة .

(١) أسرار البلاغة ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٢ .

والمصورة الشعرية منزلة رفيعة عند النقاد المحدثين لما لها من أثر واضح في نفس المتلقي ومشاعره وخصوصاً أنها خير وسيلة لإيصال الفكرة للمتلقى ، فغرض الأديب إيصال الفكرة للقارئ مع جعله يشعر بنفس المشاعر التي تجيش بها عاطفته فتثير فيه روعة الإعجاب أو لوعة الحب أو لهيب الحماسة أو غصص الحزن فيما إذا كان معجباً أو محباً أو متحمساً أو حزينا (١) .

فالصورة الأدبية هي الطريق الأمثل لتصوير تلك العواطف التي تؤدي إلى تمكن (المعنى في النفس لأن غاية الكلام البليغ من نثر أو شعر إنما هو التأثير) (٢) .

ويقول د / غيبي هلال عن الصورة الأدبية مبيناً منزلتها الفنية (الصورة الأدبية هي الوسيلة الفنية لنقل التجربة، فيها التجربة الشعرية إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة ، إذن فالصورة جزء من التجربة ومما يضعف الصورة أن تكون برهانية عقلية لأن الاحتجاج أقرب إلى التجريد من التصوير الحسي الذي هو من طبيعة الشعر ثم إن الاحتجاج تصريح لا إيهاء فيه والتصريح يقتض على الإيهاء الذي هو خاصة من خصائص التعبير الفني) (٣) .

ومصطفى السحرى يبين منزلة الصورة الشعرية وما لها من قيمة وتأثير يقول :
(فأما الخيال فتبدد صورته في التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما إليها وهذه الصور الخيالية تخلق الاتزان اللطيف في ثنايا العمل الشعري وتغنى عليه وشاحها

(١) انظر أصول النقد الأدبي ص ٢٤٢ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الثامنة سنة ١٩٧٣ م .

(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٦٩ زكي مبارك نشر الحلبي ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ٤١٧ د / محمد غيبي هلال دار نهضة مصر .

من الجمال والرويق إذا استخدمت استخداما طبيعيا لا أثر للتكلف فيه وإذا
ابتعدت عن الإغراق في التخيل والته فيها وراء الطبيعة (١) .

وقد أحسن شعراء الوصايا استخدام الصور البهانية ما أضفى على الشعر
جمالا ورونقا . فحميد بن ثور الهلالي يذكر المرء المعلم بالموت ويصوره له بحيوان
مفترس له أظفار قوية يخرسها في جسم الإنسان يقول (٢) :

فلا تأمنن ببيات المنون
وكن حذرا حد أظفارها
فإن الضئفة ما أسارت
من القوم عادت لاسارها

فالضئفة وحش يفترس الخلق وينشب أظفاره في الإنسان وليس منه فكاك فهو
ما ترك أحدا في يوم من الأيام إلا وعاد إليه واغترسه .

فالشاعر قد جسد الضئفة وصورها بهذه الصورة - على سبيل الاستمارة
المكينة - التي تشعر المرء بالفزع والخوف وتجعله يمعن في التفكير بحاله ويجهده
في الأعمال ليوم معاده .

ومن الصور البهانية الحسنة تصوير أبي تمام للدنيا حيث يقول (٣) :

فلا تأمن الدنيا إذا هي أقبلت
عليك فما زالت تخون وتدبر
فما تم فيها الصفو يوما لأهلها
ولا الرفق إلا رهشا يتفبر

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٤٩ مصطفى السحرى ط الثانية

١٤٠٤هـ نشر تهامة جدة .

(٢) ديوانه ص ٩٦ والباب الأول ص ١٩٦ .

(٣) ديوانه ص ٤٥ والباب الأول ص ١٩٦ .

فالشاعر يحذر الإنسان من مكر الدنيا وغرورها وصورها له بإنسان غدار خائن لا يستقيم على حال واحدة متى ما سحت له فرصة وثب على صاحبه وتخلص منه أو ابتعد عنه وأدبر وكذلك الدنيا فهي لا تستمر على حال واحدة فما دام السرور لأحد فيها ولا رفقت بإنسان إلا وانهدت عليه .

وقد استطاع الشاعر في هذه الصورة أن يبين في التحذير من هذه الدنيا الفادرة وذلك باستعماله للاستمارة في البيت الأول وما وضعه في البيت الثاني مما كان له الأثر الواضح في جلاء صورة الدنيا وتوضيح حالها لكن يأخذ المرء حذره منها .

والشاعر عبد الله بن المعتز يرسم صورة بيانية رائعة في الحث على اجتناب الذنوب ولزوم التقوى يقول (١) :

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها فهو النفس
كن مثل ماش فوق أر * في الشوك يحذر ما يرى
لا تحقن صغيرة * إن الجبال من الحمى
...

فالشاعر يرسم صورة بيانية للتقوى وماهيتها فهت المسلم على تجنب الشبهات التي تخل بالتقوى فعليه أن يكون مثل رجل يسير في أرض قد كساها الشوك من كل جانب فهو يحاذر أن يقع فيه .

وبجسم الشاعر الذنوب ليهالغ في التحذير منها حيث يأمر المسلم بترك الذنوب الصغيرة وأن لا يحتقرها فالذنوب الصغيرة إذا تراكت واجتمعت صارت

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٢٦ والباب الأول ص ٢٠٥ .

كبيرة مثلها مثل الحجارة الصغيرة لما اجتمعت وتراكمت صارت جبالا ضخمة وكذلك الذنوب .

ومن الصور البهانية تصوير عبدة بن الطبيب للنمام عندما حذر أبناءه من سبوه وسهامه يقول (١) :

واعصوا الذى يزعج النمام بينكم
متصحا ذاك السمام المنقع
يزجى عقارب لهبعث بينكم
حرما كما بعث المروق الأخدع
حزان لا يشفى غليل فؤاده
عمل بلاء فى الإناء مشعشع

...

فالشاعر يرسم لأبنائه صورة النمام "ويبين لهم حالاته وأخلاقه ليعذروه ويحذروه فيقول لهم : اعصوا هذا النمام الذى يزعج بينكم العداوة والبغضاء متظاهرا لكم بالنصح والمحبة فهو مثل الأفعى كلامه سم منفع قاتل يفتك بمن خالطه .

وهذا النمام يبعث اليكم عقارب لتلدغكم وتفرق جمعكم وتبعث بينكم حرسا ضروسا مثلما يبعث الأخدع بقية المروق إذا ضرب .

والنمام دائم الغيظ حقود يغلى جوفه كالمرجل لتأصل الشر فيه فلا يشفى غلته الماء المزوج بالمسل إنما يشفى ذلك تفرقكم .

ونذو الأصبح المدوانى يحث ابنه على غرض الحروب ويعطيه الصورة التى يجب

(١) المفضليات ص ١٤٦ والباب الأول ص ١٤٤ .

أن يكون عليها يقول (١) :

فاهصر كهصر الليث
خضب من فريسته انظيلا
وانزل إلى الهيجا إذا
أبطالها كرهوا النزولا
...

فالشاعر يوصي ابنه ويقول : قاتل في ساحة المعركة واضرب رقاب العدو
بشدة وكن كالليث في شجاعته وقوته وعدة بطشه وانزل إلى أرض المعركة من غير
خوف ولا وجل إذا الأبطال الأثاوس كرهوا النزول .

وقد تأتي الصور متتابعة لتؤكد معنى واحدا ، وذلك في مثل أبيات أو من
ابن حجر التي يوصي فيها أحد اخوانه على لزوم المشيرة ويبين له مدى حاجته لهم
مستغدا ما التشبيه التمثيلي يقول (٢) :

وقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرما تغتابهم وتقاتل
فما ينهض البازي بغير جناحه
وما يحمل الماعين غير الحوامل
ولا قائم إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تمنه الأنامل
...

فالشاعر يصور لصاحبه مدى حاجته لقومه فيقول أنت محتاج إلى عفيرتك لا
تستطيع أن تحتفي عنهم ومثلك مثل الصقر الذي لا ينهض إلا بمساعدة جناحه

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ . واللباب الأول ص ١٧٠ .

(٢) ديوانه ص ٩٩ واللباب الأول ص ٢٦٥ .

ومثل السائرين على الأرض بأرجلهم التى تحملهم فلولا هذه الأرجل ما استطاعوا
المير ومثل الواقف الذى لا يستطيع الوقوف إلا بساق سليمة ومثل الغارب بالسيف
فأية حاجة إلى أنامله لكى يقبض عليه ويمسكه بإحكام ثم يبطش به .

فالشاعر قد أتى بأربعة تشبيهات ضمنية متوالية ، وكأنه عندما أتى
بالصورة الأولى لم يفتح بها لأنها لم تخرج كل ما فى احساسه فشغفها بصورة
أخرى وهكذا حتى بلغ الرابعة وكل ذلك ليقوى تأكيده على صاحبه بلزوم العسيرة
وليزيد فى توضيح مدى حاجته لهم وفيه تحذير ضمنى بعدم البعد عنهم وإلا
عيش نفسه للهلاك والضاع .

وترى التصوير الدقيق للأحقق عد مسكين الدارس وذلك عندما حذر
منه فى وصيته حيث يقول (١) :

اتقِ الأُحْقَق أن تصحبه
إنما الأُحْقَق كالثوب البالى
كلما رنعت منه جانبها
حركته الريح وهنا فانخرق
أو كهدع فى رجاج فاحش
هل ترى صدع رجاج يتفك
...

فالأحقق س' الخلق متهلهل كالثوب البالى المتقطع كلما رقع البر' منه
طرفا وعرضه للهوام حتى لو كانت حركة الهواء ضعيفة - تمزق وتخرق .

ثم يشفع الشاعر صورة الأُحْقَق هذه بصورة أخرى وهى أن الأُحْقَق مثل صدع

(١) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٩ .

فى زجاجة لا يمكن التماسها أو اغتافها مرة أخرى ، فأخلاقه لا يمكن أن ترم أو تصلح مرة أخرى .

ونرى الصورتين قد أمتعنا فى تفبيح الأحمق وفرت صورته إلى نفس السامع ما يجعله يشتم وينفر منه لرداءة أخلاقه .

وللشاعر تصوير آخر للمرء الفاحش اللئيم يقول (١) :

إنما الفحش ومن يعتاده
كغراب السوء ما شاء نطق
أو حمار السوء إن أشبعته
رجع الناس وإن جاع نهق
أو غلام السوء إن جوعته
سرق الجار وإن يبيع فسق
...

نصورة الفاحش ونعفه مثل غراب السوء الذى ينطق متى ما شاء فى كل وقت والفاحش متى ما شاء بدأ يهذى بفحشه وفجوره .

أو كان الفاحش ورداءة أخلاقه حمار سوء إن جوعته أزعجك بنهيقه وإن أشبعته رجع الناس وأذاهم ، أو هو كأنه قن لئيم لا يعلم الناس من همة فى جميع حالاته فإن جوعته سرق جارك وأذاه وإن أشبعته فسق وعمل المنكرات والفاحش مثله .

فالشاعر صور الأحمق فى البهت الأول بغراب السوء الذى ينطق فى كل وقت ثم أراد أن يهذى فى تفبيحه نصوره بحمار السوء ثم أراد أن يبالغ فى تفبيحه أكثر

(١) خزانة الأدب ج ٣ ص ٢٠ .

ويزهد في بيان حقيقته للناس فصوره بالفن اللثيم الذي إن شبع فسق وعاث في
الأرض فسادا وإن جاع سرق الجار .

فالشاعر قد تدبر في تصويره للفاحش والفحش من الميسر إلى الأسوأ ،
وهذا ما زاد الغرض الذي ذهب إليه الشاعر بيانا وإيهاما وساعد على تجسيده
وبيان كلفته للمجتمع حتى يحذروه وينتبهوا لخطره فيجتنبوه .

ومن الصور الغنية الرائعة في مجال تصوير اللثام لغرض التحذير منهم
قول البراء بن قيس في وصيته لابنته في اختيار الزوج الكريم يقول (١) :

ولا تتكحسى جيبا عابا ملعنا
شديدا على الجار الملاصق جانبه
ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا
عبوسا إذا ما الضيف حطت ركائبه
حرام عليه الدهر يبرح بيهتها
فقد فرحت من الفراش ضاكبه

...

فالشاعر ينهى ابنته عن الاقتران برجل حقير لثيم وقد عبر عن ذلك بمعدة
صور حيث استخدم الكتابة في قوله (ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا) عن خسته وذلته
وجبنه فغاية همه الأكل ليس إلا .

أما المعالي فهو بعيد عنها ، وصور شدة بغله وسوء خلقه في (عبوسا إذا
الضيف حطت ركائبه) فتضيق نفسه ويحبس وجهه وكأن مصيبة حلت به إذا ما
ضيف أناخ ببابه ، ثم يزهد في تصوير هذا اللثيم الذي لا يستحق أن يكون زوجا

(١) الحماسة للبحتري ص ١٩٠ والباب الأول ص ١٢٦ .

فيصفه بالخمول والكسل والعجز فهو لا ينادر بيت زوجته كثير النوم حتى تفرحت مناكبه من طول ملازمته الفراش .

وقد استخدم الشاعر في هذه الصورة الكناية أيضا ، وهذه الصور مجتمعة تبين للبيت صفات اللقيم وتجسدها لها مما يجعلها تأنف من اللثام وتتمتغز نفسها عند رؤية هذا الصنف من الناس .

ونرى دقة تصوير اللقيم في وصية هدية بن الخشرم المذرى لزوجته عند موته حيث يقول (١) :

ولا تتكحسى إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعاً
كليلاً سوى ما كان من حد ضرره
أَكْبِدَ ببطان العشيّات أروعاً
ضروباً بلحبيبه على عظم زوره
إذا الناس هوشوا للفعال تقمأ

...

فالشاعر يصور اللقيم لزوجته ويقول لها : " إنه رجل قد أرسل شعره على وجهه وقناه حتى يتخطى بهما فلا يراه أحد أو يعرفه فيطلب منه قضاء حاجة فهو رجل ضعيف خامل لا يعمل شيئاً إلا في الأكل فهو شره أكل عظيم البطن يبحث عن الطعام في أى مكان ثم يجسم الشاعر صفات اللقيم القبيحة وجهه ، فأسفل حنكته ملاصقة لعظام زوره على الدوام لا يعرف طريقاً لرفعها إلى أعلى ، ولهذا من شدة لومه وجهه حتى لا يرى أحداً أو يراه أحد وإذا ما أسرع الناس لفعل الخير والأعمال الشريفة تنزع وغطى وجهه أو أشاح به عن الناس حتى لا يعطيهم أو

(١) الأغاني ح ٢١١ ص ٢٦٩ والباب الأول ص ٢٨٦ .

يساعدهم في شيء من أمورهم ، وقد صور الشاعر اللثيم في ثلاث صور متتالية استخدم الكناية فيهما وكأنه في الصورة الأولى أحس أنه لم يعط صفات اللثيم حقها من التوضيح والبيان فزاد ثانية وثالثة ، فهل بعد هذه الصور غيبي في صفات اللثيم ؟ وهل سترضى امرأة بالاقتران بسثل هذا الرجل ؟ الجواب النفي في كلا الأمرين فالشاعر بتصويره هذا قد كشف المغطى وأوضح وأبان وبالع فسي تفصح اللثيم مما يبحث الاشتمزاز في النفس من رومية هذا الصنف ، وقد استطاع الشاعر أن يصور هذا الصنف كأنه مائل للعيان .

ومن التصوير البياني القائم على التشبيه التمثيلي حث عبد الله بن المعتز المرء على الصبر على حسد العدو حيث يقول (١) :

اصبر على حسد العدو
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله
...

فالصبر على حسد العدو وتركه وعدم الاهتمام به يهيئه ويقض عليه فمثلته مثل النار التي لا تمسد بالحطب فهي تأكل بعضها وتخد في لحظات يسيرة ، فحسد العدو يرجع إليه إذا لم يجد من يهتم به فيفتك بنفسه ويحترق جوفه وقلبه .

وهذا التصوير البياني قَرَّب الصورة وَصَّغَ الأمر المتخيل بالحقيقة الشاهدة مما كان له أكبر الأثر في الاقتناع بجدوى الصبر على الحاسد .

وأبو تمام بحث المرء على الاغتراب والسفر لأن لا يمله الناس ويوضح معناه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ والباب الأول ص ٩٩ .

بتشبيه تمثيلي حيث يقول (١) :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لديها جتيه فاغترب تتجدد
فلانى رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم يسرمد

...

فمكونك أيها الإنسان في وطن واحد لا ترحل عنه أبدا مخلق لجدةك
وينقص من قيمتك وقدرك عند الناس فساقر وأغترب عن وطنك ليتجدد وجهك
وسهاوك، وانظر إلى الشمس وليكن لك فيها قدوة ه فهي محبة لدى جميع الناس
وهم يأنسون بها وما ذاك إلا لغيا بها بعض الأوقات عنهم وإشراقها عليهم ففى
أوقات أخرى ولو كانت دائمة المكوث لديهم لملوها ولستوا مشاهديها .

وقد أبدع الشاعر في تصويره هذا ما يوجب على المتلقى الاقتناع بالمعنى
الذى يريده الشاعر ه ولو توقف الشاعر عند البيت الأول فقط لتردد السامع فى
قبوله ه ولكنه شغفه بالبيت الثانى الذى يحمل تشبيه التمثيل ليوضح صحة ما
يراه وما أمر به .

فما سبق يتضح لنا أن شعراء الوصايا قد استخدموا جميع ألوان الصور
البيانية من استعارة وكناية وتشبيه ه ولكن أكثر هذه الألوان دورانا في هذا الفن
التشبيه ه ويبدو أن ذلك راجع إلى أن صورة التشبيه أنسب لهذا الشعر من حيث
اتخاذها وسيلة من وسائل الإقناع الذى يهدف إليه شعر الوصايا .

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص ١٠٩ .

ثالثاً : نس القيم الصوتية :

أ - الأوزان :

للشعر أدوات تميزه عن الأعمال الأدبية الأخرى وأهم هذه الأدوات النغم الموسيقى الذي يهز الوجدان وتطرب له الآذان ويكسب القصيدة جمالا وبهاء .

والنغم الموسيقى في الشعر يمكن في عدة أمور وأهمها الأوزان .
فالأوزان هي الأدوات الأولى التي يستخدمها الشاعر ليصوغ فيها تجربته الشعرية ويقدمها إلى المتلقي بحلة قشبية وألوان زاهية تنع النفس وتبعث فيها الأناش والانشراح . وهنا يأتي سؤال يطرح نفسه : هل الشاعر يقصد إلى بحر بعينه لكي ينظم فيه قصيدته فيختار من البحور ما يوافق غرضه أم أنه ينظم قصيدته على حسب ما يختلج في نفسه وما يدور فيها من انفعالات من غير نظر إلى البحر .

أو بصيغة أخرى هل هناك علاقة بين الأغراض الشعرية والبحور ؟
الجواب : لقد اختلف النقاد إلى فرقتين فرقة ترى أن للبحور صلة بالموضوعات فحازم القرطاجني يرى أن على الشاعر أن يختار لموضوعه البحر المناسب فإن أراد الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة وإن قصد الهزل اتجه إلى الأوزان الطائفة (١) .

ومن النقاد المحدثين من يرى مثل هذا الرأي فالأستاذ أحمد الشايب يرى أن للبحور صلة بالأغراض الشعرية (فالطويل يتسع لكثير من المعاني وإكالمها فلذلك يكثر في الفخر والحماة والوصف والتاريخ والبسيط يقرب من الطويل والكامل يصلح لأكثر الموضوعات والوافر ألين للبحور يختد إذا أعددت بهرق إذا رقت وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر وفيه تجود المراثي . . الخ) (٢)

(١) انظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٦٦ حازم القرطاجني تحقيق محمد

ابن الحبيب ط الثانية نشر دار الغرب ببيروت سنة ١٩٨١ م .

(٢) أصول النقد أحمد الشايب ص ٣٢٢ وما بعدها .

والفرقة الأخرى من النقاد ترى أنه لا صلة للبحور بالأغراض فالشاعر المطبوع له الحرية في اختيار البحر الذي يناسب عاطفته فيفرغ فيه ما يمتثل بداخله من مشاعر، وكما قال ابن رشيق: (المطبوع يستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنبوذقه عن المزاحف والمستكره . .) (١)

والدكتور إبراهيم أنيس يرى ذلك أيضا ويستدل على ما ذهب إليه بواقع الشعر العربي القديم يقول (هل اتخذ القدماء لكل موضوع من الموضوعات وزنا خاصا أو بحرا خاصا من بحور الشعر التي رويت لنا ؟ إن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرا بمثل هذا التخيير أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه فهم كانوا يمدحون ويغاضون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعرت عندهم) (٢).

والدكتور شوقي ضيف كذلك ينكر أن يكون للبحور صلة بالأغراض الشعرية فيقول بإننا (لا نؤمن بما ذهب إليه بعض المعاصرين من محاولة الربط بين موضوع القصيدة والوزن الذي تنظم فيه فحقائق شعرنا تنفص ذلك نقضا تاما إذا القصيدة تشتمل على موضوعات عدة ولم يحاول الشعراء أن يخصصوا الموضوعات بأوزان لها لا تنظم إلا فيها فكل موضوع نظم في أوزان مختلفة وكل وزن نظمت فيه موضوعات مختلفة) (٣).

فلذلك يجب أن لا نفرق كل بحر بموضوع خاص له وأن لا نجبر الشاعر على القول بوزن معين بل من الأفضل ترك الحرية له (لأنه هو الذي يستطيع أن يترك أي وزن من الأوزان أنسب لحالته النفسية وغرضه وهو الذي يستطيع أن يحدد

(١) المجلد ١ ص ١٣٤ .

(٢) موسيقى الشعر ص ١٢٢ د / إبراهيم أنيس ط الخامسة سنة ١٩٨١ م .

(٣) في النقد الأدبي ص ١٥٢ د / شوقي ضيف ط الخامسة دار المعارف مصر .

الموقف الخاص دون التقيد بما يطلى عليه من الخسارج وبالربط بين حالته وبين ما اهتدى إليه يستطيع أن يستوفى تجربته الشعرية ويستوعب ما يجيش فى نفسه وخواطره ثم ليكن هذا الوزن على أى بحر من بحور الشعر (١)

أما من ناحية خصائص شعر الوصايا فى الأوزان فإننا نجد أن البحر الطويل هو المقدم على البحور فى شعر الوصايا فأغلب هذا الشعر نظم على هذا البحر ولعل ذلك راجع إلى أن شعر الوصايا يتسم بالجد والتبلى والصدق والموضوعية وبحر الطويل (بحر الجلالة والتبالة والجد) (٢) وهو البحر المعتدل (٣) .

واستخدام هذا البحر أعنى بحر الطويل شائع فى الشعر العربى فقد نظم ثلث الشعر العربى على هذا الوزن وقد كان القدماء يؤثرونه على غيره ولا سيما فى الأغراض الجديدة الجليلة الشأن (٤) .

وشعر الوصايا لا يختلف عن الشعر العربى فما هو إلا غرض من أغراض هذا الشعر .

فمن الأبيات الرائعة التى جاءت على بحر الطويل قول سليمان ذو الدمنة فى وصيته على الكرم والإنفاق (٥) :

إذا المرء لم يستر عن الدم عرضه
بيلغة ضيف أو بحاجة قاصد
فما المال إلا مظهر لميوسه
وداع إليه من عدو وحاسد

-
- (١) فى ميزان النقد الأدبى ص ٣٣ .
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ح ١ ص ٣٨١ د / عبد الله الطيب ط الثانية ١٩٢٠م دار الفكر - بيروت . (٣) المرجع السابق ح ١ ص ٣٦٢ .
(٤) انظر موسيقى الشعر ص ١٦١ .
(٥) شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ والباب الأول ص ٢٤

وما المرء محمودا على ذى قرابة
كفاه مهما دون نفع الأبعاد
ومن لا يواتيه على الجود وجده
فإن جميل القول إحدى المحامد
...

وكذلك قول حاتم الطائي في وصيته على حسن معاملة الرفيق في السفر (١) :
إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
رفيقتك يمشى خلفها غير راكب
انخها وأركبه فإن حملتكما
فذاك وإن كان العقاب فعاقب
...

ويلى بحر الطويل بحر الكامل حيث يحتل المرتبة الثانية من بين البحور التي
نظم عليها شعراء الوصايا وهذا البحر (أكثر بحور الشعر جلجلة وفيه لون خاص
من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنمى ظاهر (٢)) وهذا
الأمر واضح جلى في شعر الوصايا ولا أدل على ذلك من الوصايا الأربعة حيث نظم
أغلبها على هذا البحر ونحس بالغخامة والرنة الموسيقية عندما نقرأ أى قصيدة جاءت
على هذا الوزن ه فلو قرأنا - على سبيل المثال - قصيدة عبدة بن الطبيب السني
يوصى بها أبناءه لأحسنا بذلك الأمر ه يقول فيها (٣) :

أبني إني قد كبرت ورايتني
بصرى وفي لصلح مستمتع
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيا
يبقى لكم منها مآثر أروع

-
- (١) ديوانه ص ٢٠٤ والباب الأول ص ١٠٦ .
(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب ج ١ ص ٢٤٦ .
(٣) المغفليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٣٦ و ١٤٤ .

ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم

ورواة الحب المقدم تنفع ٠٠٠

٠٠٠

ويلى بحر الكامل من حيث المنزلة فى شعر الوصايا البحر البسيط وهو بحر
جليل رائع ويعد شقيق الطويل وقد أكثر العرب الأوائل فى النظم على وزنه .

ومن أشهر القصائد التى نظمت على هذا الوزن فى شعر الوصايا قصيدة
أبى الفتح البستي التى حشد فيها وصايا اجتماعية عديدة والتى يقول فيها :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسان

وإن أساء معى فليكن لك فسى

عروى زلت صفح وغفران

وكن على الدهر معوانا لذى أمل

يرجو نذاك فإن الحر معوان ٠٠٠

٠٠٠

ويأتى بعد بحر البسيط بحر الوافر فقد نظم فيه شعراء الوصايا عددا من
القصائد وإن لم تكن كثيرة مثل البحور السابقة ومنها قصيدة عمرو بن الأهتم التى
يوصى فيها ابنه رعى (١) :

لقد أوصيت رعى بن عمرو

إذا حزبت عشيرتك الأمور

بأن لا تفسدن ما قد سمعنا

وحفظ السورة العليا كبير

(١) قصيدة عنوان الحكم لأبى الفتح البستي ص ٣٦ والباب الأول ص ٤٦ .

(٢) المغفليات ص ٤٠٩ والباب الأول ص ١٤٢ .

وبعد الوافر يأتي بحر الخفيف وعدد القصائد والمقطوعات التي نظمت فيه قليلة مثل قول ابن العلاف (١) :

قل لمن يجرم المهرى فلو عد
ت صحيحا لعاد ذاك مريضا
لا تطل غده الجلوس فيزدا
د طويلا من المقام عريضا... الخ
...

والمقارب يأتي بعده فقد نظم شعرا الوصايا قصائد ومقطوعات على هذا البحر ليست بالكثيرة مثل وصية الصلتان العبدى لابنه التي يقول فيها (٢) :

بنى بدا خب نجوى الرجال
فكن عند شرك خب النجى
وسرك ما كان عند امرئ
وسر الثلاثة غير الخفى... الخ
...

ويلى المقارب بحر الرمل ، فقد جاءت بعض القصائد عليه مثل وصية مسكين الدارمي التي يقول فيها (٣) :

إتق الأحمق أن تصحبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
...

أما الرجز فلم ينظم فيه إلا مقطوعتان من شعر الوصايا الحربية وذلك نسي قول خالد بن الوليد (٤) :

-
- (١) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦
(٢) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٢٢٣ والباب الأول ص ١٦٥ .
(٣) خزائن الأدب ح ٣ ص ٦٩
(٤) فتوح الشام ص ١٥٧ والباب الأول ص ٢٢١ .

هبوا جميعا إخوانى أرواحا
نحو العدو نبتغى الكفا ٠٠٠ الخ
وقول ابن الخنساء (١) :

فبادروا الحرب كفاة فى العدد ٠٠٠ الخ

ولعل ذلك راجع إلى أن هاتين المقطوعتين قبلتا ارتجالا فى ساحة المعركة
تحت صهيل السيوف وتكسر الرماح ، وإيقاعات الرجز ثلاثم ذلك وهو يسهل فى
الارتجال .

أما بحر السبع فقد جاءت منه وصية واحدة وهى وصية الحارث بن حلزة
اليشكرى التى يقول فيها (٢) :

قلت لعمرو حين أبصرته
وقد حبا من دونها عالم
لا تكمع الشول بأغارها
إنك لا تدري من الناتج

وهذا الوزن قليل الاستعمال فى الشعر العربى على وجه العموم .
ونظم على البحر المنسرح قطعة واحدة هى قول عبد الله بن المبارك (٣) :

يا طالب العلم بادر مورعا
وهاجر النوم وهاجر الشبا
يا أيها الناس أنتم عقيب
يحصده الموت كلما طلعا

...

(١) شعر الدعوة الإسلامية فى عصر النبوة ص ١٧٠ والباب الأول ص ٢٢٢ .

(٢) المفضليات ص ٤٢٩ والباب الأول ص ١٢٠ .

(٣) ديوانه ص ٥٢ والباب الأول ص ١١٥ .

تلك وقفة سبعة مع أوزان شعر الوصايا الطويلة ه أما الأوزان القصيرة فلم
يأت ههنا شعر الوصايا سوى مجزوء الكامل مثل قصيدة ذو الأصبع العدواني التي
يوصى فيها ابنه أسيد والتي مطلعها (١) :

أ أسيد إن مالا ملكك * ت فسر به سيرا جميلا
وكذلك قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي في وصيته لابنه بدر والتي يقول
فيها (٢) :

يا بدر والأمثال يضـ * سرها لدى اللب الحكيم
وكذلك مجزوء الرمل ولم يأت عليه سوى مقطوعتان من شعر الوصايا ومنها
قول عبد الله بن المبارك (٣) :

كل من الجاروش والسرز * ز ومن خبر السمر
واجعلن ذاك حلالا * تنج من نار السمر
...

هذه هي البحور التي نظم عليها شعراء الوصايا حسب ما توصلت إليه ونلاحظ
أن أغلب شعر الوصايا نظم على بحور طويلة ولم يأت منه على بحور قصيرة إلا ما ندر ه
ولعل ذلك راجع إلى موضوع الشعر فهو يتطلب بحورا طويلة تنوع العواطف
والتجارب من غير نقص بثوب جميل وجليل .

-
- (١) الأغاني ج ٣ ص ٩٩ والباب الأول ص ١٢٢ .
(٢) الحاسة لأبي تمام ج ١ ص ٦١٢ والباب الأول ص ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ .
(٣) ديوانه ص ٤٨ والباب الأول ص ٢٠٩ .

ب - الموسيقى الداخلية :

موسيقى الشعر وأنغامه ليست متوقفة على الوزن والقافية فقط ، بل هناك موسيقى أخرى تعرف بالموسيقى الداخلية للكلمات والمبارات وهو (الميدان الفسيح الذي تظهر فيه عقيدة الأديب شاعرا أو ناثرا وهو يوقع على أوتار معانيه ويودع النغم العذب الجميل فيما يختار من لفظ وتعبير ^(١))

وهذه الموسيقى ليس لها ضابط يضبطها إنما هي تعود على قدرة الأديب في الصياغة وعلى حسن اختياره لحروفه وكلماته فلذلك اختلف الشعراء (في إدراك هذه الموسيقى الخفية منهم من يبلغ به إدراكها أن تصبح الفاظه كلها أنغاما رشيقة أو قل أنغاما حلوة) ^(٢) .

ولشعر الرصايا موسيقى داخلية وأنغام حلوة ظاهرة فمن ذلك قصيدة
عدة بن الطبيب التي يقول فيها ^(٣) :

أبني اني قد كبرت ورايتني ■ بصري وفي ليلع مستمتع
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيها ■ يبقى لكم منها مآثر أربع

إلى أن يقول :

١ - ونصيحة في الصدر صادرة لكم

ما دمت أبصر في الرجال وأسع

٢ - أوصيكم بتقى الإله فإنه

يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

(١) في ميزان النقد الأدبي ص ٣٤ .

(٢) في النقد الأدبي ص ١٢٧ د / جوقي ضيف .

(٣) المفضليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٣٦ .

٣ - وبير والدكم وطاعة أمـره

إن الأبر من البنين الأطوع

٤ - إن الكبير إذا عصاه أهله

ضاقت يداه بأمره ما يصنع... الخ

...

فالموسيقى الضيعة من داخل الأبيات واضحة يشعر بها القارئ أو السامع

فهي تهز المشاعر وتحرك الوجدان .

فالشاعر قد أحسن تكرار حرف الصاد - وهو من حروف الهمس ويحدث صغيرا

هادئا - في البيت الأول في قوله : ونصيحة صدر ، صادرة ، أبره ، ونسى

البيت الثاني في قوله أوصيكم ، وفي البيت الرابع في كلمات عصاه ، ويصنع .

فذلك التكرار المتوازن لهذا الحرف مع حسن تلاوهم الحروف مع بعضها

أضفى جمالا على الأبيات وأحدث جرسا ونغما موسيقيا .

وكذلك تكرره لحرف الهاء الحلقى المخرج في قوله :

إن الكبير إذا عصاه أهله

ضاقت يداه بأمره ما يصنع

أعطى للبيت نغمة خاصة ، فقد كرر حرف الهاء في شطر البيت الأول ثلاث

مرات في كلمة عصاه وأهله ، وفي الشطر الثاني مرتين في كلمة يداه ، وبأمره ،

فالتلقى يشعر بأن هذه الكلمات التي تألف منها البيت تخرج من أعماق جوف الشاعر

وكانها تأوهات حرة حيث يحس السامع أو القارئ بنغمة حزينة وموسيقى هادئة

في هذا البيت .

وقد استخدم الشاعر المحسنات البدعية مما زاد في جمال الأبيات ونسى

إيقاعاتها فتراها يجانس جناسا اشتقاقيا في قوله :

وبير والدكم وطاعة أمره

إن الأبر من البنين الأطوع

فجانس بين (بر) و (الأبر) وبين (طاعة) و (الأطوع) جناساً
اشتقاقياً أعطى للبيت نغمة موسيقية نتجت عن ترديد الأصوات والإيقاعات .

وكذلك الطباق في قوله (ما دمت أبصر في الرجال وأسمع) فقد طابق
بين أبصر وأسمع وكذلك في قوله (يعطى الرغائب من يشاء ويمنع) فطابق بين
يعطى ويمنع وهذا الطباق قد حافظ على توازن الإيقاعات الموسيقية في الأبيات
ونحسب بالموسيقى الداخلية الهادئة في أبيات الصلتان العبدى التى يوصى
بها ابنه عمرو يقول (١) :

بنى بدا خب نجوى الرجال

فكن عند سرك خب النجى

وسرك ما كان عند امرئ

وسر الثلاثة غير الخفى

كما الصمت أدنى لبعض الرشا

فبعض التكلم أدنى لفس

...

فالشاعر في الأبيات السابقة يوصى ابنه بكتمان الأسرار وحفظها وقد أضاف
على أبياته نغمة موسيقية وإيقاعات منتظمة وذلك من خلال تكريره لحرف الباء (الألف)
في قوله (بدا) و (نجوى) و (الرجال) فقد وزع هذا الحرف توزيعاً متوازياً في
ثلاث كلمات متتالية مما أثار على المقاطع الصوتية وأعطاه نغماً موسيقياً متوازياً .
والتضعيف أيضاً في الأبيات زاد في إيقاعاتها الموسيقية فقد استخدم

(١) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦٢٣ والباب الأول ص ١٦٥ .

التضعيف فى البيت الأول عدة مرات فى قوله : سَبَّحَ ، حَبَّ ، سِرَّكَ ، حَبَّ ، وفى البيت الثانى ثلاث كلمات هى قوله ، وسِرَّكَ ، وسِرَّ الثلاثة . . . وضعف فى البيت الثالث ثلاث كلمات أخرى فى قوله : الصَّتْ ، والرَّشَادْ ، التَّكَلَّمَ ، وهو تضعيف صوتى لدخول ال الشمسية وإن لم يكن تضعيفا فى أصل حروف الكلمات ، فهذا التضعيف زاد فى جمال الإيقاع الموسيقى وأعطاه نغمة خاصة نتجت من الضبط على المقاطع الصوتية الناتجة من التضعيف .

ونرى تكراره لكلمة (السر) فقد كررها ثلاث مرات وهذه الكلمة تحتوى على حرف السين وهو من الحروف المهموسة ويحدث رسيسا وله وقع موسيقى هادئ .

وللمقابلة فى البيت الثالث دور كبير فى جمال الإيقاع الداخلى للأبيات فقد قابل بين قوله (كما الصمت أدنى لبعض الرشاد) وبين قوله (فبعض التكلم أدنى لحنى) فالشطر الأول يقابله الشطر الثانى .

وللحسنات البدعية - غير المتكلفة - دور فى تناسق الإيقاعات الموسيقية فى الألفاظ ، وقد مر بنا بعض منها فيما سبق من الأبيات وخاصة الطباق والمقابلة .

فمن الجناس الذى زاد فى موسيقى اللفظ قول الخليفة الراشد على بسن أبى طالب رضى الله عنه (١) :

ألا فاصبر على الحدث الجليل

وداؤ جواك بالصبر الجميل

فقد جانس بين كلمة (الجليل) وكلمة (الجميل) جناسا ناقصا ما كان له

(١) شعر الدعوة الإسلامية فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٣٦ والباب الأول ص ٢٠٢ .

الأثر الواضح في انسجام النغمة الموسيقية للبيت بالإضافة إلى التصريح الذي يشكل بين الشطرين في التوقيع النغمي .

ونرى حسن أثر الجناس من الناحية الموسيقية في قول سابق البربري (١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن

والله يا هذا لرؤك ضامن

تعنى بما تكفى وترك ما به

تعنى كأنك للحوادث آمن

فقد جانس الشاعر بين كلمة تمنى في الشطر الأول والتي بمعنى تجتهد في طلب ما تكفى وتحرص عليه وبين كلمة (تعنى) في الشطر الثاني والتي بمعنى تفقد وتأمر به ، فالجناس كحل للشطر الثاني نغمة موسيقية متوازنة ومنسجمة مع موسيقى الشطر الأول .

وللتصريح في البيت الأول نغمة موسيقية واضحة زادت في إيقاع الكلمات .

ومن المحسنات البدعية الطباق والمقابلة وقد أحسن شعراء الوصايا استخدامها فمن ذلك قول مسكين الدارمي : (٢)

لحال الله من باع الصديق بغيره

وما كل يبيع بعته برباح

كفسد أدناه وصلاح غيره

ولم يأتصر في ذاك غير صلاح

فالشاعر قد طابق بين (الصديق) و (غيره) في البيت الأول وقابل بين قول (كفسد أدناه) وبين (صلاح غيره) في البيت الثاني وقد أفاد الطباق والمقابلة إيقاعات موسيقية جميلة نتيجة للتقسيم الخفي الذي أحدثاه .

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣

(٢) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٧ والباب الأول ص ٢٥١ .

ومن المحسنات البديعية الشائعة في شعر الوصايا والتي لها دور فيس
إيقاعات الشعر وموسيقاه رد الأعجاز على الصدور ، فمن ذلك قول سابق البربري :
(١)

لا تخمين لجوجا حين تزجره
إن اللجوج له في الزجر إغرا
وأغنى في حسن غفوع نوادره
فالحرف فيه عن الآفات إغضاء

فقد استخدم الشاعر رد الأعجاز على الصدور في البيتين في كلمة إغراء ،
وإغضاء فقد ردهما على قوله لا تخمين ، وأغنى ، وهذا المحسن البديعي زاد في
إيقاعات البيتين الموسيقية ، وزهادة على النغم الموسيقي الذي أحده فقد أكد
المعنى الذي يريده الشاعر .

ومما يلاحظ في موسيقى شعر الوصايا الداخلية أن لموضوع الوصية ارتباطا
وثيقا في إيقاع الأبيات فإذا كان موضوع الوصية موضوعا هادئا مثل الوصايا الأبوية
أو الاجتماعية فإننا نجد الموسيقى الهادئة مثل وصية عبدة بن الطبيب لابنائه ،
وصية الصلتان العبدى لابنه عمرو اللتين مرثيا قريبا .

أما إذا كان موضوع الوصية موضوعا حماسيا وحثا على قتال أو خوض معركة
أو استعداد لها ، فإننا نجد إيقاعات شديدة وموسيقى صاخبة تحرك المشاعر
وتهز القلوب وذلك مثل قول لقيط بن يعمر الإيادي (٢) :

صونوا جبادكم واجلوا سيوفكم
وجددوا للفس النبل والشرع

(١) شعره ص ١١٣

(٢) الديوان ص ٤٤ والباب الأول ص ٢٤٠ .

واشرو تلادكم من حرز أنفكم
 وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلعاً
 ولا يدع بعضكم بعضاً لنائبة
 كما تركتم بأعلى بيضة النخعا
 اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا
 حتى ترى الخيل من تدافعها رجما
 فلا تغرنكم دنيا ولا طمع
 لن تتمشوا بزمام ذلك الطمعا

...

فإيقاعات الأبيات السابقة إيقاعات شديدة قوية وكل أبيات القصيدة على هذا
 النوال .

وللتقسيم دور في زيادة هذه الإيقاعات في مثل قوله في البيت الأول :
 صونوا جياكم • واجلوا سيوفكم • وفي البيت الثاني في قوله : واشرو تلادكم •
 من حرز أنفكم • وحرز نسوتكم •

ولتكرار الحروف المجهورة والشديدة دور بارز في شدة إيقاع الأبيات مثل
 تكرير حرف الجيم في البيت الأول في الكلمات : جياكم • واجلوا • وجددوا •
 وكذلك تكرير حرف الدال الشدید المجهور ثلاث مرات في كلمة جياكم وكلمة
 جددوا .

ولتكرير حرف الواو في الأبيات صخب موسيقى واضح فهو من حروف الجهره
 وكذلك لحرف الطاء في كلمة (طمع) في البيت الأخير رنة موسيقية صاخبة • وكذلك
 رد المعجز على الصدر في قوله (الطمعا) أحدث ترديدا لهذا الصوت الشدید
 والموسيقى الصاخبة • ولأفعال الأمر (صونوا) و (اجلوا) و (جددوا) و (اذكوا) •
 و (احترسوا) نبرات قوية توحى بشدة الأمور به • وتواليها في مسافات متقاربة

يحطى إيقاعا سريعا يوائم السرعة المطلوبة منهم لتنفيذ هذه الأوامر الحازمة .

فما سبق يتبين لنا حسن الإيقاع وحلاوة الأنغام الموسيقية في شعر الوصايا الناتجة عن الموسيقى الداخلية التي وفرها الشعراء لشعرهم في هذا الفن وذلك في مثل اختيارهم للكلمات تحتوى على حروف لها جرس ونغم مثل الميم والصاد ه واستخدامهم للتضعيف الذى يزيد في بنية الكلمة ونغمها ه وكذلك استخدامهم للمحسنات البدعية التى تزيد في إيقاع الأبيات وتساعد على توازن الأنغام .

ج - القافية :

للقافية دور واضح في إيقاعات الأبيات وفي حسن النغم الموسيقي فهى
حقبة الوزن وهى الأداة الثانية التى تميز الشعر عن غيره من الأعمال الأدبية .
وقد اختلف العلماء فى تحديد بها ولكن المختار والمشهور تعريف الخليل بن أحمد
وهو قوله (القافية من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى
قبل الساكن) (١) .

وحرف الروى هو (الذى يقع عليه الإعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر فى
كل بيت) (٢) وهذا الحرف هو أهم حروف القافية وله دور بارز فى الموسيقى الشعرية
والإيقاعات فإذا وفق الشاعر إلى اختيار حرف مناسب لقصيدته أعطاها نغمة لذيدة
تنساب فى الأذن وترتاج لها النفس ومعظم الحروف الهجائية صالحة لأن تكون
رويا ولكنها تتفاضل فى نسبة الشيوخ (٣) .

وإذا نظرنا فى شعر الرصايا وجدنا أن أغلب حروف الهجاء قد جاءت رويا
على تفاوت فيما بينها فى القلة والكثرة .

فالحروف التى جاءت رويا بكثرة : الباء ، واللام ، والدال ، والراء ،
والميم ، والعين ، وهذه كثيرة الشيوخ فى الشعر العربى عموما فهى نسبة طبيعية .
أما الحروف التى جاءت رويا وسطا بين القلة والكثرة فهى القاف ، والهمزة ،
والتاء ، والنون ، والحاء .

أما الحروف التى جاءت رويا فى شعر الرصايا على قلة لا تتعدى مقطوعة

(١) العمدة لابن رشيق ص ١٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٣) انظر موسيقى الشعر ص ٢٤٧ .

أو مقطوعتين هي الزاي والجيم ، والفاء ، والكاف ، والضاد ، والصاد ، والهاء ،
والسين ، والياء ، والألف .

فهذه الحروف أتت رويًا على قلة فحرف السين مثلا - لم يأت رويًا إلا في
قطعة واحدة لا تتعدى أبياتها ثلاثة وهي قول أحبة بن الجلاح الأوسى (١) :

استغن عن كل ذي قريب وذى رحم
إن الغنى من استغنى عن الناس
والبس عدوك فسى رفق وفى دعة
لباس ذى إريسة للدهر لباس
ولا تغرنك أضغان مزملمة
قد يضرب الدبر الداس بأحلاس

فقد يكون موضوع الأبيات (الاستغناء عن الناس) هو الذى أُملى على الشاعر استخدام
الكلمات التى تنتهى بحرف السين مثل كلمة (الناس) ولعل هذا دعاء كذلك إلى
الإتيان بكلمات أخرى فى داخل الأبيات فيها حرف السين كل ذلك ليبقى رنين
الكلمة التى هى بيت القصيد باقيا فى الأذن .

وكذلك حرف الضاد لم يرد إلا فى مقطوعتين فقد يكون أيضا سبب اختيار
هذا الحرف رويًا هو موضوع الأبيات ومعانيها ، فابن العلاف لما أراد أن يوضح للمرء
آداب زهارة المريف فى أبياته التى يقول فيها (٢) :

قل لمن يرم المرءى فلو عد ■ ت صحيفا لعاد ذاك مريضا
لا تطل غده الجلوس فيزدا ■ د طويلا من المقام عريضا
قل له كيف أنت وادع له الله ■ ع وعجل عن العليل النهوضا

(١) ديوانه ص ٧٨ والباب الأول ص ٣٧ .

(٢) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦ .

فإذا كان من يعود مطيلا * لم يكن عائدا وكان بخيضا

استخدم هذا الحرف أعني حرف الضاد رويًا وهو أحد حروف كلمة (المريض) فمعنى الأبيات هو الذي أملى على الشاعر اختيار هذا الروي مع صعوبة نطقه ونقله فـسـى السمع .

وهذه الحروف التي جاءت وسطا أو على قلة رويًا هي قليلة الشيوع فـسـى الشعر العربي على وجه العموم ما عدا حرف السين ولعل السبب في ذلك راجع إلى قلة ورودها في أواخر كلمات اللغة العربية (١) .

وقد أحسن شمرًا الوصايا اختيار حرف الروي الذي يخدم المعنى والذي يعطى نغمة جميلة تتناسق مع موسيقى الوزن فيكون ختامًا حسنًا رائعًا لموسيقى البيت بأكمله .

فلو قرأنا أبيات هند بنت النعمان التي توصى فيها عمرو بن ثعلبة الشيباني على قتال الفرس لوجدنا أنها اختارت رويًا حسنًا يتناسب مع موضوع الأبيات تقول (٢) :

حافظ على الحسب النفيس الأرفع

بدججين مع الرماح الفرع

وصوارم هندية مصقولة

بمواعد موصولة لم تنفع

وسلاهب من خيلكم معروفة

بالسبق عادة بكل سبيدع . . الخ

(١) انظر موسيقى الشعر ص ٢٤٨ .

(٢) شاعرات العرب ص ٦٢ والباب الأول ص ٢١٨ .

فحرف الروى له أثر واضح فى موسيقى الأبيات ، فالشاعرة قد وفقت فى اختيار هذا الحرف الحلقى المجهور فى موضوع قوى شديد وهو الحث على خوض الحرب والقتال ، فالروى فى هذه الأبيات يوحى بشدة الأمر وصعوبته ، مع إضفاء نغمة موسيقية جميلة .

ولو نظرنا فى قصيدة طريح بن إسماعيل الثقفى التى يوصى فيها ابنه صلت لوجدنا أن الشاعر قد اختار حرف الهاء ليكون رويًا لقصيدته ، وقد أحسن الشاعر استخدام هذا الحرف على قلة شيوعه رويًا فى الشعر العربى يقول فى قصيدته (١):

يا صلت إن أباك رهن منية
مكتوبة لا بد أن يلقاها
سلفت سواها بأفنى من مضى
وكذاك يتبع باقيا أخراها
والدهر يوشك أن يفرق ربيبه
بالموت أو رحل نشت نواها
لا بد بينكما فتسمع دعوة
أو تستجيب لدعوة تدعاه
وإذا جلست مع الندى فلا تهمل
لهم الحديث بقصة تعيها
حتى تثقها وتحكم وعيها
فتبينها كحديث من أحصاها ٠٠٠ الخ

فاستخدام الشاعر لهذا الحرف الذى يخرج من أقصى الحلق رويًا ساعد على إخراج ما يكن فى نفسه من مشاعر الخوف والشفقة على ولده وكذلك الحزن على

(١) شعره ص ١١٥ والباب الأول ص ١٥٨ - ١٦٦ .

فراقه للدنيا فكأنه في كل بيت يطلق تأوهات حرى من أعماق جوفه تقطر شفقة وحبا
لا ينسه .

والقوافي في شمر الوصايا منسجمة مع بعضها البعض المطلق بنشاز في سمعه
عند إلقائها عليه فكل قافية نهاية طبيعية للبيت من غير استكراء ولا اجتلاب .

فلو نظرنا على سبيل المثال في أبيات صالح بن عبد القدوس التي يقول
فيها (١) :

المرء يجمع والزمان يفرق
ويظل يرتع والخطوب تمزق
ولئن يعادى عاقلا خير له
من أن يكون له صديق أحق
فأرغب بنفسك لا تصادق أحقا
إن الصديق على الصديق صدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما
يبدى محبوب ذوى العقول المنطق . . . الخ
وجدنا أن القوافي حسنة الموقع غير مستكرهة ولا مجتلبة . كل قافية
قارة في مكانها الملائم لها .

ونلاحظ حسن موقع القافية وملائمتها للمعنى في أبيات بشار بن برد التي
يقول فيها (٢) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأى نصيح أو مشورة حازم

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ والباب الأول ص ٥٢ ٨٣٥٧٤٥ .

(٢) ديوانه ج ٤ ص ١١٤ والباب الأول ص ٧٣ .

ولا تجعل الشورى عليك غضاة
مكان الخوافسى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خور سين لم يؤيد بقائهم ١٠٠٠ الخ

فالقوافى هنا جميلة رائعة يستطيع المتلقى معرفتها قبل ذكرها له لعلها
للمعنى وتطلبه لها وقد دغ ارتباطهما ببعض بحيث لو حذفناها لبقي المعنى
ناقصا ولو وضعنا غيرها مكانها لاستحال ذلك فى بعضها ولما كان المعنى دقيقا
فى بعضها الآخر .

وإذا قلنا إن قوافى شعر الوصايا حسنة الموقع جميلة يتطلبها السياق فليس
معنى ذلك أنها قد خلت من العيوب ، فقد ورد فى هذا الشعر بعض القوافى
المجتلبة المستكرهة التى لا يتطلبها السياق إنما أتى بها الشاعر ليكمل بها البيت
لوجود حرف الروى فيها ، وذلك مثل قول عوسجة بن نصر المريش (١) :

اعدى قرى يا أم نصر فمجلس
لمن ضافنا ثم افرض لعيالك
ألا إن جدى كان أوصى به أبى
قد هما وأوصانى أبى مثل ذلك

فالقافية قوله (ذلك) ويحسن السامع أو القارى استكراه هذه الكلمة وجلبها
قسرا لئلا تكون قافية لوجود حرف الكاف فيها لأن الشاعر قد جعل الروى حرف
الكاف ولأن معنى الوصية يفهم قبلها . ونشعر باجتلاب القافية وقلق موضعها فس
قول المقنع الكندى (٢) :

(١) شعرا* بنى قشير فى الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٢٧٦ والباب الأول ص ٢٨٠
(٢) شعرا* أميون ص ٢١١ والباب الأول ص ٦٢ .

واعلم بأذك لا تكون فتاهم

حتى ترى همك الخلاق سهلها

فكلمة (سهلها) لا يحتاج إليها المعنى لأنه قال قبلها (دمك الخلاق)
ودمائه الخلق تشمل جميع الصفات الحسنة مثل لين الجانب ولطف المعاشرة... الخ
فما الفائدة من ذكر هذه الكلمة ؟

الجواب : هو أن الشاعر لم يأت بها إلا من أجل أن يكمل بها البيت
ولا شتمها على حرف الروى .

(١)
وكذلك ترى اجتلاب القافية وعدم افادتها معنى في قول أبي فراس الحمداني

احذر مقارنة اللثام فإنسه

ينبيك عنهم في الأمور مجرب

قوم إذا أيسرت كانوا إخوة

وإذا تربت تفرقوا وتجنبوا

فالشاعر قفى البيت الثاني بقوله (وتجنبوا) وهذه الكلمة لا يحتاجها المعنى
ولا السياق وقد اجتلبها الشاعر وقسرها ليكمل بها البيت ويقفى بها لوجود حرف
الباء فيها لأن كلمة (تفرقوا) تشتمل على معنى (وتجنبوا) ففي التفرق الابتعاد
عن قصد وهو معنى التجنب .

رابعا : نسي البناء الفني :

البناء الفني للشعر من المباحث التي اهتم بها النقاد القدماء والمحدثون على حد سواء ، وما ذاك إلا لأهميته لأنه يكشف عن طريقة أداء الشاعر لقصيدته ، وهل سار بها على التقاليد المعروفة للقصيدة العربية أم لا ، إلا أن هذا المصطلح لم يرد عند النقاد القدماء بهذه الصيغة فمن النقاد القدماء الذين تحدثوا عن البناء الفني ابن طباطبا العلوي فهو يطلب من الشاعر أن يحسن صياغة شعره وأن يحكم بناءه (ويسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم وتصرفهم في مكاتباتهم ، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه - صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المدح ومن المدح إلى الشكوى ... بالطرف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلا به ومستزجا معه ...) (١) .

ويقول في موضع آخر مركزا على هذا المطلب (إن الشعر إذا أسست أسس فصول الرسائل القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها والأمثال المائسة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها وآخرها نسجا وحسنا وفصاحة ... ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا ...) (٢)

ومن النقاد القدماء - أيضا - الذين تحدثوا عن هذا الموضوع ابن رشيق فقد عقد بابا في كتابه العمدة تحت عنوان باب " البداء والخروج والنهاية " وفيه يبين أن من أسباب جودة الشعر إجادة المطالع وحسن التخلص وإجادة النهاية لأن

(١) عيار الشعر ص ٩ ، لابن طباطبا ، تحقيق د / عبد العزيز المانع ، دار

المعلوم للطباعة والنشر - الرياض ١٤٠٥ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٣ .

(حسن الافتتاح داعية الانسراح ، ومطية النجاج ، ولطافة الخروج إلى الديح
سبب ارتياح المدوح وخاتمة الكلام أبقى في السمع والصق بالنفس لقرب العهد
بها فإن حسنت حسن وإن قبحت قبح (١) (٠٠٠))

أما النقاد المحدثون فإن من أشهر من تحدث عن هذا الموضوع منهم
عباس محمود العقاد حيث يرى أن القصيدة لابد أن تكون ذات غرض واحد وقد نعى
على الشعراء الذين يجمعون بين مواضيع لا صلة بينها أو الذين يأتون بمقدمات
لقصائدهم غريبة عنها ، يقول (٢) ما الشعر إلا كلام فإن كانت له ميزة على الكلام
المبتذل فيؤتته أنه أجمل وأبلغ وأحسن وضعاً للمعاني في مناسبتها ، فهل يتكلم
الرجل في السوق والبيت فيتحرز من الخلط بين تصنع الوجد والهيام وتقدير
الحوادث الجسام ، حتى إذا تهيأ للشعر لم يخلط أن يخلط في قصيدة واحدة
بين أبعد موضوعين عن الانتظام في نسق واحد ؟؟ فلو أنه كان صادقا في عشقه
لقبح منه ذلك بين ندمائه وسجرائه ، دعهك قبح إذا عته بين الملاء ، فكيف به
وهو متصنع لا يمشق بغير اللسان (١) (٠٠٠) (٢) .

ذاك بعض ما قاله النقاد القدماء والمحدثون في البناء الفني للقصيدة
وسأتناول في هذا البحث خصائص البناء الفني في شعر الوصايا موضحا
هل جاء هذا الغرض على شكل قصائد أو مقطوعات ، وهل جاء مستقلا أو كان داخل
أغراض أخرى ، وسأبين هل كانت هناك مقدمات لهذا الشعر كما هو متبع في أغلب
أغراض الشعر أم كان خاليا من ذلك (٠٠٠)

(١) العمدة ج ١ ص ٢١٣ .

(٢) الديوان في الأدب والنقد لمؤلفه عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر
المازني ج ١ ص ٤٠ الطبعة الثالثة ، دار الشعب بصر .

إن الناظر في شعر الوصايا يجد أن هذا الشعر جاء على ثلاثة أصناف :
(١) الصنف الأول هو الذى جاء على شكل مقطعات بحيث تتكون القطعة الشعرية من بيتين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك إلى ستة أبيات (١) .

وهذا النوع أعنى المقطعات هو الغالب في هذا الشعر فالمقطوعة عادة ما تحمل فكرة واحدة لا تتعدها مثل قول الصولى (٢) :

خل النفاق لأهله * عليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك أن ترى * إلا عدو أو صديقا
...

وقول ابن وكيع التنيسى (٣) :

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن
مزحا تصاف به إلى سوء الأدب
واحذر مازحة تدود عداوة
إن المزاح على مقدمة الغضب
...

ولكن ما السبب الذى جعل أكثر شعراء الوصايا يميلون إلى نظم المقطوعات ؟
لعل السبب الرئيس في ذلك أن الشاعر حينما يوجه وصية إلى شخص معين أو غير معين يبتغى من وصيته تلك التأثير في نفس المتلقى أما كان والمقطوعة أسرع في التأثير .

ويهد الشاعر لوصيته - أيضا - الحفظ والسيرورة لأن شعر المقطعات أبصر في الحفظ من القصائد الطويلة فتتناقله الرواة فيسير في الآفاق ويشتبه فيكتب

(١) انظر أمثلة على ذلك الباب الأول من هذه الرسالة ص ٢٥٢ ٢٦٠ ٢٧٠ ٢٨٠ ٢٩٠ ٣٠٠ ٣١٠ ٣٢٠ ٣٣٠ ٣٤٠ ٣٥٠ ٣٦٠ ٣٧٠ ٣٨٠ ٣٩٠ ٤٠٠ ٤١٠ ٤٢٠ ٤٣٠ ٤٤٠ ٤٥٠ ٤٦٠ ٤٧٠ ٤٨٠ ٤٩٠ ٥٠٠ ٥١٠ ٥٢٠ ٥٣٠ ٥٤٠ ٥٥٠ ٥٦٠ ٥٧٠ ٥٨٠ ٥٩٠ ٦٠٠ ٦١٠ ٦٢٠ ٦٣٠ ٦٤٠ ٦٥٠ ٦٦٠ ٦٧٠ ٦٨٠ ٦٩٠ ٧٠٠ ٧١٠ ٧٢٠ ٧٣٠ ٧٤٠ ٧٥٠ ٧٦٠ ٧٧٠ ٧٨٠ ٧٩٠ ٨٠٠ ٨١٠ ٨٢٠ ٨٣٠ ٨٤٠ ٨٥٠ ٨٦٠ ٨٧٠ ٨٨٠ ٨٩٠ ٩٠٠ ٩١٠ ٩٢٠ ٩٣٠ ٩٤٠ ٩٥٠ ٩٦٠ ٩٧٠ ٩٨٠ ٩٩٠ ١٠٠٠

(٢) ديوانه ص ١٦١ والباب الأول ص ٦٥ .

(٣) بهجة المجالس ج ٢ ص ٥٧٠ والباب الأول ص ١٠٤ .

له الخلود والتأثير . وقد سئل أبو عمرو بن العلاء (هل كانت العرب تطيل
قال نعم ليسمع منها . قيل : فهل كانت توجز قال : نعم ليحفظ عنها) (١)

وقد سئل ابن الزبيري عن سبب قصيره في الشعر فأجاب بأن (القصار
أولج في السماع وأجول في الحافل) (٢) .

(٢) الصنف الثاني وهو الشعر الذي أتى على هيئة قصائد . وذلك مثل وصية
لقبط بن يعمر اليماني (٣) العربية ووصية ذي الاصبع العدواني (٤) ،
وعبد قيس بن خفاف (٥) ، وعمرو بن الأهتمام (٦) وصالح بن عبد القدوس (٧)
وغيرهم ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه القصائد ليست كثيرة .

(٣) أما الصنف الثالث من شعر الوصايا فهو الذي جاء ضمن أغراض أخرى
وهذا الصنف قليل جدا .

ومن الأمثلة على ذلك قول أبي صخر الهذلي (٨) :

بل سوف أخبر من تفهم منكم
خبيرا يرضى سراجهم للسائل
أن سوف تختبر السرائر فاعلموا
لله قبل مخافة وزلازل

-
- | | | | |
|-----|-------------------------------------|-----|--------------------------|
| (١) | العمدة ج ١ ص ١٨٦ . | (٢) | الصدر السابق ج ١ ص ١٨٢ . |
| (٣) | ديوانه ص ٣٥ . | (٤) | الأغاني ج ٣ ص ١٩ . |
| (٥) | المفضليات ص ٣٨٤ . | (٦) | الصدر السابق ص ٤٠٩ . |
| (٧) | تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٤ . | | |
| (٨) | شعر أمويون ص ٥٨ والباب الأول ص ١٠ . | | |

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة
فاطو الأمانة للضمير الداخل

فهذه الأبيات جاءت ضمن قصيدة للشاعر يبكى فيها على الشباب وبصور
حلول المشيب يقول في أول قصيدته (١) :

بكر الصبا عنا بكور مزابل
عجل الشباب به فليس يقاقل
بانا معا وتركت في مزاها
أبكى خلاهما بكاء التاكل... الخ
...

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفخر بكرمه وشجاعته ويحرض، بمن تنقصه في حال
كبره ، وبعد ذلك ينتقل إلى الوصية السابقة ، ونراه يتخلص إلى هذا الغرض
بقوله : بل سوف أخبر من تفهم منكم " فاستخدم " بل " التي للاضراب ، فكأنه
أضرب عن الأغراض الأولى وانتقل انتقالا مفاجئا إلى الوصية ، فبدت هذه الأبيات
وكانها منفصلة عن بقية أبيات القصيدة .

ومن خصائص البناء الفني لشعر الوصايا ، الدخول إلى الغرض مباشرة
من غير مقدمات طلبية أو غزلية عدا ما جاء في بعض القصائد القليلة أو الشعر
الذي جاء ضمن أبيات أخرى .

ومن الأمثلة على ذلك وصية ذى الأصبع العدواني التي بدأها بقوله (٢) :

أأسيد إن مالا ملك * ت فسر به سيرا جميلا... الخ

(١) شعراء أمويين ص ٥٤

(٢) الأغاني ج ٣ ص ١٩ والباب الأول ص ١٢٢ .

وقول أبي ذؤيب الهذلي (١):

أبلغ لديك معقل بن خويلد
ملائك يهديها إليك هداتها
على إثر أخرى قبل ذلك قد أتت
إليك فجأت مقشعر شواتها
وقد علم الأقوام أنك سيد
وأنك من دار شديد حصاتها
فلا تتبع الأفعى إليك تنوشها
ودعها إذا ما غيبتها صفاتها ... الخ

وقول ربيعة بن مقروم (٢)

أصف المودة من صفالك وده
واترك هفاة القريب الأصيل
كم بن بعيد قد صفالك وده
وقريب سوء كالبعيد الأعزل
...

فترى في هذه الأمثلة أن الشعراء قد دخلوا إلى الوصية مباشرة من غير
مقدمة غزلية أو طليقة ، وهذا هو الغالب في شعر الوصايا .

ولعل السبب في اعتماد الشعراء عن المقدمات الطليقة أو الغزلية أن
غالب هذا الشعر قد جاء على شكل مقطوعات فهو لا يحتمل الإطالة أو الزيادة
فالشاعر يريد أن يبين وصيته بأوجز عبارة وأقل عدد ممكن من الأبيات .

أما القصائد التي لها مقدمات - وهي قليلة - فإن هذه المقدمات تارة

(١) ديوان شعر الهذليين ج ١ ص ١٦٢ والباب الأول ص ٢٦٢

(٢) شعراء الإسلاميون ص ٢٧٦ والباب الأول ص ٥١

تأتى لبيان سبب الوصية ولجلب مشاعر المتلقى ، وتارة تأتى مقدمة غزلية بعيدة
عن معنى الوصية ، فمن القصائد التى أتت لها مقدمة قصيرة لجلب مشاعر المتلقى
ولبيان الباعث عليها قول عبد بن الطبيب (١) :

أبنى إنى قد كبرت ورابنى
بصرى وفى لصلح مستمتع
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيا
يبقى لكم منها مآثر أروع
ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم
ووراثة الحسب المقدم تنفع
ومقام إمام لهم فضيلة
عند الحفيظة والمجامع تجمع
ولهم من الكسب الذى يغنيتكم
يوما إذا احتضر النفوس المطمع
ونصيحة فى الصدر صادرة لكم
ما دمت أبصر فى الرجال وأسمع
أوصيكم بتقى الإله فإنه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
...

فالشاعر افتتح قصيدته بمقدمة قصيرة بين فيها الباعث له على قول
الوصية وهو كبر سنه واقتراب أجله ، فلذلك أراد أن يوصى أبناءه بوصايا أخلاقية
رائعة يستثمرون بها فى درب حياتهم .

ونجد أن انتقال الشاعر من هذه المقدمة إلى الغرض الأساس فى

(١) الفضليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٤٤ و١٣٦ .

قصيدته وهو الوصية كان انتقالا غير مفاجئ ، فقد مهد له بذكر الثلاث المآثر الأولى التى خلفها لهم والتى هى الحسب الرفيع والمجد الموشل والمال الكثير ، وجعل رابع هذه الألفاظ الوصية والنصيحة حيث انطلق من ذلك فى سرد وصيته ، فالقارىء أو المتلقى لا يحس بأن هناك تباينا بين مقدمة القصيدة وبين غرضها الأساس .

ومن أمثلة القصائد التى لها مقدمة غزلية قصيدة عمرو بن الأهتم التى يوصى فيها ابنه رعى يقول (١) :

أجذك لا تلثم ولا تزور
وقد بانث برهنكم الخدور
كان على الجمال نماج قو
كوانس حمرا عنها الستور
وأبكار نواعم ألحقتنى
بهن جلالة أجد عسير
فلما أن تساورنا قلبلا
أذن إلى الحديث فهن صور
لقد أوصيت رعى بن عمرو
إذا حزنت عشيرتك الأمور ...

فالشاعر بدأ قصيدته بالفضل فيبين أسفه على فراق النساء اللاتى من بينهن حبيبته ، ويذكر عوقه إليها لأسرها قلبه ، ثم وصف الظمائن وهيههن يبقن الوحش الكوانس ، وبين كيف لحق بهن بعد ذلك واستمالهن إلى الحديث معه ، وبعد هذه المقدمة الغزلية القصيرة دخل إلى الوصية .

(١) المغضليات ص ٤٠٩ والباب الأول ص ١٤٢ .

ونجد أن انتقال الشاعر من مقدمته الغزلية إلى الوصية كان انتقالا مفاجئا من غير تهديد ، فبعد تلك المقدمة الغزلية القصيرة انتقل فجأة إلى الوصية بقوله " لقد أوصيت ربحى بن عمرو " مما يجعلنا نحس أن هذه المقدمة غريبة لا تمت إلى بقية النص بصلة .

ومما يلاحظ أن هذا النوع من المقدمات - أعنى المقدمة الغزلية - نادر فى شعر الوصايا .

ومن خصائص البناء الفنى فى شعر الوصايا الوحدة الموضوعية فى القصائد أو المقطوعات فغالبا ما تكون القصيدة أو المقطوعة ذات غرض واحد مستقل ، فهى وإن تعددت الأفكار والمعانى فيها إلا أن هناك رابطا يربط فيما بينها ، فالإطار العام للقصيدة أو المقطوعة هو الوصية بما تحمله من معان مختلفة من أمر أو نهى .

فمن ذلك قول الفرزدق فى وصيته لئسنى نعيم (١) :

أجيبوا صدى جلد إذا ما دعاكم
بجرد تماسى الملجعين فحولها
عليها حماة من نعيم بن عامر
تصادى بها شبانها وكحولها
أتقتلكم فى غير جرم عبيدكم
وفهكم رواشى عامر وفحولها
فإن التى بأبى الأسير عليكم
لقاصدة للحق ضاح سبيلها
فلا تقبلوا منه أباعر تفتري
بوكس ولا سودا تصح فحولها

(١) ديوانه جاه ٢٦٦ والباب الأول ص ٢٣١ .

فإن تقتلوا بالفأس يحيا قتلكم
وإلا فإن الفأس عار قتلها

...

فالشاعر بحث بنى نمبر على أخذ الثأر من قاتل جلد ، وعدم قبول الدية
لأن المال مهما كثر فإنه يفنى ، أما العار فإنه يبقى حتى يؤخذ بثأر المقتول .

ونلاحظ في الأبيات السابقة تكامل الوحدة الموضوعية إذ أن هذه المقطوعة
لم تشتمل على موضوع آخر غير موضوع الوصية وهو الحث على أخذ الثأر وعدم قبول الدية .
ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن شعر الوصايا قد جاء على ثلاثة أصناف :
الأول : على هيئة مقطعات وهو الغالب ، والصنف الثاني قصائد كاملة
ولكنها ليست كثيرة جدا أما الثالث فهو ورود شعر الوصايا داخل أغراض أخرى
ولكن ذلك قليل جدا بالمقارنة لسابقه .

ونرى كذلك أن غالب هذا الشعر جاء خاليا من المقدمات ففى أول
القصائد ، فالدخول إلى الغرض مباشرة هو السمة البارزة .

وأخيرا رأينا أن من خصائص البناء الفني فى شعر الوصايا الوحدة
الموضوعية ففى الكثير الغالب تكون القصيدة أو المقطوعة ذات غرض واحد
مستقل هو غرض الوصية بسانه من معان أخلاقية مختلفة .

الفصل الثاني
الحرف ثلث الغنية الشعر إلى صاياً في جنس المضمون

أولاً، في التجربة الشعرية.

ثانياً، في العاطفة اللأوبية.

ثالثاً، في الله فكل.

أولا : في التجربة الشعرية

أ - تمهيد :

ليس من المتصور أن يكون العمل الشعري مجرد شكل لفظي لا يحتوى على معنى بل لابد أن يحتوى الشعر على معان جميلة جليلة تنتج من تجربة شعورية صادقة فما العمل الأدبي إلا (التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية) (١) فما التجربة الشعرية ؟ لقد عرف النقاد التجربة الشعرية بتعريفات عديدة . فالدكتور محمد غنيم هلال يعرف التجربة الشعرية بأنها (الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يتركز في أمر من الأمور تفكيرا يتم عن عميق شعوره وإحساسه وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني ، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجارى شعور الآخرين لينال رضاهم ، بل إنه ليفذ شاعريته بجميع الأفكار النبيلة ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة وأصول المروءة النبيلة) (٢) .

والأستاذ مصطفى السحرى يعرف التجربة الشعرية بأنها (الحالة التي تتسبب فيها نفس الشاعر بموضوع من الموضوعات أو مشاهدة من المشاهدات أو فكرة من الأفكار ، أو رأى من الرأى يمثل بها وجدانه فتحفزه إلى التأمل والتفكير والاستغراق بل الاندماج فيها ، ثم ينتهي بعدها للإعجاب عن مشاهدته أو رؤيته) (٣) .

أما موضوع التجربة الشعرية فليس مقصورا على شئ دون شئ (فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتبهيـه

(١) النقد الأدبي أصوله وشاهجه ص ٧ سيد قطب ، نشر دار الشروق ، بيروت

لبنان .
(٢) النقد الأدبي الحديث ص ٣٦٣ .

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ١٢ .

الفرحة واستجامة الخيال) بل (كل ما نخلق عليه من إحساننا ونفيس عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبت فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة (^(١) فكل ما فى هذه الحياة صالح لأن يكون موضوع تجربة شعرية .

وليس لزاما على الشاعر أن لا ينظم شعرا إلا من تجربة خاصة به . بل له الحرية فى اختيار أى تجربة يريد إذا كان صاحب خيال واسع وذكا^٢ لماح لأن الخيال الواسع يهب^٣ للشاعر الجو الشعرى الذى يريد . فهستطيع أن يعبر عن الحزن ولو لم يكن حزينا ويمكته أن يعبر عن الشجاعة والإقدام وإن كان فسوق القلب طائر الجنان فللأدب أن يعبر عن أى حدث أو موقف يريد أن يشارك فيه ^(٢) لأن (كل تجربة شعرية يصورها أدب تصبح ملكا للقارى^٤ مستعد للانفعال بها فإذا انفعال بها فقد أصبحت ملكه وأضاف بها إلى رصيده من المشاعر صورة جديدة متازة) (^(٣) .

وللتجربة الشعرية أقسام وأنواع عديدة منها التجربة الشخصية والتجربة التاريخية ، والتجربة الأسطورية ، والتجربة الاجتماعية والتجربة الخيالية ^(٤) .

والشاعر ليس مطالباً بالخوض فى أنواع التجارب كلها ، وإنما تقسيمها إلى تلك الأقسام من باب التوسع فى معنى التجربة لتشمل عالم الواقع وعالم الخيال وعالم الشخص وعالم الإنسان ^(٥) .

-
- (١) مقدمة ديوان عابر سبيل للعقاد ضمن مجموعة دواوين العقاد ج ٢ ص ٤٨ .
 منشورات المكتبة المصرية ببيروت ، ص ١ .
 (٢) انظر فى ميزان النقد الأدبى ص ١٨ .
 (٣) النقد الأدبى أصوله ومناهجه ص ١٣ .
 (٤) الأدب ومناهجه د / محمد مندور من ص ١٢ الى ١٧ نشر دار نهضة مصر ،
 ولقد قدم تعريفا لكل نوع من أنواع التجربة .
 (٥) انظر فى ميزان النقد ص ١١ .

ولنجاح التجربة الشعرية أسباب ودواع ، فمن أسباب نجاحها صدق التجربة (فحسب الشاعر عما يجد في نفسه ويؤمن به) (١) بصدق وإخلاص ، أما ما يملس على الشاعر ويؤمن بالنظم فيه فلا يعد من التجارب الصادقة لأن شعر المناسب (لا يعتمد على صدق الشاعر ولأنه يجمل من الشعر مهنة ودعاية) (٢)

ومن دواعي نجاح التجربة أيضا أن تكون صياغتها موافقة لما بحيث لا يحس القارئ للشعر إطنابا مالا ولا إيجازا مخلا وذلك لأن (القيمة الفنية للقصيد فسي درجة التوافق بين التجربة والصياغة أو بمعنى آخر اتساق الثوب الشعرى مع التجربة وتفصيله على قدها فلا يكون طويلا فضفاضا ولا قصيرا معبرا) (٣) .

ب - أنواع التجربة الشعرية في شعر الوصايا :

لقد قسم النقاد التجربة الشعرية إلى أنواع عديدة كما مر معنا سابقا ، وإذا نظرنا إلى شعر الوصايا وجدنا أنه يمكن تقسيم التجارب الشعرية فيه إلى نوعين :

- ١ - شخصية .
- ٢ - اجتماعية .

١ - التجارب الشخصية :

التجربة الشخصية هي التي (تأتى بها أحداث الحياة إلى الأديب ويراها رأى العين ، ف يعيشها واقعا وينقلها إلى غيره) (٤) (٥٠٠) ويمكننا إدخال ثلاث

-
- (١) النقد الأدبي الحديث ص ٣٦٦ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٣٦٤ .
 - (٣) الشعر المعاصر علي ضوء النقد الحديث ص ٣٠ .
 - (٤) في ميزان النقد الأدبي ص ١٨ .

اتجاهات من شعر الوصايا تحت هذا النوع من التجارب وهى " الوصايا الأبوية " والوصايا الإخوانية ، والوصايا الزوجية .

وذلك لأن هذا الشعر لم يصدر من الشاعر إلا بعد أن عرّكه العنّون وخبر الحياة حلوها ومرها وبعد أن أفنى عمره فى صراع الدنيا ومعاملة أهلها وصاحبتهم فمرق الأمور الحسنة والأعمال الخيرة فأوصى بها وحث عليها وعرف الأخلاق القبيحة والمشينة فحث بالابتعاد عنها ونهى عن اقترافها .

فمن ذلك قول مسمر بن كدام فى وصيته لابنه (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحاة والمرء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما
لمجاور جار ولا لرفيق

...

فالتجربة الشعرية فى هذه الوصية تجربة شخصية ذاتية صدرت من الشاعر بعد أن ساقته إليه أحداث الحياة معانيتها بل إنه قد غاص فى أعماق هذه التجربة فامتحن هذين الخلفين ، وتعامل معهما فلم ير فيهما أى فضيلة بل وجد فيهما الخسة والوضاعة فحث ابنه بالابتعاد عنهما .

وقول الشاعر إني بلوتهما الخ يؤكد خوضه مع الآخرين فى تجربته الشخصية هذه وإلمامه بجميع جوانبها .

(١) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٧ .

ومن التجارب الشخصية وصية هدية بن الخشمر لزوجته قبل ماته والتي يقول فيها (١) :

أقل على اللوم يا أم بوزعا
ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كلها سوى ما كان من حد ضره
أكهد ميطان العشبات أروعا
ضربوا بلحيه على عظم زوره
إذا الناس هشوا للفعال تقعا
وحلى بذي أكرومة وحيه
وصبر إذا ما الدهر عفى فأوجعا

...

فالتجربة في هذه الوصية تجربة شخصية ذاتية فالشاعر لم يوص زوجته بعدم
الاقتران بعد ماته برجل لثيم حقير إلا بعد أن خبر أخلاق اللثام وعرف كسبهم
وأحوالهم فصور لها أخلاقهم وبين أحوالهم لكن تحذروهم ويتعد عنهم ، وإن كانت
تريد الزواج فعليها بالرجل الكريم صاحب النجدة والمروءة والنبالة ، وذلك لمعرفة
الشاعر بصفات الكرام ، وتنبيه في الأبيات السابقة أيضا على التجربة وصدقها لصدق
الدافع فيها .

والوصايا الإخوانية داخلة في هذا القسم أعنى التجارب الشخصية ومن ذلك
قول سميد بن حميد في معاملة الإخوان (٢) :

(١) الأغاني ح ٢١ ص ٢٦٩ والباب الأول ص ٢٨٦ من هذه الرسالة .
(٢) الصداقة والصدق ص ١٤٥ والباب الأول ص ٢٦٠ من هذه الرسالة .

إذا كثرت ذنوب من خليل
فقفه بسين وصل واجتنب
وانظره فلا يهائم حكم
بذلك كل ما في العزم نابى
وعاتبه فكلم أبدى عتاب
جلية مشكل بعد ارتياب
رج النفع في الإعراف عنه
إذا أخفقت من نفع العتاب
وراجعه بنفعك حين يثنى
غانا للرجوع أو الإياب
فإن العفو عن ذى الحزم أولى
إذا قدرت يداك على العقاب
فإنه واجد للحس ذنباً
وتعدهم ذنب من تحت التراب
...

فالشاعر يوصى المرء ألا يتمجّل في معاقبة أخيه وعذله وعليه أن يكون وسطاً
بين وصله وهجره، وإن عاتبه فليعاتبه برفق ولين ، ويوصى المرء كذلك بالعفو عن
إساءة الإخوان والصنع عنهم

وهذه الوصية لم تصدر من الشاعر إلا بعد مراس وخبرة طويلة في الحياة ،
وطول صاحبه للناس حتى عرف أخلاقهم وتمعن في نفسياتهم فتجربته الشعرية
العميقة هذه تجربة شخصية ساقتها إليه أحداث الحياة والواقع الذى يعيشه .
فالتجارب الشعرية في شعر الوصايا الأبوية والإخوانية والزوجية تجارب

شخصية ذاتية .

٢ - التجارب الاجتماعية :

التجربة الاجتماعية هي (التي يستفهمها الأدب أو الشاعر من محيطه الاجتماعي أو الإنساني المعاصر وهو في تصويره لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة والخيال كما يعتمد على قراءة ما صوره الأدباء الآخرون من تلك التجارب) (١)

ويمكن أن نعد شعر الوصايا الاجتماعية والدينية والحربية داخله في هذا النوع من التجارب وذلك لأن معاني هذه الوصايا مستقاة من محيط الشاعر الاجتماعي فقد عرف الشاعر أدواء المجتمع وآفاته ورأى ما يعجز فيه من خير وشر .

فالحث على الكرم وحفظ السر وأداء الأمانة أو الحث على تقوى الله والتزهيد بالدنيا أو حث المقاتلين للاستعداد للحرب كلها معان استقاهها الشعراء في الغالب من حياة الناس الاجتماعية . فالخصال التي دعوا إليها خصال خير ونبيل والخصال التي نهوا عنها خصال لوهم وشوم .

فمن التجارب الاجتماعية التي أخذ الشاعر معانيها من واقع حياته الاجتماعية قول سهم بن حنظلة (٢) :

إن انتياك مولى السوء تسألـه
مثل القعود ولما تتخذ نشبا
إذا افتقرت نأى واشتد جانبه
وإن رآك غيا لان واقترسا

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٥ .

(٢) الأسمعيات ص ٥٥ والباب الأول ص ٣٦ من هذه الرسالة .

وذو القربة عند النيل يطلبه
وهو البعيد إذا ما جئت مطلباً
لا يحملنك إقمار على زهد
ولا تنزل في عطاء الله مرتغباً
لا ... بل سل الله ما ضنوا عليك به
ولا يمن عليك المرء ما وهبها
الله يخلف ما أنفقت محتسباً
إذا شكرت وهو تيك الذي كتبها

...

فالشاعر يحث المرء على طلب الرزق من أبوابه وعدم الخضوع لأحد يهينهم
أعطاء أو منعه وذلك لمعرفة الشاعر بأخلاق بعض الأغنياء ، وهي بغض الفقراء
والصدود عنهم والتقرب من الأثرياء والركون إليهم ، ويحث الشاعر المرء أيضاً
على الإنفاق في وجوه الخير والبر ، وذلك لما رآه الشاعر من سجايا بعض أفساد
المجتمع السيئة المتمثلة في البخل والتفكير وادعاء الزهد ، ونرى بوضوح أن تجربة
الشاعر هنا تجربة اجتماعية استقاها من المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه .

ومن التجارب الاجتماعية قول عبد الله بن المعتز في حثه على القناعة (١) :

أيا بني الدهر كم ذا الجهد والتعب
الله يرزق لا الحرص والتعب
أما حياء ، أما دين ، أما رعة
أما تفكير معقول أما أدب

...

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٨١ والباب الأول ص ٢١١ من هذه الرسالة .

فالشاعر يحث المسلم على تجنب التهالك على الدنيا وجمعها ويعيب على الذين يحرصون عليها ، والمجتمع هو السبب الذى أنطق الشاعر وأملى عليه تجربته الشعرية هذه ، فالشاعر لما رأى تهالك أفراد مجتمعه صغيرهم وكبيرهم على الدنيا عتب عليهم ووجه لهم الوصية السابقة .

فالتجربة الشعرية هنا تجربة اجتماعية أخذها الشاعر من محيطه الذى يعيش فيه ، ومن التجارب الاجتماعية قول لقيط بن يعمر الأيادي فى وصيته الحريية لقومه (١) :

فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا عسى مكروه به خفعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
هم يكاد سناه يقضم الضلعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم
يروم منها إلى الأعداء مطلقا
ما انفك يحلب هذا الدهر أمطره
يكون متبعاً طورا ومتبعاً
حتى استمرت على شمرز مهرته
مستحکم السن لا قحما ولا ضرعاً
وليس يشغله مال ينصره
عنكم ولا ولد يبنى له الرفعا
...

(١) ديوانه ص ٤٧ والباب الأول ص ٢٤٢ من هذه الرسالة .

فالشاعر يوصى قومه باختيار القائد الفذ الشجاع ويبين لهم الصفات التي
يجب أن يتحلّى بها هذا القائد ، ووصية الشاعر هذه لم تصدر إلا عن معرفة
وخبرة بأحوال الحروب والنزاع ، ألمتها عليه ظروف الحياة الاجتماعية المعيشة
في ذلك العصر .

ومجمل القول إن التجارب الشعرية في شعر الوصايا الاجتماعية والدينية
والحرية تجارب اجتماعية .

...

لوجدنا أن التجربة الشعرية في هذه الأبيات تجربة صادقة نابغة من القلب ذات دافع قوى يدفع الشاعر إلى الوصية ، وهو دافع الخوف والشفقة على ولده ممن الانزلاق في درب الأخلاق الوضيعة ، فيلحقه عار من مغبة ذلك ، فأراد الشاعر أن ينصح ابنه ويلفت نظره إلى الأخلاق الحسنة الرفيعة التي تحافظ على بنيان المجد وتكسب المرء حياء وفخرا .

ومن التجارب الشعرية ذات الدافع الصادق وصية أوس بن حجر لأحد إخوانه حيث يقول (١) :

بأراكها إما عرضت فبلغن
يزهد بن عبد الله ما أنا قائل
بآية أنى لم أخذك وأنه
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرما تغتابهم وتقاتل
وما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحمل الماعين إلا الحوامل
ولا سابق إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تعنه الأنامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حلما أو أصابك جاهل

...

فالشاعر يوجه وصية صادقة إلى صاحبه يحثه فيها على حسن معاملة قومه وعشيرته ويبين له مدى حاجته لهم مستعينا بالأمثلة ليزهد في الإقناع بوصيته .

(١) ديوانه ص ١١٠ والباب الأول ص ٢٦٥

والدافع إلى هذه الوصية هو الحب والتقدير لأخيه والرغبة في نصحه وإرشاده ، فالشاعر يريد لأخيه الرفعة وعلو المنزلة ويرى به عن الشقاق والمداوة والنافرة مع قومه .

ونلج صدق التجربة في قوله :

بآية أنى لم أخنك وأنـــــــ

سوى الحق مهما ينطق الناس باطل

فالشاعر يؤكد لصاحبه صدقه في النصح وأنه لا يريد له إلا الخير ، ويخبره أنه لا يريد من وراء وصيته هذه إلا الحق ولفت انتباهه إلى المسلك الذي يجب أن يسير عليه في حياته وخصوصا مع أهله وبنى قبيلته .

ومجمل القول فإن من يتتبع شعر الوصايا يرى فيه توافر عامل الصدق في تجاربه مما يدعو إلى الحكم عليها بأنها تجارب صادقة نابعة من القلب بعيدة عن التكلف ، ذات دافع قوى وصادق .

د - مدى ملائمة الصياغة للتجربة الشعرية في شعر الوصايا :

من أهم دواعي نجاح التجربة الشعرية مدى ملائمة الصياغة لها ، فالشاعر الحق هو الذى يوصل تجربته الشعرية وعلمه الفنى إلى المتلقين فى صياغة تناسبها وتلائمها وتكون وعاءاً مصنوعاً على مقدارها .

فمن التجارب الشعرية ذات الصياغة المناسبة فى شعر الوصايا وصية عبدة بن الطبيب لابنائه التى يقول فيها (١) :

أوصيكم بتقى الإله فإنـــــــه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وبير والدكم وطاعة أمره
إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبر إذا عصاه أهله
ضاعت بداء بأمره ما يصنع
ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم
إن الضغائن للقراية توضع
واعصوا الذى يزجى النائم بينكم
متصحا ذاك السام المتفح
يزجى عقاره ليبحث بينكم
حرى كما بحث العروق الأخدع
...

فالشاعر يوصى أبنائه بوصايا أخلاقية وقد صب تجربته الشعرية هذه فى قالب شعري متسق موافق للتجربة لا يحسن القارىء فيها إطناباً ملاً ولا إيجازاً مخلاً

(١) المفضليات ص ١٤٦ والباب الأول ص ١٣٦ • ١٤٤

وقد أوصل الشاعر تجربته للمتلقى بالفاظ سهلة ومعان واضحة بعميدة عن
الغموض .

ومن التجارب الشعرية العميقة ذات الصياغة الملائمة وصية بشار بن برد التي
يقول فيها (١) :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستمع
برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غفاسة
مكان الخوانى قوة للقوادم
وما خير كف أمك الغل أختها
وما خسر كف لم يؤمد بقاسم
وخل الهوبنا للضعيف ولا تكن
نؤوما فإن الحزم ليس بنائس
...

فالشاعر يوصى المرء باستشارة العقلاء والفضلاء ويوصيه كذلك بالجد
والاجتهاد وعدم الكسل والخمول وقد صاغ تجربته هذه صياغة جميلة ، وقد مهيا
للمتلقى في ثوب شعري قشيب من غير إطالة ولا تقصير ، مستخدما التشبيه والتمثيل
لتقريب المعنى للسامع أو القارئ ولتأكيد له .

وقد يزهّد ثوب التجربة الشعرية في شعر الوصايا فيبدو طويلا فضاضا مما يورث
السأهل الملل لدى المتلقى ومن ذلك قول ابن العلاف (٢) :

قل لمن يهرم المرىض فلو عد
ت صحيفا لماد ذاك مريضا

(١) ديوانه ج ٤ ص ١٩٤ والباب الأول ص ٢٣

(٢) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦ .

لا تطل عنده الجلوس فيزدا
د طويلا من السقام عريضا
قل له كيف أنت وادع له الـ
ـله وعجل عن العليل النهوضا
فإذا كان من يعود مطيلا
لم يكن عائدا وكان بغيضا

...

فالشاعر يريد أن يوصي المرء بتقصير النهار للمريض وعدم المكوث لديه لأن ذلك يؤذيه ، وقد أطنب الشاعر في بيان هذا المعنى مع أنه لا يحتل أكثر من بيتين فلو أن الشاعر أوجز معانيه في بيتين لكان ذلك أجود وأعق لتجربته .

وقد تقصر صياغة الشعر في شعر الوصايا عن التجربة الشعرية فيبدو ثوبها قصيرا ، فمن ذلك قول مسمر بن كدام في وصيته لابنه (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحمة والمراء فدهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما
لمجاور جار ولا لرفيق

...

فالشاعر يوصي ابنه بترك المزاح والمراء لأنهما خلقان سيئان وهذه التجربة الشعرية التي ذكرها الشاعر تجربة عميقة ذات أبعاد رحبة وفيها عطاء كثير لمن يريد أن يفصح عنها ولكن الصياغة التي صاغ بها الشاعر تجربته صياغة موجزة ، فالتلقي لا

(١) الحماسة للبحرئى ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٢ .

يزال في حاجة إلى اشباع رغبته من البيان والامضاح فلو أنه بين آثار وسلبات هذين الخلقين لكان ذلك أكثر بهانا وإقناعا .

وما سبق يتضح لنا أن صياغة التجربة الشعرية في شعر الوصايا تنوعت إلى ثلاثة أنواع نوع وامت الصياغة التجربة الشعرية ، وهذا هو الغالب في هذا الشعر ، ونوع قصرت الصياغة عن التجربة الشعرية ، ونوع ثالث ، زادت الصياغة عن التجربة الشعرية فبدأ نوبها طويلا ولكن هذين النوعين قليلان في شعر الوصايا .

ثانياً : نفس العاطفة الأدبية :

أ- تمهيد :

العاطفة هي (الحالة التي تنتج فيها نفس الأديب بموضوع أو فكرة أو مشاهدة فتؤثر فيه تأثيراً قوياً يدفع إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخاطرهِ) (١)

وللعاطفة أثر فعال في جودة النص الأدبي وسموه فهي (محور ارتكاز النص الأدبي والعامل الرئيس الذي يحينه على تحقيق غرضه والوصول إلى مأربه) (٢)

ومقياس العاطفة وتأثيرها كل ذلك مرده إلى المثلث الذي يحس بسدى تأثير النص الأدبي في نفسه وتحريكه لوجدانه وإثارة انفعالاته (٣) .

وقد ورد في النقد العربي القديم بعض الإشارات إلى العاطفة ودوافعها ، وإن كانوا لم ينعوتوها بهذه الكلمة الاصطلاحية (٤) ، فمن ذلك ما ذكره ابن رشيق (. . .) فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه وكذلك قولهم (أشعر العرب امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب) (٥)

-
- (١) في ميزان النقد الأدبي ص ٤٤ .
 - (٢) في النقد الأدبي الحديث : د / محمد عبد الرحمن شبيب ص ١٢٦ ط الأولى ١٩٦٢م مطبعة دار التأليف بصر .
 - (٣) انظر أصول النقد الأدبي : ١٨١ .
 - (٤) النقد التطبيقي والبوازيات د / محمد الصادق عفيفي ، ٢٦٦ ، نشر مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ .
 - (٥) العمدة ج ١ ص ١٢٠ .
 - (٦) المصدر السابق ج ١ ص ٩٥ .

وقد وضع النقاد مقاييس يستعان بها في نقد العاطفة الأدبية وهي :

١ - صدق العاطفة :

ويقصد بذلك أن تتبعث عن سبب صحيح ، وتصدر عن دافع قوى غير زائف ولا مفتعل (حتى تكون عميقة تهيب للأدب قيمة خالدة ٠٠٠ فحتى كان هناك داع أصيل طبعي هاج انفعالات أصيلة تجعل الأدب مؤثرا وباعثا في نفوس القراء عواطف كالسقى في نفوس الأدباء) (١) .

٢ - قوة العاطفة :

ويقصد بها (قدرة النص على إيقاظ نفس قارئه أو سامعه وتحريكه كما يشاء النص) (٢) ، والقوة تنبئ عن (نضج الموضوع لدى الأديب وتخبر عن انفعاله به الانفعال الذي يملك عليه حواسه ومشاعره ٠٠٠ فتصبح المشاركة بين الأديب والمتدوق أمرا لازما) (٣) .

ويتضح لنا أن ضلأ القوة في العاطفة هو الأديب وطبيعته وقدرته على التأثير والإقناع (٤) .

٣ - ثبات العاطفة :

من الواجب على الأديب المتمكن أن يحافظ على عاطفته في النص الأدبي ويبقى صورتها واحدة فما ثبات العاطفة إلا (استمرار سلطانها على نفس الأديب النفسى ما دام يشعره أو يكتبه أو يخطبه ، لتبقى القوة شائعة في فصول الأثر الأدبي لا تذهب حرارتها) (٥) ما يجعل المثلث يتعايش معه ويتبع خطاه وهو

(١) أصول النقد الأدبي ص ١١٠ .

(٢) فنى النقد الأدبي الحديث ص ١٤٥ .

(٣) في ميزان النقد الأدبي ص ٤٥ .

(٤) انظر أصول النقد الأدبي ص ١١٥ .

(٥) المصدر السابق ص ١١٢ .

مشدود الانتباه متيقظ الوجدان (١).

٤ - تنوع العاطفة :

ويقصد بتنوع العاطفة قدرة الأديب على تحريك مشاعر وعواطف المتلقين المختلفة فيثير عاطفة الحزن ، والحب ، والحاسة ، والشفقة (فأعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة العواطف المختلفة في نفوسنا بدرجة قوية كالحامسة ، والحب ، والاعجاب ، والشفقة ، والاجلال) (٢) . .

ولكن هذا المقياس مقياس صعب فقل أن نجد شاعرا استطاع أن يثير جميع تلك العواطف وأن يجهد في جميع فنون الشعر . . .

٥ - سوا العاطفة :

من الواجب على الأديب أن يحرك في المتلقين العواطف السامية والشاعر النبيلة وأن يعتمد عن إثارة العواطف الوضيعة أو الخسيسة لأن قيمة الأديب تكمن في أن يمدنا بالذلة الرفيعة التي تحترم الإنسان وتفصل بينه وبين عالم الحيوان وترتفع به إلى المستوى الذي به يعلو في أوج سمو النفس والروحى ولا تهبط به إلى الدرك الذى تستثار به الفرائز الدنيا وتتحطم على أمواجه صخور الحصانة فسى الإنسان (٣) .

(١) انظر في ميزان النقد الأدبي ص ٤٤ .

(٢) أصول النقد الأدبي : ٢٠١ .

(٣) في ميزان النقد الادبي ص ٤٥ .

ب - خصائص العاطفة في شعر الوصايا :

لقد تنوعت المواطن الأدبية في شعر الوصايا بتنوع الأغراض والاتجاهات ،
فوجد عاطفة الشفقة والحب في الوصايا الأبوية والزوجية ، ووجد عاطفة الحماسة والقوة
في الوصايا الحربية ، والعاطفة الإيمانية وإثارة مشاعر الخوف والرجاء في الوصايا
الدينية ، ووجد العاطفة الإنسانية المحبة للنصح والتوجيه في الوصايا الاجتماعية
والإخوانية .

ففي قصيدة عبد قيس بن خفاف التي يوصي فيها ابنه جبهل والتي يقول
فيها : (١)

أجبهل إن أباك كارب يومه
فإذا دعيت إلى العظام فاعجل
أوصيك إياها امرئ لك ناصح
طبن بهب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوف به بنذره
وإذا حلفت ماريما فتحلل
والضيف أكرمه فإن مبيتته
حق ، ولا تك لعنة للنزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله
ببيت ليلته وإن لم يسأل
ودع القوارص للصديق وغيره
كي لا يهروك من اللثام المنزل
وصل المواصل ما صفا لك وده
واترك جبال الخائن المتبدل . . . الخ

(١) المفضليات : ص ٣٨٤ ، الباب الأول ص ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

نجد أن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة الحب والشفقة والخوف على ولده . . . وتتلسم هذه العاطفة الأبوية المشفقة في مثل قوله : " أجيبل " فالنداء باستخدام حرف الهمزة يستعمل قلب الابن ويستحوذ على مشاعره لإحساسه بحنان والده عليه وحيه له وقرنه إلى نفسه :

وكذلك التأكيد " بأن " مع التعبير بلفظ (أباك) بدلا من (إني) يجذب سمع الابن ويجلب اهتمامه لسماع ما سيلقيه عليه والده من وصايا ، وقوله " كارب " ينبئ عن عاطفة مشفقة حزينة لقرب فراقه لولده ، فقد تكون هذه الوصية آخر حديث له . . . فاستخدام الشاعر لهذه الالفاظ التي تحرك مشاعر الابن وتجذب اهتمامه ، ليعى ما يلقي عليه ، يكشف عن عاطفة حريصة مشفقة ، حريصة على انتفاع الولد بهذه الوصايا القيمة ، خائفة مشفقة عليه من الانزلاق في دروب الأخلاق المشينة .

وتبدو هذه العاطفة - أيضا - في التعليقات التي علل بها الشاعر أوامره لابنه ، فأمره له بإكرام الضيف في قوله (والضيف أكرمه) باعته الخوف عليه من لحوق عار يهين أخلاقه ويلعنه الناس من أجله فلذلك قال له : (ولا تك لعنة للنزل) .

وأمره لولده بتجنب الكلام الفاحش للأصدقاء في قوله (ودع القسـوـارص للصدیق وغيره) يكشف عن حرص الشاعر على سلامة عرض ولده وأخلاقه من الصفات الوضيعة ، فإيذاء الأصدقاء بكلام الفحش والسوء صفة لثيمة تخذل عرض المرء وتجعل الناس يمحرون عنه ويهجرونه ، فمن أجل ذلك قال له : " كسى لا يروك من اللثام العزل " .

وعاطفة الشاعر عاطفة قوية لتأثيرها في نفس المتلقى وتحريك مشاعره وماذاك إلا لإحساسه بصدق الشاعر في وصيته هذه ، وانبعاشها من وجدانه للدافع القوى

الموثر فيها ، الذى هو دافع الأبوة الحريصة المشفقة على الابن .

وعاطفة شعر الوصايا الزوجية مشابهة لعاطفة شعر الوصايا الأبوية .
لاتحادهما فى الدافع وهو دافع الحب والشفقة ومن ذلك قول أبى الأسود الدؤلى (١) :

خذى العفو منى تستدعى مودتى
ولا تتلقى فى سورتى حين أغضب
فإنى وجدت الحب فى الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فمما عطف الشاعر عاطفة حب وشفقة فهو يبين لزوجه الطهرى الذى يجب أن
تسلكه ليدوم الود والوفاء بينهما وذلك فى قوله " خذى العفو منى . . . ولا تتلقى
فى سورتى . . . وما هذه الوصية إلا لحب الشاعر لزوجه وشفقته عليها من الوقوع فى
هذا الخلق البغيض الذى يؤدى إلى انقطاع حب مودتها ، واغترافهما ، لأن المرء
فى حالة الغضب الشديد ينسى المواطن ويغضى الأذى على الحب فيقع المكروه . .
ومن هنا جاء قوله (تستدعى مودتى) وليس هناك ما يمكن أن تحرص عليه الزوج
أفضل من استدامة المودة والحب ، وعاطفة الشاعر هذه عاطفة صادقة ، لصدق
الدافع فيها وهو دافع الحب والشفقة على زوجه والحرص على دوام الوفاء بينهما .

أما عاطفة شعر الوصايا الحربية ، فهى عاطفة حساسة وشجاعة وذلك مثل
قول ضرار بن الأزور (٢) :

ألا فاحملوا نحو اللثام الكواذب
لترؤوا سيوفاً من دماء الكناشب

(١) ديوانه ص ١٤٩ والباب الأول ص ٢٨٢
(٢) فتوح الشام ص ٢٦٨ ، والباب الأول ص ٢٢٠

وردوا عن الدين المعظم في الوري
وأرضوا إله العرش رب المواهب
فمن كان منكم يبتغي عتق ربه
من النار في يوم الجزاء والمآرب
فيحمل هذا اليوم حطة ضيقهم
ويرضى رسولا في الوري غير كاذب

...

فمما طغى الشاعر في الأبيات السابقة عاطفة حماسية تثير النخوة في نفوس
المجاهدين والتفاني في القتال ، فهو يوصيهم بالشدة على الكفار ، وإبراء السيوف
من دمائهم ، ويلبس الجانب الأيمن في نفوس المجاهدين لكي يثير عواطفهم إلى
أبعد مدى ، فيذكرهم بأن قتال المشركين والانتصار عليهم حماية للدين الذي
يعظمونه ومن أجل عيشته يخرجوا للقتال ، وكذلك يذكرهم بأن قتال هؤلاء المشركين
سبب في رضا الله سبحانه وتعالى .

ونستشعر هذه العاطفة الحماسية في الكلمات المؤثرة التي اختارها الشاعر
مثل قوله " ألا فاحملوا " فاداة الاستفتاح " ألا " تحمل معنى الحث والتحريض
خصوصا وأن بعدها " فاحملوا " فهو حث للمسلمين بالشدة على الكفار بقوة وحزم
وكم في هاتين الكلمتين من إثارة للنفوس والقوة والحماس .

ووصف السيوف بالمعش في قوله (لترووا) يثير حماس المجاهدين ويلهب
مشاعرهم للتفاني في قتال المشركين ومن ثم شفى غليل سيوفهم وإبراء عطشها من
دما المشركين المارقة { } وقوله " وأرضوا إله العرش ... " كلمات تثير الحماس
وتهز المشاعر لأن رضا الله سبحانه وتعالى أعظم ما يرجوه المسلم حتى ولو قدم نفسه
شنا لذلك ...

وتتجلى عاطفة الشاعر الحماسية بوضوح في قوله :

فمن كان منكم يبتغي عتق ربه
من النار في يوم الجزاء والمآب
فيحمل هذا اليوم حطة ضيقهم
ويرض رسولا في الورى غير كاذب

...

فهو يعرف أن هدف كل مسلم وغايته القصى العتق من النار ودخول
الجنة يوم الحساب والعقاب ه فأراد بذلك أن يثير كوامن الشجاعة والبطولة فى
نفوس المجاهدين فيشدوا على أعدائهم شدة قاصمة تقضى عليهم .

والصدق هو السمة البارزة فى عاطفة الشاعر لأنه لم يلق هذه الأبيات
إلا لغرض نبيل ويدافع صادق هو إثارة حماس المجاهدين فى قتالهم ضد الكافرين .

وتتمس هذه العاطفة بالقوة لاستطاعتها تحريك النفوس وإثارة الحماسة
الإسلامية والحماس ..

أما العاطفة فى شعر الوصايا الاجتماعية فإنها عاطفة توجيه ونصح إلى
ما فيه الخير والنجاح وذلك مثل قول المقنع الكدى (١) :

ولا تجعل الأرض المريضى محلها
عليك سبيلا وعشة المتقل
وإن خفت من دار هوانا فولها
سواك وعن دار الأذى فتحول
ولا تك ممن يخلق الباب دونه
عليك بمغلاق من المعجز مقفل

(١) شعراء أمويون : ص ٢١١ ه والباب الأول ص ١٠٦ .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل

...

فعاطفه الشاعر فى الأبيات السابقة عاطفة رغبة فى النصح والتوجيه ويحدوها الحب الإنسانى لأبناء جنسه ، فهو يحث المرء على إباء الضيم وينصحه بترك الدنيا إن خاف هوانا ، وعليه أن يرحل إلى بلد يجد فيه الأمان والعزة ، وينهى الرجل عن المعجز والكسل كما يحثه على علو الهمة ..

ونلمس هذه العاطفة الرغبة فى النصح والتوجيه فى تركيزه على الألفاظ ذات العبرة الشديدة فى الأمر والنهى التى تنير كوامن العزة والإباء فى نفس السامع مثل قوله : " ولا تجعل الأرض العريضة محلها " فالابتداء بالنهى يفسر السمع ويلفت الانتباه ويبقى صدىه يتردد فى الأذن ... وقوله " وإن خفت من دار هوانا فولها " فالأمر فى قوله " فولها " يعطى معنى عميقا بعيدا ، فأنت أيها المرء الشريف أبى لا تحتل الضيم فلذلك اترك هذه البلاد إن أحسست فيها هوانا لمن يحتل الضيم لعجزه وكسله .

وكذلك قوله " وعن دار الأذى فتحول " يكشف عن عاطفة مخلصه ، فهو أمر صريح بالرحلة والتحول عن موطن الذل والمهانة ، لكى لا يدنس أخلاقه ويهين نفسه .

والنهى فى قوله " ولا تك من يخلق الباب دونه " نهى عن المعجز والكسل يكشف عن حرص الشاعر على سلامة عرض المرء من الدنس واللوم .

وتتركز شحنة هذه العاطفة الجياشة الرغبة فى النصح فى قوله : " وما المرء إلا حيث يجعل نفسه " ... فبعد أن قدم الشاعر النصح والحث على إباء الضيم وترك الأوطان إن خاف المرء فيها هوانا والبعد عن المعجز والكسل يبين

للإنسان أنه حسب نفسه فإن جعلها في الأمور الشريفة الصالحة رفع منزلتها
وابتعد بها عن مواطن الذل ، وإن كان على عكس ذلك فهو الجاني على نفسه ،
ولكن الشاعر لم يقف عند هذا المعنى بل إنه لفرط حرصه ورغبته الصادقة في النصح
يحث المرء على جعل نفسه في الأعمال الصالحة التي تبعده عن مواطن الريب والذلة
فلذلك قال " ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل " وعاطفة الشاعر هذه عاطفة صادقة
قوية لحرصه على توجيه أفراد المجتمع ولا تارثها كوامن العزة والإباء ، وتحريكها مشاعر
المتلقى لملامة تلك الألفاظ التي اختارها الشاعر لمعاطفته الراغبة في النصح
والتوجيه .

وعاطفة شعر الوصايا الإخوانية مشابهة لمعاطفة شعر الوصايا الاجتماعية
للتشابه فيما بينهما في الدافع وهو دافع الإخلاص والرغبة في النصح والتوجيه .

ومن ذلك قول العباس بن مرداس السلى (١) :

أبلغ أبا سلى رسولا يروعه

وان حل ذا سدر وأهلى بمسجل

رسول امرئ مهدي إليك رسالة

فإن معشر جادوا بعرضك فابخل

وإن بووك مبركا غير طائل

لذيذا فلا تنزل به وتحول

ولا تطعمن ما يحلفونك إنهم

أتوك على قرباهم بالشمائل

أبعد الإزار مجسدا لك شاهدا

أنته به في الدار لم يتزائل

أراك إذا قد صرت للقوم ناصحا

يقال له بالغرب أدبر وأقبل

(١) الحاسة لابي تمام ح ٢٤٤/١ والياب الأول ص ٢٦٨ .

فخذها فليست للعزيم بخطئة

وفيها مقال لامرئ متذلل

...

فعاطفه الشاعر في الأبيات السابقة عاطفة راغبة في النصح حريصة على عرض الموصى فهو يحث أخاه "أبا سلمى" على إباء الضيم وصيانة عرضه ممن أرادوا أن يدينوه وتتضح هذه العاطفة الناصحة في مثل قوله "فإن معشر جادوا بعرضك فابخل" فالشاعر يأمر أخاه بالبخل ولكن بأى شئ؟ إنه بخل بالمرضى وهى كلمة تشد الانتباه وتوضح منزلة العرض وعظم قدرة ووجوب البخل به وصيانيته .

وقوله "ولا تطعمن ما يملقونك" يبين مدى حرص الشاعر على نصح أخيه بإباء الضيم فتشبيه الطعمام الذى يقدمه له هو "لأه اللثام بعلف الدواب" يشير الأنفة منه والبغض له ومن ثم الإقلاع عن أخذه .

والاستفهام الانكارى فى قوله "أبعد الإزار" ... "يثير مشاعر صدقه الذى بمنزلة أخيه ويجعله يفكر فى حاله ويرجع إلى رشده فبأبى الضيم وبأخذ بثأره .

وكلمة "ناضحا" فى قوله "أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا" تشير فى نفس أخيه الاستمزاز وتبعث الغيرة فى نفسه لتشجيعه له بالبحير الناضح ، فيرجع عن هوانه ويصون عرضه وبأخذ بحقه .

فجميع ما سبق يبين مدى حرص الشاعر على سلامة عرض أخيه ورغبته الأكدية الصادقة فى نصحه وتوجيهه .

وعاطفة الشاعر عاطفة صادقة لشافته على عرض أخيه وحرصه على الأخذ بثأره وتتسم هذه العاطفة بالقوة لاثارتها مشاعر المتلقى من خلال تلك الألفاظ

القوية التي أختارها ..

أما عاطفة شعر الوصايا الدينية فإنها عاطفة إيمانية تثير مشاعر المسلم وتحته على تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه وتذكره باقتراب الأجل فيتذكر مصيره المحتوم فيزدجر عن اقتراف الذنوب والمعاصي أو التهاافت على الدنيا الزائلة الفانية ومن ذلك قول سابق البربري^(١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن
والله يا هذا الرزق ضامن
تعنى بما تكفى وتترك ما به
تعنى كأنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها
فاعمل ليوم فراقها يا حائن
واعلم بأنك لا أبالك فى الذى
أصبحت تجمعه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتممر منزلا
لم يبق فيه مع النية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه
حق وأنت يذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر من أنت
فى نفسه يوما ولا تستأذن
...

فعاطفة الشاعر عاطفة إيمانية صادقة تثير مشاعر المسلم وتخوفه وتلمس هذه العاطفة الإيمانية المشبوبة التي تثير فى المتلقى مشاعر الخوف والرجاء وتدعوه إلى التفكير

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣

وتذكر الموت في مثل قوله : "والله يا هذا لرزقك ضامن " . فكيف تلهو أيها المسلم بجمع الدنيا وتتسى ما أمرت به من واجبات والله قد ضمن لك الرزق وقدره . وقوله " كأنك للحوادث آمن " يهز مشاعر السامع ويبحث الرهبة . فكيف تهتم بما نكبت وتتسى ما أمرت به فهل أنت آمن من الموت ؟

وقوله " يا حائن " نداء للمرء يثير مشاعر الخوف لأنه تصوير لقرب نزول الموت بالإنسان فيجعله يجد ويجتهد في العبادة قبل مجاعة الموت له . وكذلك قوله " أصبحت تجمعه لغيرك خازن " تذكير بالمصير المحتوم ونهى ضمنى عن جمع المال وكثرة ما يجعل العاقل يتفكر في حاله وأنه ليس إلا مجرد خازن وحارس للمال في حياته فيعمل لما بعد الموت وينتهى عن التهاكك على المال .

وتبدو هذه العاطفة الإيمانية أيضا في تركيز الشاعر على التذكير بالموت في مثل قوله " لم يبق فيه مع النية ساكن " . الموت " حق وأنت بذكره متهاون " وقوله " إن النية لا توامر من أنت " وما هذا التركيز إلا ليشير مشاعر المتلقين ويلهب أحاسيسهم لأن الموت أمر توجل منه القلوب وتهتز منه النفوس خوفا وهلعا ، وتقشعر منه الأبدان ، وتذكره أو التذكير به يجعل النفوس تتفكر في مصيرها المحتوم وتهتم لذلك فتجد في عمل الطاعات واجتناب المحرمات . . . وهذا ما يريده الشاعر من هذه الوصية الدينية المؤثرة .

وصدق عاطفة الشاعر مرده إلى انبعاثها عن دافع صحيح فهدفه الأول والأسى هو التأثير في نفوس المتلقين واجتلاب اهتمامهم ولفت انتباههم إلى واقع الحياة الدنيا وأنها ليست بدار مقام وإنما هي دار مر .

وبجانب صدق عاطفة الشاعر فإننا نحس بقوتها لاستطاعتها تحريك النفوس من خلال تلك الكلمات المؤثرة التي تحرك المشاعر وتثير النفوس وتميل القلوب .

وإذا كان شعر الوصايا ما نلح في أغلبه هذه العواطف الصادقة فإننا قد نلح فيه بعض العواطف الزائفة التي لم تتبع من دافع قوى نهجس الملقى بتكلف الشاعر لتصيدته وذلك مثل قول الأعشى في وصيته لابنه بصير (١) :

ذريني لك الويلات آتي القوانيا
مقى كت زراعا أسوق السوانيا
ترجى ثرا من سياس ومثلها
ومن قبلها ما كت للمال راجيا
سأوصى بصيرا إن دنوت من البلى
وكل امرئ يوما سيصبح فانيها
يأن لا تأن الود من متاعسد
ولا تنأ إن أمسى بفرك راضيا
فذا الشن فاشئ وذا الود فاجزه
على وده أو زد عليه الفلانيا
إلى أن يقول :

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة
فأوف بها إن مت سميت وانها
وجارة جنب البيت لا تنغ سرها
فإنك لا تخفى على الله خافيا
...

فهذه الوصية ليست كباقي الوصايا الأبوية الأخرى ، فهي لا تحرك الشاعر ولا يجد المرء تقبلا لها ، لاحتساسه بتكلف الشاعر لهذه الوصية ، وأنها ليست نابعة من

(١) ديوانه : ٣٦٥ ، والباب الأول ص ١٤٩ .

وجدانه لمخلصة معانيها للشهيد الذى سار عليه الشاعر فى حياته الالهية وشعره
الماجن .

والشاعر يتناقص فى وصيته هذه فهو فى مقدمتها يصرح بمواصلة الفوانى
والجلوس إليهن ، وهذا الأمر ليس من حسن الخلق والأدب الذى يدعو إليه فى
وصيته . وفى صلب الوصية يوصى ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وأداء الأمانة
وعدم التعرض للجارات فأى تناقض هذا ؟ ! فهذا كله - حسب ما ظهر لى -
يويد ما قلته فى السابق وهو أن الشاعر غير صادق فى عاطفته ولم تصدر عن
افتناع ذاتى بمعانيها خاصة وهى وصية مؤجلة " سأوصى بصيرا إن دنوت مسن
البلى " .

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن العاطفة فى شعر الوصايا قد تنوعت بتنوع
الاتجاهات والأغراض ، فعاطفة الخوف والشفقة والحب فى الوصايا الأبوية والزوجية ،
والعاطفة الإنسانية المحبة للنصم والتوجيه فى الوصايا الاجتماعية والإخوانية ، وعاطفة
الحاسة والقوة فى الوصايا الحربية ، والعاطفة الإيمانية المخلصة التى تثير مشاعر
الخوف والرجاء فى الوصايا الدينية .

وهذه المواطن - فى الغالب - عواطف حمة مشبوبة ، لانبعاشها عن
سبب صادق وداع قوى ، ولقوتها فى إثارة مشاعر المتلقى .

وقد تأتى العاطفة فى شعر الوصايا - على قلة - عاطفة زائفة بحيدة عن
الصدق متكلفة ، غير مؤثرة ، لعدم انبعاشها عن دافع قوى صادق .

ثالثاً : في الأفكار :

أ - تمهيد :

من العناصر الأساسية للعمل الأدبي الفكرة ، أو الأفكار التي اشتمل عليها النص الأدبي (فهي العنصر العقلي في النص ومظهر فكر الأديب وثقافته ، وعليها يستند في إظهار ما يريد أن يقوله نحو التجربة التي مر بها) (١)

والأديب المتمكن هو الذي يفصح عن فكرته بعبارات جميلة ذات معان غزيرة لأن الفكرة (غيب من الغيوب ما لم تبين عنها عبارة ، والعبارة ما لم تسود مضوناً تكون هذاناً أو تعمية يبرأ منهما العمل الأدبي الجيد) (٢) .

والفكرة في الأعمال الأدبية تختلف في درجة الأهمية حسب الهد فالأساس الذي يهده الأديب ، فالتقد والتاريخ - مثلاً - غايتها الفكرة ثم تأتي العاطفة بعد الفكرة لتكون وسيلة تبعث فيها روعة وتكسب الانشاء صفة أدبية محبوبة .

أما الشعر والنثر الفني فهما على العكس من ذلك ، فالعاطفة فيهما الغاية الأولى وتأتي الفكرة بعد ذلك سنداً وعموداً (٣) .

والأديب هو الذي يقف وقفة متأنية أمام الفكرة فيلونها بعاطفته ويمزجها بأحاسيس ومشاعره ليهتد بها عن الذهنية الخالصة فيكتب لها الخلود والسيرورة ، والشاعر الذي يقف عاجزاً (عن مزج فكرته بإحساسه يجيء شعره أقرب إلى النثر منه إلى القريض لأن الذهنية المسيطرة على منابع الفكرة تطمس رونق شعره) (٤)

(١) في النقد الأدبي الحديث ص ٨٥ .

(٢) في ميزان النقد الأدبي ص ٣٧ .

(٣) انظر أصول النقد الأدبي ص ٢٢٤ .

(٤) النقد التطبيقي والموازنات ص ١٢٤ .

وهناك مقاييس عديدة لنقد الأفكار وسأتناول بالحديث عن مقياس :

- ١ — التلازم والتفكك .
- ٢ — الوضع والخوض .
- ٣ — العمق والسطحية .
- ٤ — التجديد والتقليد .



ب - خصائص الأفكار في شعر الوصايا :

١ - الأفكار بين التلاوم والتفكك :

من المقاييس النقدية لدراسة الأفكار التلاوم والترباط فلذلك ينبغي أن تكون القصيدة (عملا فيها يكمل تصوير خاطرها أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها ٠٠٠ بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أدخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ٠٠٠ فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا ينبغي عنه غيره في موضعه إلا كما تنفخ الأذن عن العين والقدم عن الكف ٠٠٠) ^(١) فلا بد أن يكون هناك تلاق بين الأفكار الجزئية بحيث يوجد خيط رفيع يصل بينها حتى تبعث عن الشافر والتضارب ^(٢) وهذا أمر يقتضى من الأدب أن يلم بأطراف تجربته ويسمك بخيط أفكاره وينظمها حتى لا تتضارب الأفكار فيختل بناء العمل الأدبي فيبدو وكأنه أنقاض متراكمة قد ركب بعضها بعضا .

والأفكار في شعر الوصايا - في الغالب - أفكار منظمة داخل الوصية فهي وإن كانت متعددة فهناك تلاوم فيما بينها يحكمها إطار واحد في القطعة الواحدة ، وهو التوجيه إلى معان أخلاقية فاضلة من غير تكرار ولا اضطراب .
فمن ذلك وصية الحارث بن حلزة البشكري لابنه التي يقول فيها ^(٣) :

قلت لعمرو حين أبصرته

وقد حبا من دونها عالج

(١) الديوان في الأدب والنقد ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) في ميزان النقد الأدبي ص ٤٠ .

(٣) الفضليات ص ٤٣٠ والباب الأول ص ١٢٠ .

لا تكسح الشول بأغبارها
 فإنك لا تدري من الناتج
 واحلب لأضفافك ألبانها
 فإن شر اللبن الوالج
 رب عشار سوف يفتالها
 لا مبطىء الشد ولا عاج
 يسوقها شلا إلى أهلها
 كما يسوق البكرة الفالاج
 قد كت يوما ترتجى رملها
 فاطرد الحائل والدالج
 بينا الفتى يسعى ويسعى له
 نالج له من أمره خالج
 يترك ما رفس من عيشه
 يميث فيه همج هامج
 ...

فالأفكار فى الوصية السابقة مرتبة لا يحسن القارىء بتناثر فيما بين الأبيات
 لتلاومها وعدم تكرار المعانى فيها ، فالشاعر نهى ابنه عن كسح الإبل ثم أمره بتقديم
 بقية هذا اللبن إلى الأعصاف الطارقين ، ثم بين له سبب ذلك ، وهو أن المال قد
 يغنى فى أى لحظة ، فهأتى من يمشن غارة عليه فيسوقه أجمع ، أو ينزل بك الموت
 فيخترمك ويغتالك فتترك جميع ما أصلحت من مالك وتأخذ الوارث الذى لا يقسم
 له وزنا .

وقد ربط الشاعر معانيه بأدوات عديدة ، فالتعليق (بان) فى البيت الثانى
 قد ربط بين معنى الشطر الأول والثانى ، فالشاعر لما نهى ابنه عن كسح الإبل فى

الشطرا الأول بين له سبب النهى فى الشطر الثانى بقوله " فإنك لا تدرى من
الناتج " .

والتهليل فى قوله " فإن شر اللين الوالج " قد ربط بين شطرى البيت
فالشاعر لما أمر ابنه بتقديم اللين للأضياف علل له سبب ذلك وهو أن شر اللين
الوالج ..

وواو العطف فى قوله (واحلب) قد ربطت بين معنى هذا البيت وبين
سابقه فالشاعر لما نهى ابنه عن كسح الإبل بقوله " لا تكسح " أمره بتقديم هذا
اللين المتبقى فى الضرع للأضياف بقوله (واحلب) ..

وكاف التشبيه فى قوله " كما يسوق " ربطت بين فكرة الشطر الأول
وفكرة الشطر الثانى فى هذا البيت حيث شبه طرد المغير للإبل وسرقته بسوق
الفحل الضخم للبكرة الصغيرة التى لا تحمل ..

والفاء فى قوله " فأطرد الحائل والناتج " قد ربطت فيها بين شطرى
البيت ، حيث أن الشاعر صور ابنه - فى الشطر الأول - وهو يرجو كسرة اللين
عندما تلد الإبل ويتمنى ذلك ، وفى الشطر الثانى صور انقطاع هذا الرجاء ، وهذا
التمنى الذى لم يتم حيث يأتى من ينهب جميع هذه الإبل وتذهب الأمانسى
أدراج الرياح ، وكان الرابط فيما بين هذين المعنيين الفاء التى صدر بها الشطر
الثانى من البيت ..

لذا نرى أن أفكار الشاعر فى هذه الوصية متلازمة مع بعضها مرتبطة فيما
بينها من غير تداخل ولا تراكب .

ومن الأمثلة على ارتباط الأفكار وتلازمها فى شعر الوصايا قول البراء بن
قيس (١) :

(١) الحماسة للبحتري ص ١١٠ والباب الأول ص ١٢٦ .

فإن أنت خيرت الناكح فانكحسى
على أيمن الطير المصم ناعبه
ولا تنكحى جيسا عابا ملعنا
شديدا على الجار الملاصق جانبه
ولا بطنا لا يبرج الدهر قاعدا
عبوسا إذا ما الضيف حطت ركائبه
حرام عليه الدهر يبرج بهتها
فقد قرحت من الفرائض مناكبه
ولكن فتى ذا نجدة وساحنة
يخب إلى أمر العشيرة راكبه

...

فالشاعر يوصى ابنته باختيار الزوج الكفا إذا ما جاءها خاطب ومنهاها
عن اختيار الرجل اللئيم البخيل الذى يضيئ ذرعا بضيقه ويكهر وجهه عند حلولهم
منزله ، وكذلك منهاها عن الاقتران بالجبان الذى لا يفادى البيت خوفا من الموت ،
ولكن يحثها بالموافقة على الزواج من الرجل الشجاع الكريم الذى يسرع فى نجدة
أهله وعشيرته .

وقد ربط الشاعر فيما بين معانيه بحروف العطف ففى البيت الثانى ينهى
الشاعر ابنته عن الاقتران بالرجل اللئيم بقوله " ولا تنكحى " . وفى البيت
الثالث منهاها - أيضا - عن الاقتران بالرجل الأئول البخيل الجبان الذى لا
يفارق البيت فى قوله " ولا بطنا لا يبرج الدهر قاعدا " .

وقد عطف نهيه فى هذا البيت على البيت الثانى " ولا تنكحى " بحرف العطف
" الواو " الذى ربط بين الأفكار ولام بينهما .

وبعد أن بين الشاعر لابنته صفات الرجال الذين يجب أن تتعد عنهم بين

لها في الأخير الرجل الذي يستحق أن يكون زوجا في قوله : " ولكن فتي ذا نجدة
وساحة ..

فالشاعر قد ربط فيما بين الأبيات وعطف بعضها على بعض، بحرف الواو ،
فبدت معانيها متأسكة متلازمة غير مبعثرة ولا مكررة ، فكل فكرة فيها أتت في المكان
المناسب لها .

وليس معنى ما سبق أن جميع المعاني في شعر الرصايا متلازمة مع بعضها
فقد تأتي مفككة ينقصها التلازم والترابط ، فنجد المعنى الواحد يتكرر في عدة
مواضع من القصيدة وذلك مثل قول أبي الفتح البستي (١) :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان
وإن أساء مسىء فليكن لك فسى
عروض زلت صفح وغفران
وكن على الدهر معوانا لذى أمل
يرجو نداك فإن الحر معوان
...

فالشاعر يبحث المرموع إلى الإحسان للناس وبذل المعروف لهم ويوصيه بالصفح
عن زلل المخطئ ، وفي البيت الثالث يوصيه كذلك على إعانة المحتاج وبذل المال
له وسد حاجته ونلاحظ أن هذا المعنى الذي ذكره الشاعر أخيرا ليس إلا إعادة
لمعنى البيت الأول فالإحسان إلى الناس يشتمل على جميع الصفات الحميدة من
حسن معاملة وبذل للمال والكرم وإعانة المحتاج ، وإعانة المحتاج داخلية في
معنى الإحسان .

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦ والباب الأول ص ٤٦

ونرى الشاعر يكرر هذا المعنى مرة أخرى ويعود إلى الحث على الإحسان بعد عدة أبيات فيقول (١) :

من ثان للخير مناعا فليس له
على الحقيقة إخوان وأخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة
إليه والمال للإنسان فتان
وينقل الشاعر إلى معاني أخرى من حث على حسن معاملة الإخوان والبعد
عن معاشره اللثام ، ويوصي المرء كذلك بحسن الخلق والاتصاف بالحلم والرفق ،
ولكن الشاعر يعود مرة أخرى إلى الحث على الإحسان والإنفاق فيقول (٢) :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة
فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروى يزدان بالأنوار فاعنة
والحر بالعدل والإحسان يزدان
فالشاعر لم ينظم أفكاره في هذه القصيدة بحيث تكون متلازمة مترابطة بل
كان على العكس من ذلك فبدت قصيدته مفككة ومعانيها متباعدة ومكررة ، ولعل
سبب هذا التكرار وعدم الترتيب راجع إلى اهتمام الشاعر بهذا المعنى - معنى
الإحسان والإنفاق - فلما فارقته إلى معنى آخر أحسن أنه لا يزال في حاجة
إلى بيان وإيضاح . .

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

ومما سبق يتضح لنا أن الأفكار في شعر الوصايا غالبا ما تكون أفكارا مترابطة متلازمة مع بعضها بحيدة عن التفكك والتكرار . .

وقد تكون الأفكار في القليل النادر أفكارا مفككة غير متلازمة مع بعضها .
فالمعنى الواحد يتكرر في أماكن عديدة من القصيدة أو القطعة .

٢ - الأفكار فى شعر الوصايا بين الوضوح والغموض :

وضوح المعانى وبعدها عن الغموض شرط من شروط جمال العمل الأدبى .
(فالفترة التالية والعبارة المطلوبة يخفضان من الجمال الأدبى الذى نطلبه فى
الأدب) (١) .

ويقصد بوضوح المعنى (أن يجتهد المتكلم فى ترتيب اللفظ وتهذيبه
وصيانتة من كل ما أخل بالدلالة وفاق دون الإبانة) (٢) .

والوضوح فى الأفكار وبعدها عن الغموض لا يدل على أنها أفكار سطحية
مبتذلة (مثل ما يتراجع به الصبيان ، ويتكلمه العامة فى السوق) (٣) فليس هناك
(تضارب بين وضوح المعنى وعمقه وغناه واتساع مجال التأمل فيه ولا تناقض بأن
تجرى العبارة على الأسلوب الصحيح البليغ . . . ثم تكون فى الوقت نفسه محكمة
النسج متينة البنيان) (٤) .

والأفكار فى شعر الوصايا واضحة جليلة بعيدة عن الغموض ذلك لأنه
شعر موجه إلى عامة أفراد المجتمع ، والشعراء عندما ينشئون وصاياهم يبتغون من
وراء ذلك التأثير والنصح فمن أجل هذا وجب عليهم أن يوضحوا أفكارهم ، وأن
يتمسكوا بها عن الغموض والتعمية ، فلذلك نجد المعانى فى الوصايا واضحة
جليلة لا يخيب عن المتلقى معنى يحتاج معه إلى البحث أو كد الذهن لفهمه أو

-
- (١) الخيال العمري عند أبي الطيب المتنبي د / طه أبو كرهشمس ٢١٥ ، دار
التوثيق للطباعة بالأزهر ط الأولى سنة ١٣٦٨ هـ القاهرة .
(٢) أسرار البلاغة : ص ١٢٣ .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبي ص ٢١٥ .

إدراك ما يبتغيه الشاعر من وصيته .

ومن الأمثلة على وضوح المعانى أبيات حسان بن ثابت التى يقول فيها^(١) :

أعرض عن الموراء إن أسمعتها
واقعد كأنك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الأمور وحفرها
فلرب حافر حفرة هو يصرع
والزم مجالسة الكرام وعلهم
وإذا انتهت فأبصرن من تتبع
لا تتبعن غواية لصباية
إن الغواية كل شر تجمع
والقوم إن نزلوا فزد فى نزرهم
لا تقعدن خلالهم تتمم

...

فالأنكار واضحة بعيدة عن الغموض لأن هدف الشاعر النصح والتوجيه فهو يطلب من المرء ألا يصرى إلى الكلام الذى لا فائدة فيه ، وعليه أن يحفظ سمعه كما يحثه على لزوم الصمت وترك الكلام فيما ليس فيه فائدة ووصيه - أيضا - بمصاحبة الكرام والبعد عن اللثام ويحذره من الغواية لأنها جماع كل شر وبلاء ...

فالقارىء لهذه الأبيات أو السامع لا يحتاج إلى كد الذهن أو التفكير العميق من أجل أن يصل إلى المعانى التى يريدها لوضوحها وبعدها عن الغموض.

وقد كان لوضوح المعانى فى شعر الوصايا مظاهر ، فمن مظاهر الوضوح بعد الكلمات عن الغرابة والوحشية فقد كان لذلك دور فى وضوح المعانى ، فها

(١) ديوانه ص ٧٨ ، والباب الأول ص ٧٩ .

٣ - الأفكار بين العمق والسطحية :

إن المعانى فى شعر الوصايا معان أخلاقية فاضلة تنبىء عن طول وعمق خبرة الشاعر فى الحياة والأحباء ، فمن أجل ذلك كانت المعانى فى كثير من الأحيان معانى عميقة خالدة لا يسع القارئ لها أو الصامع إلا أن يقف وقفة متأنية حيالها وهو يسبر غورها ويستخرج مكنونها ، فمن ذلك قول أوس بن حجر (١) :

يا رايكإ إما عرضت فبلغن
يزهد بن عبد الله ما أنا قافل
بآية أنى لم أخنك وأنس
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرما تغتابهم وتقاتل
وما ينهض البازى بنفسير جناحه
ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
ولا سابق إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تمنه الأناسل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حلما أو أصابك جاهل

...

فالشاعر يوصى أخاه يezهد بن عبد الله بالإحسان إلى أهله وذويه واجتناب معاداتهم والبغض لهم ، لأن الإنسان أيما كان فهو محتاج إلى أهله وعشيرته ، ثم يضرب الشاعر لصاحبه الأمثلة المتعددة التى تبين مدى حاجة المرء لأهله ،

(١) ديوانه ص ١١ ، والباب الأول ص ٢٦٥ .

ومعاني الشاعر معان عميقة راسخة ذات دلالة بعيدة ، ويتضح عمق المعنى ويبرز رسوخه في قوله :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخبثا
أصبت حلما أو أصابك جاهل

فإنك إن لم تعرض عن الجهل وتبتعد عن السباب والأخلاق المشينة فستقطف ثمرة جهلك وحملك ، فإما أن توفد حلما فيغضب عليك ويوقع بك وقعة مشينة لأن الحلیم إذا غضب أساء أو أن يصيبك أعمق شرس بسوء والجاهل عدو نفسه لا يعرف الحق من الباطل .

ومن المعاني العميقة في شعر الوصايا قول بشار بن برد (١) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاة
مكان الخوافى قوة للفساد
وما خير كف أمسك الفل أختها
وما خير سيف لم يؤيد بقائمه

...

فالشاعر يوصي المرء باستشارة العقلاء والاستئثار بأرائهم ، وعليه أن لا يهين بنصيحة أحد أو إبداء أخ له المشورة ، لأن في ذلك إعانة وقوة للمرء كما أن الخوافى قوة للقوادم الطير حين يطير .

فمعاني الأبيات السابقة معان عميقة تستوقف الفكر وتشد الانتباه وتكشف عن

(١) ديوانه ج ٤ ص ١٦٣ والباب الأول ص ٧٣ .

بصيرة ثاقبة ومعرفة عميقة للشاعر في الحياة والأحياء . . . وبخاصة فيما أحال عليه من أمثلة . ولست أزم أن جميع شعر الوصايا ذو معان عميقة راسخة فقد جاءت بعض المعاني سطحية وذلك مثل قول عبد الله بن معاوية بن جعفر (١) :

إن اللبيب الذي يرضى بحيشته
لا من يظل على ما فات مكتئبا
لا تحقرن من الأتواء محتقرا
كل امرئ سوف يجرى بالذي اكتمبا
لا تنفث سرا إلى غير اللبيب ولا إل
خرق المشيع له يوما إذا غفبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه
حتى يكون إلى توريطه سببا
...

فالأفكار التي حملها النص وصايا أخلاقية عديدة فالشاعر يوصي المرء على عدم الأسى على ما فات ويحثه على القناعة والرضا بما قسم له من رزق . ويحثه كذلك على حفظ الأسرار وكتمها ، وعلى عصيان الهوى لأنه يؤدي إلى الزيف والضلال . ولكنه تناول هذه الأفكار تناولا سطحا ليس فيه عمق ، فليست تستوقف المتلقي ولا تجذب السمع وتشحن الذهن فما هي إلا مجرد معان بسيطة سطحية حملتها ألفاظ ركيكة بعيدة عن الرونق والبهاء .

ومن الأمثلة على المعاني السطحية قول عبد الله بن المبارك (٢) :

كل من الجاروش والسرز ■ ز ومن خبز الشمير

(١) شعره ص ٣٢ والباب الأول ص ٦١

(٢) ديوانه ص ٤٨ والباب الأول ص ٢٠٦

واجعلن ذاك حلالا * تنج من نار السمير
والتمن رزقك من ذى ال * عرش والرب القديم
وانأ ما اسطمت هداك ال * له عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها * إنها شر مـزور ٠٠٠ الخ

...

فالشاعر يوصى الإنسان بالقناعة وكسب الحلال ٠٠ والابتعاد عن دور
الأمراء ٠٠ وقد تناول هذه المعانى تناولاً سطحياً ليس فيه عمق والفاظه كذلك
الفاظاً عامية مبتدلة .

فمن خلال ما سبق يتضح أن المعانى فى شعر الوصايا كثيراً ما تكون
معانى عميقة تكشف عن عقول رزينة وتجارب وخبرات فى الحياة طويلة ، وقد
تأتى المعانى فى هذا الفن - فى بعض الأحيان - معانى سطحية باردة ليس
فيها عمق أو رسوخ .

٤ - الأفكار بين التقليد والتجديد :

التجديد فى المعانى من السمات التى تكسب العمل الأدبى تأثيرا ومعطيه قبولاً ويفسّم له مكاناً بين الأعمال الأدبية التى يكتب لها البقاء ، ولكن ماذا يقصد بالتجديد فى المعانى فى الأعمال الأدبية ؟

إن الآداب العامة كالتاريخ والنقد والاقتصاد يجب أن تشتت على حقائق جديدة فليس ثمة إنسان يقرأ كتاباً يحتوى على حقائق يعرفها من قبل ^(١)

أما الأدب الخاص - الشعر والنثر الفنى - فليس من الضرورى أن تكون الحقائق أو الأفكار جديدة ، فيصح أن تكون هذه الحقائق التى تضمنتها القطعة الأدبية معروفة ولكن الجديد فيها صياغتها ، وتصوير الخيال بالعاطفة تصويراً جميلاً تبدو فيه شخصية الأديب ^(٢) .

فالتجديد فى المعانى إذاً يكون فى طريقة أدائها وفى الصور والأخيلة ، لأن مطالبة الأديب بالتجديد فى المعانى أمر غير ممكن وإننا لا نكاد نجد (أديباً) أسس عمله كله على حقائق جديدة لم تكن معروفة من قبل أو على معان معروفة للخاصة فقط (٠٠٠) ^(٣) .

وعلى هذا فإن تجديد المعانى فى شعر الوصايا هو فى طريقة أدائها وفى تناولها وإن تناولها الشعراء فى شتى العصور .

فمن ذلك نجد أن كثيراً من الشعراء حثوا على المفر والاغتراب وبينوا دواعيه وأسبابه وفوائده ، ومنهم الإمام الشافعى فى أبياته التى يقول فيها ^(٤) :

(١) انظر أصول النقد الأدبى ص ٢٢٨ .

(٢) انظر النقد الأدبى لأحمد أمين ص ٤٣ نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط الخامسة سنة ١٩٨٣ م ، وأصول النقد الأدبى ص ٢٢٨ .

(٣) النقد الأدبى لأحمد أمين ص ٤٤ .

(٤) ديوانه ص ٢٦ .

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب
 من راحة فدىع الأوطان واغترب
 سافر تجد عوضا عمن تفارقه
 وانصب فإن لذىذ العيش فى النصب
 بانى رأيت وقوف الماء يفسده
 بان ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
 والأسد لولا فراق الأرض ما افترست
 والسهم لولا فراق القوس لم يصب
 والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
 لملها الناس من عجم ومن عرب ... الخ
 ...

فالإمام الشافعى يوصى المرء بالتغرب والسفر لما فيه من فوائد كثيرة ،
 فمكوث المرء فى وطنه على الدوام من غير فراق له ينقص من قدره ويحط من منزلته
 والسفر والاغتراب يحولان عن حدوث هذا الأمر ، لتجدد وجه الإنسان فى السفر ،
 ولذلك شواهد كثيرة فالماء إذا ركد فترة طويلة أسن وفسد طعمه ، ولكم فى
 جبهه يطيب ، والأسود لولا تركها آجامها لما حصلت على رزقها ، والسهم لولا
 مفارقتها القوس لم يصب شيئا ، وانظر إلى الشمس فإنها لو استمرت مشرقة من
 غير غروب لملها الناس جميعهم عربهم وعجمهم .

فالمعانى التى أتى بها الإمام الشافعى كلها تدور حول الحث على السفر
 والترغيب فيه وبيان فوائده ، وقد قدم أدلة توكده صحة رأيه وتقويه .

وقد تناول هذا المعنى بعد الإمام الشافعى الشاعر أبو تمام بنوب جديد
 وألفاظ جميلة موجزة يقول (١) :

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص

وطول مقام المرء في الحي مخلوق
لديها جنته فاعترب تتجدد
فإنسى رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم سرمد
...

فالشاعر يوصي الإنسان بالسفر وترك الوطن ، فالإقامة المستمرة في بلد واحد
مخلقة لوجه المرء وبحياء ، والاعتراب يجددهما ، فالشمس محبة لجميع الناس
لأنها ليست دائمة المكوث فهي تشرق في أول النهار وتضئ في آخره ، ولو
كانت سرمداً عليهم لموها ، فكان أنت أيها الإنسان مثلها اغترب وسافر عن الوطن
حتى لا تُثَل .

ونرى التشابه بين المعنيين فالفكرة واحدة ، ولكن الجديد فيها صياغة
يبتى أي تمام فصاغته أبلغ فقد أدت المعنى المقصود بأوجز عبارة وأيسر
طريق ، فالشاعر قد اكتفى بتعليل واحد موثر يوهك ما ذهب إليه ويهده وضوحاً
وبياناً .

ومن أمثلة التجديد في المعاني ما نجده في معنى الوصية على إدارة
الإخوان والأغضاء عن هفواتهم فالمنيرة بن حبناء يقول (١) :

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
ولا تك في كل الأمور تعاتبه
فإنك لن تلقى أخاك مهذباً
وأي امرئ ينجو من الميب صاحبه

(١) الأمازي لأبي على القالي ح ٢ ص ٢٥٦ والباب الأول ص ٢٥٧

فالشاعر يحث المرء على مجاملة الاخوان ومداراتهم والصنع عن أخطائهم
وينهاه عن العتاب الدائم لأن المرء لابد له من زلة وأى انسان يعلم صاحبه من
المعيب !!

فهذا المعنى تداوله الشعراء من بعده ومن أبرزهم بشار بن برد الذى أخذ
هذا المعنى وكساه حلة جديدة وصوره تصويرا رائعا زاد فى عمقه ودلالته يقول (١):

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعلش واحدا أوصل أخاك فإنه
مقارن ذنب مرة ومجانبيه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظلمت وأى الناس تصفو مشاربه

...

فالشاعر يوصى الانسان العاقل بعدم معاتبة الصديق فى جميع الأمور فإن
ذلك مما ينفر الناس منه ، ولكن عليك أيها الانسان أن تتحمل أخطاء الصديق
وتصنع عن زلله ، وإن لم تستطع ذلك فاعلم أنك ستعيش واحدا منفردا بدون
صديق أو خليل ، واعلم أنك إن لم تشرب الماء الكدر ولم تعود نفسك على ذلك
ظلمت وأحرقك العطش ، وأى امرء تصفو مشاربته على الدوام !!

فالفكرة متحدة عند الشعراء إلا أن الجدة فيها هو صياغة أبيات بشار وحمص
سبكها وما أضافته من معان جديدة ، فالشاعر لما بين للمرء أنه إذا لم يصنع عن
زلات صديقه عاش فردا لا صديق له ولا حميم ، فغضب له مثالا يؤكد له فيه عدم

(١) ديوانه ج ١ ص ٣٢٦ ، والباب الأول ص ٢٥٨ .

وجود شخص خال من الميوب وهو أن الإنسان إذا لم يصبر على شرب المياه الآسنة مرات وكرات ظل ظامًا طول حياته " فأى الناس تصفو مشاريه " وهذا المعنى الذى أتى به الشاعر أعطى فكرته جدة وابتكارا ، وعقا وزادها وضوحا وبياناً .

ولمست جميع الأفكار فى شعر الوصايا جديدة مبتكرة ، فهناك المعانى المتداولة بين الشعراء من غير محاولة للتجديد والابتكار ، ومن أجل ذلك نرى التشابه الكبير بين معانى الأبيات .

فمن الأمثلة على ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات (١) :

وقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
بهم هرما تغتابهم وتقاتل
فإن امرؤ نسي معشر غير قومه
ضعيف الكلام شخصه متضائل
إذا شاء لم ييسط لسانا ولا يدا
ولم تنب عن ذى صفحتك المعابل
...

فمعانى هذه الوصية الإخوانية قد أخذها الشاعر من وصية أوس بن حجر التى يوصى فيها أحد إخوانه (٢) :

يا راكباً إما عرضت فبلغن
يزيد بن عبد الله ما أنا قائل
بآية أنى لم أخنك وأنس
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل

(١) ديوانه ص ٥١ والباب الأول ص ٢٢٣

(٢) ديوانه ص ١١ والباب الأول ص ٢٦٥

فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
 لهم هرشا تغتابهم وتقاتل
 وما ينهض البازي بغير جناحه
 ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
 ولا سابق إلا بساق سليمة
 ولا باطن ما لم تعنه الأثامل
 إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
 أصبت حلما أو أصابك جاهل

...

فالتشابه فيما بين النصين واضح بين بل إن البيت الأول في مقطوعة عبيد الله بن
 قيس مأخوذ برمته من أبيات أوس بن حجر ه ولم يستطع ابن قيس أن يقدم معانى
 جديدة في أبياته السابقة تخالف أبيات أوس ه فما أبياته إلا تقليد لها ه ومع
 ذلك فإن أبيات أوس أعمق في الدلالة وأبلغ في البيان ه

ومن الأمثلة أيضا على التقليد في المعانى وتداولها بين الشعراء من غير
 تجديد فيها قول أبي الأسود الدؤلى (١) :

وإن قلت في شيء نعم فأنتم
 فإن نعم دين على الحر واجب
 وإلا فقل لا واسترح وأرج بها
 لكى لا يقول الناس إنك كاذب

...

وقول ابن مسحل العقيلي (٢) :

(١) ديوانه ص ١٤٣ والباب الأول ص ١١٣ ه
 (٢) الحماسة للبحتري ص ٢٢٢ والباب الأول ص ١١٤

إبدأ بقولك لا لا قبل قول نعم
 يا صاح بعد نعم ما أقبح المللا
 واعلم بأن نعم إن قالها أحد
 عند المواعيد لم تترك له جدلا
 ...

فالشاعران يوصيان المرء بإتمام الوعد لأن الوعد دين على الحر ومن أقبح
 الأخلاق اعتذار المرء عن إتمام وعده ، وقد استقى الشاعران هذه الفكرة من أبيات
 المثقب التي يقول فيها (١) :

لا تقولن إذا ما لم تدر
 أن تتم الوعد في شيء نعم
 حسن قول نعم من بعد لا
 وقبيح قول لا بعد نعم
 إن لا بعد نعم فاحشة
 فيلا فابدا إذا خفت الندم
 فإذا قلت نعم فاصبر لها
 بنجاح الوعد إن الخلف ذم
 واعلم أن الذم نص للفتى
 ومتى لا يتحقق الذم يذم
 ...

فأبو الأسود الدؤلي وابن مسحل العقيلي لم يضيفا معاني جديدة إلى هذه
 المعاني ، أو يتناولها تناولا دقيقا يعطيها صفة الجدة ، فما تعدوا أن تكون
 معاني أبياتهما إلا تقريرا لمعاني المثقب مع أن معانيه أشمل وأبلغ وصفاً أجمل
 وأحكم .

(١) ديوانه ص ٢٢٢ والباب الأول ص ١١٢

وهكذا بعد مسيرتنا مع الأفكار في شعر الوصايا رأينا أن هذه الأفكار
- في الغالب - أفكارا مترابطة متلازمة مع بعضها بعيدة عن التفكك والتكرار ،
وقد تكون في القليل النادر أفكارا مفككة غير متلازمة . .

وفي مجال الوضوح والغموض رأينا أن الأفكار واضحة بعيدة عن الغموض
والتعمية .

أما من ناحية العمق والمطحية فإننا رأينا أن المعاني في شعر الوصايا
كثيرا ما تكون معاني عميقة راسخة ، وقد تبدو في بعض الأحيان معاني سطحية
باردة .

وفي مبحث التجديد في الأفكار رأينا أن هناك شعراء قد جددوا فنى
معانيهم وكسوها حلة جديدة .

أما التقليد في الأفكار فإننا رأينا أن هناك معاني متداولة بين الشعراء
من غير محاولة للتجديد أو الابتكار فيها فلذلك نجد التشابه الكبير بين تلك
المعاني .

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع شعر الوصايا من العصر الجاهلى حتى
شهادة القرن الرابع الهجرى • ومن خلال استعراض ما جاء فيه فإنى أوجـز
دراستى فيما يلى :

فى التمهيد تناولت تعريف الوصية وحاولت تحديد ملامحها من واقع
شعر الوصايا فاتفقت لى أن الوصية لا تصدر - عادة - إلا من رجل أرسب
عقل قد خبر الحياة وعرفها وعركته السنون فذاق حلوها ومرها (١) .

أما فى الدراسة الموضوعية فقد تبين لى أن شعر الوصايا قد اتجه إلى ست
اتجاهات هى :

- ١ - الوصايا الاجتماعية •
- ٢ - الوصايا الأبوية •
- ٣ - الوصايا الدينية •
- ٤ - الوصايا الحربية •
- ٥ - الوصايا الإخوانية •
- ٦ - الوصايا الزوجية •

ففى الوصايا الاجتماعية رأيت أن الشعراء قد أوصوا أفراد المجتمع بوصايا
أخلاقية عديدة هى :

- الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن الناس •
- الحث على الكرم وانفاق المال •
- الحث على مصاحبة الأخيار والنهى عن معاشره اللئام
- التحلى بالأخلاق الفاضلة •

(١) من (٢) إلى (١٥) من هذا البحث •

- استشارة العقلاء .
 - آداب الحديث والاستماع والحث على لزوم الصمت .
 - حفظ السر .
 - الحث على الصبر .
 - النهي عن فرط المزاج .
 - الحث على السفر وآدابه .
 - إتمام الوعد .
 - آداب زيارة المريض (١)
- وفى الوصايا الأبوية وقفت على أن الشمراء قد أوصوا أبناءهم بوصايا عديدة
هـى :
- الحث على تقوى الله سبحانه وتعالى .
 - الحث على الكرم والانفاق والمروءة .
 - الحث على حفظ المجد والسموود واجتماع الكلمة .
 - الحث على صاحبة الأخيار والبعد عن اللثام .
 - الحث على طلب الرزق والبعد عن الحرص .
 - الحث على إنباء الضيم وعدم الذل والبهوان .
 - الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات
الذميمة .
 - الحث على الشجاعة وخطى الممارك .
 - وصية الشاعر بناته لراثه والبكاء عليه .
 - الحث على اختيار الزوج الصالح (٢)
- وفى الفصل الثالث عرضت لشمع الوصايا الدينية وتبينت أنها تضمنت الحث

(١) من (٢٤) إلى (١١٢) من هذا البحث .
(٢) من (١١٩) إلى (١٢٧) من هذا البحث .

على تقوى الله سبحانه وتعالى ، والتزهيد فى الدنيا والتذكر بالآخرة ، والحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات وكذلك الحث على القناعة والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى (١) .

أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه شعر الوصايا الحربية ، ورأيت أن الشعراء قد حثوا على خطر المعارك ببسالة ورباطة جأش ، وعدم الهروب من المعركة خوف الموت ، كما حثوا أقوامهم على الأخذ بالنار وعدم الرضا بالدية مهما عظمت لأنها فانية ، كما حث بعض الشعراء قومه على الاستعداد للمعركة وأخذ الحذر من العدو (٢) .

أما الفصل الخامس فكان خاصا بشعر الوصايا الإخوانية ورأيت أن الشعراء قد حثوا على اصطفاة الإخوان لأنهم الساعد الأيمن للإنسان ، وأوصوا المرء أن يحسن اختيارهم وأن لا يؤاخى إلا الرجل الكريم المتحلى بالأخلاق الفاضلة .

كما أنهم حثوا على حسن معاملة الإخوان ومداراتهم فى ذلك والإغضاء عن هفواتهم لأن النصر من طبائع النفوس ولن يجد المرء أخا خالفا من جميع الميوس (٣) .

أما الفصل السادس فقد تناولت فيه شعر الوصايا الزوجية ورأيت أن الشعراء قد أوصوا زوجاتهم بوصايا عديدة مثل الإسراع فى إكرام الضيف وتقديم القرى له والحث على القناعة وحسن المعاملة وعدم إدامة العتاب ، كما أوصى بعضهم زوجه - إن أرادت الزواج بعد موته - اختيار الرجل الكفا وعدم الاقتتران برجل لثيم ، وذلك حرصا عليهن ، وكأنهم يخشون غدر الحياة والناس بهن من

-
- | | | | | | |
|-----|----|-------|-----|-------|----------------|
| (١) | من | (١٧٩) | إلى | (٢١٢) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٢١٤) | إلى | (٢٤٧) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٢٤٩) | إلى | (٢٧٤) | من هذا البحث . |

من بعدهم فيرموا لهن الطريق الذي يجدن فيه الأمن والملاذ (١)

أما في مجال الدراسة الفنية لشعر الوصايا في جانب الشكل فمن خلال دراسة الألفاظ اتضح لي سهولة شعر الوصايا - غالبا - ووضوح معانيها - ويبتعد عن الغرابة والابتذال والتنافر ، تنساب في الأذن انسياها من غير نشوز في السمع أو تعثر في اللسان مع دقة في أداها المعنى المراد (٢) .

ومن خلال دراسة التراكيب في شعر الوصايا فقد تبين لي أن العبارة - في كثير من الأحيان - سهلة البناء ، بعيدة عن المعاطلة اللفظية الناتجة من تكرار حرف أو تكرار كلمة ، كما أنها خالية من المعاطلة اللفظية الناتجة عن التقديم أو التأخير في غير محله أو تداخل العبارات بعضها في بعض .

كما أن شعراء الوصايا قد أحسنوا استخدام التقديم والتأخير والتعريف والتشكيك وغير ذلك من أجزاء بناء العبارة مما أعطاهم تنوعا في الأسلوب وإغناء للمعنى وجعلها أكثر تأثيرا في النفوس ، كما أنهم زاوجوا بين الأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري كل في موضعه المناسب له (٣) .

أما عن خصائص الصور البيانية فإن شعراء الوصايا قد استخدموا جميع ألوان الصور البيانية من استعارة وتشبيه ، ولكن أكثر هذه الألوان دورانا في هذا الغرض التشبيهي ، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن صورة التشبيه أنسب لهذا الشعر من حيث اتخاذها وسيلة من وسائل الاقتناع الذي يهدف إليه شعر الوصايا (٤) .

أما في مجال دراسة القيم الصوتية فمن ناحية الأوزان فإني وجدت أن أغلب

-
- | | | | |
|-----|----|-----------------|----------------|
| (١) | من | (٢٢٦) إلى (٢٨٧) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٢٩٠) إلى (٣١٥) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣١٦) إلى (٣٢٧) | من هذا البحث . |
| (٤) | من | (٣٢٨) إلى (٣٤٠) | من هذا البحث . |

الشعراء قد نظّموا ما يختلج في صدورهم من وصايا على بحور طويلة أما البحور القصيرة فلم تأت إلا نادرا ولعل ذلك راجع إلى موضوع الشعر ، فهو يتطلب بحورا طويلة تستوعب العواطف والتجارب من غير نقص بثوب جميل وجليسل يتلاءم وجلال وهيبة موقف الإيحاء (١) .

أما من ناحية الموسيقى الداخلية فلقد وفر شعراء الوصايا هذه الموسيقى من خلال اختيارهم للكلمات التي تحتوى على حروف لها جرس ونغم واستخدمهم للتضعيف بالمحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة ما زاد في إيقاع الأبيات وساعد على توازن الأنغام ، وأعان على حسن استقبال الوصية واستيعابها .

وعند دراسة القافية انضم لى توفيق شعراء الوصايا في اختيار حرف الروى الذى يخدم المعنى ويعطى نغمة جميلة تتناسب مع موسيقى الوزن فتكون ختاماً حسناً لموسيقى البيت بأجمعه ، كما جاءت القوافي - في الغالب - منسجمة مع بعضها دون نشوز أو تكلف فكل قافية نهاية طبيعية للبيت من غير استكراه أو اجتلاب ، وإن وجد بعض الأمثلة التي اجتلبت فيها القافية واستكراهت فهمسى أمثلة قليلة ولا تعد ظاهرة كبيرة (٢) .

وفي دراسة البناء الفنى لشعر الوصايا تبين لى أنه جاء على ثلاثة أصناف :

الصف الأول - وهو الغالب - على هيئة مقطعات مكونة من بيتين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

الصف الثانى : قصائد كاملة ولكنها ليست كثيرة .

-
- | | | | |
|-----|----|-----------------|----------------|
| (١) | من | (٣٤١) إلى (٣٤٨) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٣٤٩) إلى (٣٥٦) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣٥٧) إلى (٣٦٣) | من هذا البحث . |

الصنف الثالث : ورود شعر الوصايا داخل أعرافى أخرى ، وهذا قليل جدا بالمقارنة لمساقيه .

كما تبين أن غالب هذا الشعر جاء خاليا من المقدمات في أول القصائد فالدخول إلى الغرض مباشرة هو السمة البارزة (١) .

كما اتضحت لى الوحدة الموضوعية في شعر الوصايا - ففي الكثير الغالب تكون القصيدة أو المقطوعة مستقلة بغرض الوصية بما فيه من معان أخلاقية مختلفة (٢)

أما في مجال الدراسة الفنية لشعر الوصايا في جانب المضمون ، فقد رأيت أن التجارب في هذا الشعر تجارب شخصية واجتماعية .

وقد توافر لكثير من هذه التجارب عامل الصدق ما يدعو إلى الحكم عليها بأنها تجارب صادقة نابعة من القلب بمعده عن التكلف ، ذات دافع قسوى وصادق .

وقد انضم لى - أيضا - أن صياغة التجربة الشعرية في شعر الوصايا قد تنوعت إلى ثلاثة أقسام ، قسم وامت الصياغة التجربة الشعرية ولائتها ، وكانت وعاء مصنوعا على مقدارها وهذا هو الغالب في هذا الشعر .

وقسم آخر قصرت فيه الصياغة عن التجربة الشعرية فبدأ ثوبها قصيرا معريا .

أما القسم الثالث ، فقد زادت الصياغة فيه عن التجربة الشعرية فبدأ ثوبها طويلا ففضاضا ، ولكن الملاحظ أن هذين النوعين قليلان في شعر الوصايا (٣)

-
- | | | | | | |
|-----|----|---------|-----|---------|----------------|
| (١) | من | (٣٦٤) | إلى | (٣٧١) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٣٧١) | إلى | (٣٧٣) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣٧٥) | إلى | (٣٩١) | من هذا البحث . |

وفى دراسة العاطفة رأيت أنها قد تنوع بتنوع اتجاهات شعر الوصايا ،
فمطافة الخوف والشفقة والحب فى الوصايا الأبوية والزوجية ، والمطافة
الإنسانية المحبة للنصح والتوجيه فى الوصايا الاجتماعية والإخوانية ، وعاطفة
الحماسة والقوة فى الوصايا الحربية ، والمطافة الإيمانية المخلصة التى تشير
مشاعر الخوف والرجاء فى الوصايا الدينية .

وهذه المواطن - فى الغالب - عواطف حية مشبوبة لانبعاشها عمن
سبب صادق ودافع قوى ، ولغوتها فى إثارة مشاعر السائق (١) .

وفى دراسة الأفكار تبين لى أنها - فى الغالب - أفكار مترابطة متلازمة
مع بعضها بعيدة عن التفكك والتكرار ، كما أنها أفكار واضحة بعيدة عمن
الغموض والتعمية وهى فى ذلك تحقق الهدف المنشود من الوصية سماعاً وفهماً
وعملًا .

أما من ناحية العمق والسطحية فإن المعانى فى شعر الوصايا كثيراً ما تكون
معانى عميقة راسخة .

ومن ناحية التجديد فى الأفكار فإننا رأينا أن هناك شعراء قد جددوا فى
معانيهم وابتعثوا فيها حياة جديدة .

أما التقليد فإننا رأينا أن هناك معانى متداولة بين الشعراء من غير
محاولة للتجديد أو الابتكار فيها ، فلذلك نجد التشابه الكبير بين تلك
المعانى (٢) .

هذا .. وإن من أهم النتائج التى توصلت إليها ما يلى :

(١) من (٣٩٢) إلى (٤٠٦) من هذا البحث .

(٢) من (٤٠٧) إلى (٤٣٠) من هذا البحث .

١ - أن شعر الوصايا كان يومى دورا فى المجتمع الجاهلى ، الذى لم يكن خاضعا لحكم ولا تابعا لديانة صحيحة ، وإنما كانت تحكمه الأعراف والتقاليد مما أفسد مجالا للوصايا المتنوعة التى يرى أصحابها أنها تومى ما تومىه القوانين وتضع ما تحاول أن تصنعه الحكومات الآن من إصلاح فى مجتمعاتها اجتماعيا وسياسيا وحربيا .

كما كان للوصية دور تربوى وأخلاقي فى المجتمع الإسلامى لما تتضمنه من تروجية وإرشاد فى شتى مجالات الحياة ، وإن كانت لم تأخذ نفس الحجم الذى كانت عليه فى العصر الجاهلى وذلك لأن الإسلام بنظامه وتعاليمه قد أغنى الكثيرين عن التفصيل فى تنظيم العلاقات الاجتماعية أو العائلية أو الحربية .

٢ - أن وصايا الشعراء الإسلاميين كانت فى الغالب تتبع من روح الإسلام وتسهل من معينه الصافي ، وقد تمثل ذلك من خلال تضمين الشعراء لكثير من معانى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وهذا يعد أكبر مظهر من مظاهر التأثير بالتعاليم الإسلامية بصورة أكبر من غيرها من الأغراض الأخرى .

٣ - تعد الوصايا الدينية اتجاها جديدا بد ، ظهوره منذ انبلاج فجر الإسلام وتابع تطوره حتى بلغ الذروة فى العصر المباسى الأول حيث ركز الشعراء - فى هذا العصر - فى وصاياهم على التزهيد فى الدنيا والتذكير بالآخرة ، والحث على القناعة وعدم الحرص وكان ذلك بمثابة رد فعل على ما حفل به هذا العصر من مجون وتهالك على أنواع المتع والمذات .

٤ - ولعل من النتائج البارزة ، تقديم هذه النماذج الشعرية الكثيرة فى هذا الغرض الذى ربما يبدو للقارىء لأول وهلة أنه لا يأخذ مثل هذا الحجم لقلته وندرته كغرض فى الشعر العربى .

وبعد .. فان شعر الوصايا لا يزال بحاجة إلى مواصلة البحث والدرس خصوصا فى القرون المتأخرة التالية للقرن الرابع الهجرى . والى لم تتناولها أقلام الدارسين بعد .

والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المصا اور روالہ جمع

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ١ - أبو المتاهة أعماره وأخباره .
تحقيق د / شكى فيصل - مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤ هـ .
- ٢ - أبو الفتح البسى حياته وشعره د / محمد مرسى الخولى .
الطبعة الأولى ١٩٨٠م - دار الأندلس للطباعة والنشر .
- ٣ - الأدب ومذاهبه د / محمد سندور . دار نهضة مصر القاهرة د . ت
- ٤ - أسس النقد الأدبى عند العرب د / أحمد أحمد بدوى .
دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩م .
- ٥ - أسرار البلاغة فى علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجانى
تصحیح وتعلیق محمد رشید رضا - دار المعرفة بیروت لبنان ١٤٠٢ هـ
- ٦ - الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .
تحقیق على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطباعة والنشر د .
- ٧ - الأصمعیات : اختصار أبى سمد عبد الملك بن قهب الأصمى .
تحقیق وشرح أحمد هاکر وعبد السلام هارون . نشر دار المعارف
مصر سنة ١٩٧٩م .
- ٨ - أصول النقد الأدبى الأستاذ / أحمد الشایب .
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٩ - الأعلام - خير الدين الزركلى .
الطبعة الخامسة ١٩٨٠م . دار العلم للملايين - بیروت لبنان .

- ١٠- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني • نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٨٣هـ • نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان •
- ١١- الأملال لأبى على القالى • نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م
- ١٢- البداية والنهاية • لابي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى • الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - مكتبة المعارف بيروت لبنان •
- ١٣- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجين لابن عبد البر القرطبى تحقيق محمد مرسى الخولى • دار الكتب العلمية بيروت - لبنان • د • ت •
- ١٤- البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ • تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ - مكتبة الخانجى القاهرة •
- ١٥- تاريخ الأدب العربى د / عمر فروخ الطبعة الخامسة ١٩٨٤ - دار العلم للملايين بيروت لبنان •
- ١٦- تاريخ بغداد للحافظ ابى بكر الخطيب البغدادى • دار الكتاب العربى بيروت لبنان • د • ت •
- ١٧- التذكرة السعدية فى الأئمة العربىة - لمحمد بن عبد الرحمن العبيدى تحقيق د / عبد الله الجبورى • الدار العربىة للكتاب ليبيا - تونس ١٩٨١م •
- ١٨- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن الهند ١٣٢٦ هـ •
- ١٩- تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري • حققه الأستاذ عبد السلام هارون وآخرون - راجعه محمد على النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ •

- ٢٠- جوهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى
تحقيق د / محمد على الهاشمى
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - من منشورات جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - الرياض .
- ٢١- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبدیع - أحمد الهاشمى .
الطبعة الثانية عشرة - دار احياء التراث العربى بيروت -
لبنان . د . ت .
- ٢٢- الحماسة لأبى تمام .
تحقيق د / عبد الله عميلان .
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ من منشورات جامعة الامام محمد بن سعود
الإسلامية .
- ٢٣- الحماسة للبحترى .
تعلیق كمال مصطفى
الطبعة الأولى ١٩٦٩ م - المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- ٢٤- خزانة الأدب ولب لسان العرب لمحمد القادر بن عمر البغدادي .
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .
الطبعة الثانية ١٩٧٩ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢٥- الخيال الشمعى عند أبى الطيب المتنبى د / طه مصطفى أبو كريمة .
الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - دار التوفيقية للطباعة بالأزهر .
- ٢٦- دلائل الإعجاز . لمحمد القاهر الجرجاني .
قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر - مكتبة الخانجي بالقاهرة د . ت
- ٢٧- ديوان إبراهيم بن العباس الصولى ضمن كتاب الطرائف الأدبية .
تصحیح وتخریج عبد العزيز المينى .
دار الكتب العلمية بيروت - لبنان . د . ت .

- ٢٨- ديوان أبي الأسود الدؤلى صنعة أبي سعيد الحسن العسكرى .
تحقيق محمد حسن آل ياسين .
الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م دار الكتاب الجديد - بيروت لبنان
- ٢٩- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزى .
تحقيق محمد عبده عزام .
الطبعة الثالثة ١٩٧٦م دار المعارف بصرى .
- ٣٠- ديوان أبى فراس الحمدانى
شرح وتقديم عباس عبد الساتر
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ دار الكتب العلمية - بيروت
لبنان .
- ٣١- ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسى
جمع وتحقيق محمد حسن باجودة
من مطبوعات نادى الطائف الأدبى ١٣٩٩هـ
- ٣٢- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)
شرح وتعليق محمد محمد حسين
المكتب الشرقى للنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٨٨هـ .
- ٣٣- ديوان أوس بن حجر .
تحقيق د / محمد يوسف نجم
الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - دار صادر بيروت . لبنان .
- ٣٤- ديوان البحترى .
عن بشرحه وتحقيقه حسن كامل الصيرفى
الطبعة الثالثة ١٩٧٨م - دار المعارف بصرى .
- ٣٥- ديوان بشار بن برد
جمعه وشرحه وكنه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .
الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م .

- ٣٦- ديوان نعم بن مقل
تحقيق د / عزة حسن
وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٣٨١هـ .
- ٣٧- ديوان حاتم الطائي ، صنعة يحيى بن مدرك الطائي
دراسة وتحقيق د / عادل سليمان جمال
مطبعة المدني شارع العباسية ، القاهرة د . ت .
- ٣٨- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه
تحقيق د / سيد حفنى ناصف .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .
- ٣٩- ديوان حميد بن ثور الهلالي صنعة عبد العزيز الهميني .
الدار القومية للطباعة والنشر - نسخة صورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٧١هـ .
- ٤٠- ديوان دجيل بن عيسى الخزاعي . جمعه وحققه عبد الصاحب بن عسران
الذجيلي
الطبعة الثانية ١٩٧٢م - دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٤١- ديوان الشافعى - محمد بن ادريس - جمع وتعليق محمد غفيف الزبيدي
الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ، مكتبة المعرفة - حص ، سوريا .
- ٤٢- ديوان شعر الخوازم - جمعه وحققه د / إحسان عباس
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - دار الشروق بيروت ، لبنان .
- ٤٣- ديوان شعر الهذليين .
نشر الدار القومية للطباعة ، نسخة صورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٨٥هـ .
- ٤٤- ديوان طرفة بن العبد - شرح الأعلام الشنترى
تحقيق ديرة الخطيب ، ولطفى الصقال . من مطبوعات مجمع اللغة
العربية بدمشق ١٣٩٥هـ .

- ٤٥- ديوان عابر سبيل - عباس محمود العقاد - ضمن مجموعة دواوين -
العقاد ، نشر المكتبة المصرية ، بيروت ، صيدا .
- ٤٦- ديوان عبد الله بن المبارك جمع وتحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة .
بصر .
- ٤٧- ديوان عبد الله بن المعتز .
دراسة وتحقيق محمد بدیع شرف
الطبعة الأولى ١٩٧١م - دار المعارف بصر .
- ٤٨- ديوان عبيد الله بن فيس الرقيات .
تحقيق د / يوسف نجم - دار صادر بيروت ١٩٧٨هـ .
- ٤٩- ديوان عبيد بن الأبرص .
تحقيق وشرح د / حسين نصار .
الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ، مطبعة الباي الحلبي وأولاده ، القاهرة
- ٥٠- ديوان عدى بن زهد العبادي
تحقيق محمد جبار المعيد
نشر وزارة الثقافة والارشاد ، سلسلة كتب التراث ، بغداد ١٩٦٠م
- ٥١- ديوان عمرو بن الورد المبسى شرح ابن الحكيم
تحقيق د / عبد المصين الطوحى .
وزارة الثقافة والارشاد القومى ، دمشق ١٩٦٦م
- ٥٢- ديوان العسكري - أبو هلال الحسن بن عبد الله - جمعه وحققه جورج قناز
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٠هـ
- ٥٣- الديوان فى الأدب والنقد - عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى
الطبعة الثالثة - طبعة دار الشعب بصر .

- ٥٤- ديوان لبید بن ربیعۃ العامری رضی اللہ عنہ
الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ دار صادر بيروت .
- ٥٥- ديوان لقيط بن يعمر الياہدي
تحقيق د / عبد المعين خان
دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٣٩١ هـ
- ٥٦- ديوان المثقب العبدی
تحقيق حسن كامل الصيرفي .
معهد المخطوطات العربية ١٣٩١ هـ
- ٥٧- ديوان النابغة الذبہانی
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة الثانية ١٩٨٥ . دار المعارف - مصر .
- ٥٨- رغبة الآمل من كتاب الكامل - للشیخ سيد بن علی المرصفي .
الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ مطبعة النهضة بمصر .
- ٥٩- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجی .
الطبعة الأولى ١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- ٦٠- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني
نشر دار الريان ١٤٠٨ هـ القاهرة .
- ٦١- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد القزوينی .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
دار إحياء التراث العربی ٥ بيروت لبنان - د . ت .
- ٦٢- سنن الترمذی - محمد بن عيسى بن سوره
تحقيق إبراهيم عطوة .
دار إحياء التراث العربی - بيروت لبنان - د . ت .

- ٦٣- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي .
حققه مجموعة من الأساتذة وأشرف على تحقيقه وخبر أحاديثه شعيب
الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة . بيروت .
لبنان .
- ٦٤- شاعرات العرب - جمع وتحقيق عبد البديع صقر .
الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - المكتب الإسلامي دمشق سوريا .
- ٦٥- شرح ديوان الحماسة لأبي على المرزوقى .
نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ مطبعة لجنة التأليف والنشر .
- ٦٦- شرح ديوان زهير بن أبى سلمى صنعة أبى العباس أحمد بن يحيى بسن
زيد الشيبانى (ثعلب)
نشر الرار القومية ١٣٨٤ هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٦٣ هـ .
- ٦٧- شرح ديوان الفرزدق ضبطه وشرحه إيليا الحاوى .
الطبعة الأولى ١٩٨٣ م دار الكتاب اللبنانى بلبنان .
- ٦٨- شرح المفضليات - للخطيب التبريزى .
تحقيق على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطباعة والنشر د . ت
- ٦٩- شعر ابن الملاف ، جمع وتحقيق صبيح رديف
الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - مطابع الجامعة بغداد .
- ٧٠- شعر تميم فى الجاهلية ، جمع وتحقيق د / عبد المعين محمرد المعينى
من منشورات نادى القصيم الأدبى ، بريدة ١٤٠٦ هـ .
- ٧١- شعر الحرب فى العصر الجاهلى د / على الجندى .
مكتبة الانجلو المصرية د . ت .

- ٧٢- شعر الخلفاء في العصرين الراشدين والأئمة - نبال تيسير خمماش
- ٧٣- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين - عبد الله بن حامد الحامد • الرئاسة العامة للكتابات والمعاهد العلمية - كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٩١ هـ
- ٧٤- شعر ربيعة الرقي - د/ يوسف حسين بكار • الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ دار الأندلس بيروت لبنان •
- ٧٥- شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة د/ علي نجيب عطوي الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ المكتب الإسلامي دمشق - بيروت •
- ٧٦- شعر سابق البهرى دراسة وجمع وتحقيق د/ بدر أحمد ضيف • دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٧ م •
- ٧٧- شعر طريح بن إسماعيل الثقفي دراسة وجمع وتحقيق د/ بدر أحمد ضيف • دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٧ م •
- ٧٨- شعر طي وأخبارها في الجاهلية والإسلام - جمع وتحقيق د/ وفاة فهمي السنديوني • دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ الرياض •
- ٧٩- شعر عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب • جمعه وحققه عبد الحميد الرازي • الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ دار الرسالة بيروت
- ٨٠- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي رضى الله عنه - جمعه ونسقه مطاع الطرابيشى الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - مجمع اللغة العربية بدمشق •
- ٨١- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - للأستاذ مصطفى عبد اللطيف المسحرتي - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ تهامة للنشر والتوزيع جدة
- ٨٢- شعر النعمان بن بشير الأنصاري رضى الله عنه • تحقيق د/ يحيى الجبورى • الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - دار القلم الكويت •

- ٨٣- شعر حمدان وأخبارها في الجاهلية والاسلام
جميع وتحقيق ودراسة د / حسين أبو ياسين
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض .
- ٨٤- الشعر والشعراء لابن قتيبة
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .
الطبعة الثانية ١٩٧٧م .
- ٨٥- شعراء اليزيديين - جمعه وحققه د / محسن غياض .
مطبعة النعمان - النجف ١٩٧٣م .
- ٨٦- شعراء إسلاميون د / نوري حمودي القيسي .
الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية
بيروت لبنان .
- ٨٧- شعراء أمويون جميع وتحقيق د / نوري حمودي القيسي
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - عالم الكتب بيروت ، لبنان .
- ٨٨- شعراء أمويون - القسم الثالث - دراسة وتحقيق د / نوري حمودي القيسي
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ .
- ٨٩- شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الأموي ،
جميعا وتحقيقا ودراسة د / عبد العزيز بن محمد الفيصل .
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- ٩٠- شعراء بني قشير في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الأموي .
د / عبد العزيز محمد انجيل .
طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٨هـ .
- ٩١- صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره - ألفه وحققه عبد الله
الخطيب ، دار منشورات البصري - بغداد ١٩٦٧م .
- ٩٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

- ٩٣- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
الطبعة الثانية ١٩٧٢م - دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- ٩٤- الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدي
شرح وتعليق على متولى صلاح - مكتبة الآداب ومطبعتها -
القاهرة - د . ت .
- ٩٥- الصناعتين لأبى هلال العسكري .
تحقيق على البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم .
الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة
- ٩٦- الصورة بين البلاغة والنقد ، أحمد بحام ساعى
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ المنارة للطباعة والنشر بدمشق .
- ٩٧- ضحى الاسلام ، أحمد أمين
الطبعة المأخرة ، دار الكتاب العربى بيروت ، لبنان
- ٩٨- طبقات الشعراء لابن المعتز
تحقيق عبد الستار أحمد فراج
الطبعة الرابعة ١٩٨١م - دار المعارف بمصر
- ٩٩- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي
قرأه وشرحه ، محمود محمد شاكر
مطبعة المدنى القاهرة د . ت .
- ١٠٠- الطبقات الكبرى لابن سعد
دار صادر بيروت ١٤٠٥هـ .
- ١٠١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوى .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٠هـ .

- ١٠٢- المصرا الجاهلي . د / شوقي ضيف .
الطبعة السابعة ١٩٧٦م دار المعارف بصر
- ١٠٣- المصرا العباسي الأول . د / شوقي ضيف .
الطبعة السابعة ١٩٧٨م دار المعارف بصر .
- ١٠٤- المقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي .
تحقيق أحمد أمين وآخرين .
دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٦هـ
- ١٠٥- المعتمد في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني .
تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر دار الجيل
بيروت ، لبنان د . ت .
١٠٦- عيار الشعر لابن طباطبغا العلوي .
تحقيق عبد المنهز بن ناصر المانع
دار العلوم للطباعة والنشر - البهاض ١٤٠٥ هـ
- ١٠٧- المعين للخليل بن أحمد .
تحقيق د / مهدي المخزومي د / ابراهيم السامرائي .
من منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨٥م .
- ١٠٨- عيون الأخبار لابن قتيبة
دار الكتاب العربي بيروت لبنان نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
الهريرة ١٣٤٣هـ .
- ١٠٩- فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري لابن حجر المصقلاني .
تحقيق سماحة الشيخ عبد المنهز بن باز .
المكتبة السلفية - مصر - د . ت .
- ١١٠- فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي
قدم له عمر أبو النصر .
الطبعة الأولى ١٩٦٦م المكتبة الأهلية بيروت .
- ١١١- في تاريخ الأدب الجاهلي . علي الجندى .
دار المعارف بصر ١٩٨٣م .

- ١١٢- في ميزان النقد الأدبي د / طه مصطفى أبو كريشة .
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ القاهرة .
- ١١٣- في النقد الأدبي د / شوقي ضيف .
الطبعة الخامسة - دار المعارف بمصر .
- ١١٤- في النقد الأدبي الحديث د / محمد عبد الرحمن شعيب
الطبعة الأولى ١٩٦٢ م مطبعة دار التأليف القاهرة .
- ١١٥- القاموس المحيط للفيروز آبادي
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١١٦- قصيدة عنوان الحكم لأبي الفتح البستي
ضبطها وعلق عليها عبد الفتاح أبو غدة
الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - مكتب المطبوعات الإسلامية حلب سورية
- ١١٧- الكامل في اللغة والأدب للبرد
عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفهل إبراهيم
دار الفكر العربي مصر القاهرة د . ت .
- ١١٨- لباب الآداب لأصامة بن منقذ
تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب السلطانية ١٤٠٢ القاهرة .
- ١١٩- لسان العرب لابن منظور .
دار المعارف بمصر د . ت .
- ١٢٠- الموءتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم للآمدي .
تصحیح وتعليق فد . كرنكو
الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ١٢١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير .
تحقيق د / أحمد الحوني ود / بدوي طبانة
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ دار الرفاعي الرياض .

- ١٢٢- مختارات شعراء العرب لابن الشجري .
تحقيق على محمد الجاوي - دار نهضة صو للطبع والنشر ، د . ت
- ١٢٣- مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني
دار الفكر العربي - بيروت د . ت
- ١٢٤- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د / عبد الله الطيب .
الطبعة الثانية ١٩٧٠م - دار الفكر بيروت .
- ١٢٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشهيد عبد الرحيم بن أحمد العباسي
حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد
عالم الكتب بيروت . لبنان د . ت .
- ١٢٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي .
الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان
- ١٢٧- معجم الشعراء للمرزباني
تصحهم وتعليق ف . كركو .
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان
- ١٢٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس .
تحقيق عبد السلام محمد هارون .
دار الكتب العلمية - قم ايران د - ت .
- ١٢٩- المفضليات - اختيار المفضل الضبي
تحقيق وشرح أحمد شاکر وعبد السلام هارون .
الطبعة السادسة ١٩٧٩م دار المعارف بصر
- ١٣٠- ملاح تربية في الشعر الجاهلي والاسلامي د / علي شواخ الشميبي .
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الرفاعي ، الرياض .
- ١٣١- المعمرون والوصايا لأبي حاتم الحجستاني
تحقيق عبد النعم عامر
دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦١م

- ١٣٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء صنعة حازم القرطاجنى .
تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة .
الطبعة الثانية ١٩٨١م دار الغرب الاسلامى بيروت .
- ١٣٣- الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى .
تحقيق السيد أحمد صقر
الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ دار المعارف . مصر .
- ١٣٤- الموازنة بين الشعراء د / زكى مبارك
الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - مصطفى البايى الطبى وأولاده بمصر
- ١٣٥- موسيقى الشعر - د / إبراهيم أنيس
الطبعة الخامسة ١٩٨١م .
- ١٣٦- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الانبارى .
تحقيق د / ابراهيم السامرائى .
الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ مكتبة النار - الأردن .
- ١٣٧- النقد الأدبى لأحمد أمين .
الطبعة الخامسة ١٩٨٣م مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ١٣٨- النقد الأدبى الحديث محمد غنيمى هلال .
دار نهضة مصر - القاهرة د . ت
- ١٣٩- النقد الأدبى أصوله ومناهجه سيد قطب دار الشروق بيروت لبنان
- ١٤٠- النقد التطبيقى والموازنات د / محمد الصادق عفيفى .
مكتبة الخانجى - القاهرة ١٣٩٨هـ .
- ١٤١- الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم وعلى محمد البجاوى .
دار القلم بيروت د . ت .

- ١٤٢— وصايا الآباء للأبناء • صالح عبد الله السليمان •
الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ • توزيع الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
الرياض •
- ١٤٣— الوصايا الخالدة — عبد البديع صقر •
الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ — مكتبة وهبه — القاهرة •
- ١٤٤— الوصايا في الأدب العربي القديم د / سهام الفرج •
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — مكتبة المعلا • الكويت •
- ١٤٥— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان • لابن خلكان •
تحقيق الدكتور إحسان عباس •
نشر دار صادر • بيروت • ١٩٦٨ م •
- ١٤٦— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي •
شرح وتحقيق د / مفيد محمد قبيحة •
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — دار الكتب العلمية • بيروت لبنان •

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٦	التمهيد
٧	أولا : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب
١٦	ثانها : لمحة تاريخية عن أدب الوصايا
٢٢ - ٢٨٥	الباب الأول : اتجاهات شعر الوصايا
٢٣	الفصل الأول : شعر الوصايا الاجتماعية
	الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن
٢٤	الناس
٣٧	الحث على الكرم وإنفاق المال
	الحث على مصاحبة الأخيار والنهي عن معاشرمة
٤٩	اللئام
٥٨	التحلى بالأخلاق الفاضلة
٦٩	استشارة العقلاء
٧٧	أداب الحديث والامتاع والحث على لزوم الصمت
٨٩	حفظ السر
٩٥	الحث على الصبر
١٠١	النهي عن فرط المزاح
١٠٦	الحث على السفر وآدابه
١١٢	اتمام الوعد
١١٥	آداب زهارة المريضى
١١٨	الفصل الثاني : شعر الوصايا النبوية
١٢٠	الحث على الكرم والانفاق

الموضوع	الصفحة
الحث على تقوى الله وما يتصل بها من قيم دينية ..	١٣١
الحث على حفظ المجد والسودد واجتماع الكلمة	
بين الأخوة	١٤١
الحث على مصاحبة الاخيار وحسن معاملتهم	
واجتناب اللثام	١٢٧
الحث على طلب الرزق مع التمسك وعدم الحرص ..	١٣٢
الحث على إباء الضيم وعدم الذل والهوان	١٥٨
الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة ..	
والبعد عن الصفات الذميمة	١٤٢
الحث على الشجاعة وخطى المعارك	١٦٩
وصية الشاعر بناته ليرثاه والبكاء عليه	١٧٣
الحث على اختيار الزوج الصالح	١٧٦
الفصل الثالث : شمر الوصايا الدينية	١٧٨
الحث على تقوى الله والخوف منه	١٨٠
التزهيد فى الدنيا والتذكير بالموت	١٩١
الحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات	٢٠٢
الحث على القناعة والرضا بما قسم الله	٢٠٧
الفصل الرابع : شمر الوصايا الحربية	٢١٣
الحث على خطى المعارك	٢١٦
الحث على الأخذ بالثأر	٢٢٦
الانذار من اقتراب العدو والحث على الاستعداد	
للمعركة	٢٣٦
الفصل الخامس : شمر الوصايا الاخوانية	٢٤٨

الموضوع	الصفحة
الحث على اصطفاة الإخوان وحسن معاملتهم	٢٥٠
الحث على حسن معاملة الإخوان ومداراتهم والإغصاء	
عن هفواتهم	٢٥٦
وصايا العلاقات الاجتماعية الخاصة	٢٦٥
الفصل السادس : شمر الوصايا الزوجية	٢٧٥
الوصايا الزوجية في جانب الكرم	٢٧٧
الوصايا الزوجية في جانب الحث على القناعة وحسن	
المعاملة	٢٨١
الحث على اختيار الزوج الكفء بعد موت الزوج عنها	٢٨٥
الباب الثاني : الخصائص الفنية في شمر الوصايا	٢٨٨ - ٤٣٠
الفصل الأول : الخصائص الفنية لشمر الوصايا في	
جانب الشكل	٢٨٩
أولا : في الألفاظ والتراكيب	٢٩٠
أ - الألفاظ	٢٩٠
ب - التراكيب	٣١٦
ثانيا : في ألوان البيان	٣٢٨
ثالثا : في القيم الصوتية	٣٤١
أ - الأوزان	٣٤١
ب - الموسيقى الداخلية	٣٤٩
ج - القوافي	٣٥٧
رابعا : في البناء الفني	٣٦٤
الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشمر الوصايا في	
جانب المضمون	٣٧٤
أولا : في التجربة الشعرية	٣٧٥

الموضوع	الصفحة
أ - تمهيد	٣٧٥
ب - أنواع التجربة القمرية في شعر الوصايا	٣٦٧
ج - الدافع الى التجربة في شعر الوصايا	
بين الصدق والتكلف	٣٨٥
د - مدى ملائمة الصياغة للتجربة القمرية	
في شعر الوصايا	٣٨٨
ثانيا : في العاطفة الأدبية	٣٩٢
أ - تمهيد	٣٩٢
ب - خصائص العاطفة في شعر الوصايا	٣٩٥
ثالثا : في الأفكار	٤٠٧
أ - تمهيد	٤٠٧
ب - خصائص الأفكار في شعر الوصايا	٤٠٩
١- الأفكار بين التلاؤم والتفكك ..	٤٠٩
٢- الأفكار بين الوضوح والغموض ..	٤١٦
٣- الأفكار بين العمق والسطحية ..	٤١٩
٤- الأفكار بين التقليد والتجديد ..	٤٢٣
الخاتمة	٤٣١
فهرس المصادر والمراجع	٤٤١
فهرس الموضوعات	٤٥٧